جامعة القاهرة
كلية الآداب
قسم اللغات الشرقية
الفرع الإسلامى

التيار القومى فى النثر الفارسى من منتصف القرن التاسع عشر حتى الثورة الدستورية

رسالة ماجستير

إشراف :

الأستاذ الدكتور : السباعى محمد السباعى

إعداد :

عبد الوهاب محمود علوب

١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــــــة

تعد الثورة الدستورية من أهم الأحداث التى شهدتها ايران فى تاريخها الحديث فقد مثلت نهاية الحكم الاستبدادى الذى استمر منذ أقدم العصور ، وخطت بالبـــلاد أول خطوة فى طريق الحكم الدستورى الذى تسود فيه القوانين والشورى ، لكن هـــذه الثورة الاصلاحية لم تحدث فى يوم وليلة بل كانت نتيجة لمجهودات ومقدمات عديدة امتدت الى الوراء فترة نصف قرن من الزمان ، وقد تناولت فى بحثى هذا المقدمـات التى سبقت الثورة والأسباب التى أدت الى قيامها من الناحيتين التاريخية والأدبية .

قسمت البحث الى أربعة أبواب وخاتمة ، ويقع الباب الأول فى ثلاثة فصول ، أشرت فى مقدمته اشارة موجزة الى الفترة التاريخية التى سبقت قيام الأسرة القاجارية ، ثـــم تحدثت عن تاريخ تأسيس الأسرة القاجارية والسمات العامة لحكم ملوكها ، وركزت على فترة حكم ناصر الدين شاه باعتبارها الفترة التى برزت فيها معالم الإضطراب الإجتماعى والسياسى والإقتصادى واتضح نمو نفوذ القوى الأجنبية فى البلاد ، وتناولت فى الفصل الثانى الأوضاع الإجتماعية وبنية المجتمع الإيرانى فى فترة ماقبل الدستور وآثار زيـــادة الإتصال بأوروبا على الحياة الإجتماعية ، والفئات التى شاركت فى التمهيد للحركـــة الدستورية ، وأشرت فى الفصل الثالث الى الحياة الفكرية والثقافية فى عهد ناصر الدين شاه وبداية اتجاه الأدب الفارسى نحو المجتمع .

وقسمت الباب الثانى الى أربعة فصول تناولت فى أولها إنتشار الجمعيات الوطنية فى فترة ماقبل الدستور وأهم هذه الجمعيات فى مختلف مدن ايران ودور هذه الجمعيات فى التمهيد للثورة ، وتحدثت فى الفصل الثانى عن نشأة الطباعة فى ايران وأهم الكتب التى طبعت مع بداية دخول الطباعة ، كما تعرضت لنشأة الصحافة بمفهومها الحديـــث وأهم الصحف التى صدرت فى ذلك العهد وخاصة تلك الصحف التى كان لها أثر فى التمهيد للحركة الدستورية ، وتحدثت فى الفصل الثالث عن التعليم فى ايران ونشـــأة

المدارس الحديثة ودار الفنون التى كان لها أثر كبير فى تنشيط النهضة التعليمية فى أواخر القرن التاسع عشر ، وتحدثت فى الفصل الرابع عن الترجمة وأثرها فى تطور النثر الفارسى وأهم الاعمال التى ترجمت مع بداية النهضة الادبية .

أما الباب الثالث فقد جعلته فى أربعة فصول ، وأشرت فى مقدمته الى أهم ملامح النثر الفارسى فى العهد الصفوى وحتى بداية العهد القاجارى ، وأفردت كل فصل من فصول هذا الباب لواحد من كبار كتاب النثر الايرانيين وأهم أعمالهم التى أثرت تأثيرا مباشرا فى قيام الثورة الدستورية وبعث الحياة الادبية فى ايران ، فكان الفصل الاول عن "ميرزا ملكم خان ناظم الدولة" ودوره فى الحياة السياسية والادبية وكتاباته القومية ومحاولته لإصلاح الخط الفارسى ، وأفردت الفصل الثانى "لحاجى زين العابدين المراغى" وكتابه " سياحتنامهٔ ابراهيم بك " وأوضحت الاهمية الكبرى لهذا العمل من الناحيتين السياسية والادبية ودوره كأول رواية فارسية على النمط الحديث ، وتناولت فى الفصل الثالث الترجمة الفارسية لرواية جيمس موريه "حاجى بابا اصفهانى "ودورها فى تطوير أسلوب الكتابة عن طريق استخدام لغة الحوار الجارى .

وتناولت فى الفصل الرابع علمين هامين من أعمال "حاجى عبد الرحيم طالبوف" الذى يعد أول من قدم العلوم الاوربية الحديثة الى الايرانيين بلغة سهلة مبسطة ، فتناولت كتابيه " سفينهٔ طالبى " و " مسائل الحيات " وهما كتابان مهمان تناول فى الكتاب الاول العلوم الاوربية والإختراعات الحديثة وناقش فى الآخر الافكار السياسية والقومية .

وقسمت الباب الرابع والاخير الى فصلين ، تحدثت فى الفصل الاول عن الاشكال الادبية الجديدة من النثر الفارسى التى ظهرت فى ذلك العهد وهى

الكتابة المسرحية والمقال الصحفي ، وتناولت نموذجين لكتاب المسرح فى بداية عهده وهما " ميرزا فتحعلى آخوندزاده " و " ميرزا ملكم خان " ، وناقشت فى الفصل الثانى المشكلات اللغوية والتغيرات التى طرأت على اللغة الفارسية مع بداية عصر التحديث ودور كل من الأشكال فى هذا التغيير .

اعترضتنى فى هذا البحث مشكلة صعوبة الحصول على بعض المصادر بهذا البحث مما اضطرنى الى الاستعانة بالمراجع التى أوردت أجزاء منها .

وعرفانا بالجميل أقدم شكرى وتقديرى للأستاذ الدكتور السباعى محمد السباعى لما قدمه لى من ملاحظات وتوجيهات أفادتنى فى هذا البحث ، كما أقدم شكرى وتقديرى للأستاذ الدكتور ابراهيم الدسوقى شتا فقد أمدنى بكثير من مصادر هذا البحث ومراجعه ولم يدخر جهدا فى توجيهى الى طريق البحث فلهما منى جزيل الشكر والعرفان .

* * *

الْبَابُ الْأَوَّلُ

الْخَلْفِيَّاتُ التَّارِيخِيَّةُ

مقدمة موجزة عن الفترة التاريخيـــــة التى سبقت العهد القاجـــــارى

بعد قرن تقريبا من موت تيمور تأسست الأسرة الصفوية وتوحدت الهضبـــــة الايرانية من جديد تحت نظام سياسى موحد وحكم الصفويون ايران من عام ٩١٨ ـ ١١٥٣ هـ ٠ ق (١٥٠١ـ١٧٣٦م) وقد شهدت ايران فى العهد الصفوى درجة من الرخاء والعمران والإستقرار السياسى (١) وخاصة فى عهد الشاه عباس الأوّل الصفوى الذى حكم من ١٠٠٤ ـ ١٠٤٦ هـ ٠ ق (١٥٨٧ـ١٦٢٩ م) ، وبعد عباس الأوّل اتجهت الدولة الصفوية الى التدهور نتيجة لأسباب عدة نذكر منها : تفكك الأسـرة الحاكمة ، والسيطرة المتزايدة للحريم وتدهور الأوضاع الاقتصادية (٢) وممارســـــة المجتهدين وعلماء الدين للسيطرة السياسية المتصاعدة ٠

ونتيجة لهذا التدهور الذى حاق بالدولة الصفوية فى أواخر عهدها تغلغت فرقة من الأفغان بقيادة محمود الأفغانى داخل ايران عام ١١٣٩هـ٠ق/١٧٢٢م ، ووصلت حتى مشارف أصفهان دون مقاومة كبيرة وضربت حصارا حول المدينة فى أكتوبـــــر ١٧٢٢م ، وقد استمر الحكم الأفغانى فى ايران مدة سبع سنوات من ١١٣٩ـ١١٤٦ هـ ٠ ق / ١٧٢٢ـ١٧٢٩ م ، ورغم ذلك لم يتمكن محمود الأفغانى ولا خليفته أشرف من إخضاع شمال ايران وغربها لسيطرتهما ٠

وفى عام ١١٤٦هـ ٠ق / ١٧٢٩م ظهر نادرخان الأفشارى الذى طرد الأفغان الى خارج أصفهان وأعلن نفسه حاكما على ايران تحت دعوى إعادة العرش الصفـوى

---

(١) A very (Peter): Modern Iran, pp.18, London, 1965

(٢) Frye (Richard): Persia, pp. 74, London, second ed., 1972

وفى عام ١١٥٣هـ ٠ق/ ١٧٣٦م تخلى عن هذه الدعوى وتوج نفسه ملكا ولقب بنادرشاه وطرد القوات التركية والروسية من الأراضى الايرانية ، وفى عام ١١٥٦هـ٠ ق / ١٧٣٩م قام بغزو الهند فى حملة كبيرة ودخلها فاتحا وسحق قوة المغول بها (١) ، وحمل فى طريق عودته من الهند كثيرا من كنوز الهند وثرواتها ، وقد قتل نادرشاه عـــام ١١٦٤هـ ٠ق / ١٧٤٧م على يد أحد حراسه ، وظلت ايران فى نصف القرن الثانى فى حروب أهلية بين الزنديين والفرق القاجارية ، ومنذ عام ١١٦٧ هـ٠ ق / ١٧٥٠م ظل جنوب ووسط ايران تحت حكم الزنديين من مركزهم فى شيراز حتى عام ١٢١٠ هـ ٠ق/ ١٧٩٥م حيث حقق آقا محمد خان قاجار إنتصارات على الأسرة الزندية وأسس الأسرة القاجارية ٠

---

(١) شرع نادرشاه فى غزو الهند عام ١١٥١هـ٠ق٠/ ١٧٣٨م٠ ،فخرج فى جيش كبير من ايران واستولى على المدن التى كانت فى طريقه الى الهند ودخل فى معركة فاصلة مع القوات الهندية فى ١٥ ذى القعدة ١١٥١هـ٠ / ٢٤ فبراير ١٧٣٩م٠ انتهت بانتصاره ودخوله العاصمة برفقة محمد خان الحاكم المغولى حيث قرئت الخطبة بالدعاء له وضربت العملة باسمه ٠

A very (Peter): Modern Iran, pp.17

نبذة عن تاريخ تأسيس أسرة آل قاجـــار

طائفة آل قاجار هى إحدى طوائف التركمان التى نزحت فى القرن السابع الهجرى أثناء هجوم چنگيزخان من وسط آسيا الى غربها ، وإنتقلت شيئا فشيئا من أراضى ايران الى حـدود الشام حيث إستقرت، ونتيجة لحملة الأمير تيمور التى إستمرت سبع سنوات عادت طائفـــة آل قاجار من الشام الى الجانب الشرقى وأقامت حول گنجه ، وكانت طائفة آل قاجار إحـدى الطوائف التركية السبع (١) التى كانت موالية للشاه إسماعيل الصفوى والتى عرفت بإســم " القزلباش " (٢) ، وتولى زعماء طائفة آل قاجار المهام الحكومية والسفارات فى عهـــود

---

١) هذه الطوائف هى : استاجلو ، شاملو ، تكلو ، بهارلو ، ذو القـدر ، قاجـــار ، افشـار .

٢) وتعنى " حمر الرؤوس " وقد اطلق عليهم هذا الاسم بسبب القلانس الحمراء الـــتى كانوا يضعونها فوق رؤوسهم ، ويطلق هذا الاسم على مختلف الطوائف التركية الـــتى ساندت الشاه اسماعيل الصفوى فى نشر المذهب الشيعى وإقرار الحكم الصفوى ، وكـان متصوفة القزلباش يعتبرون الشاه اسماعيل إماما دينيا واجب الطاعة ، ونتيجة لتضحياتهـم فى سبيل إقرار الحكم الصفوى كانوا يتولون الحكم فى الولايات المفتوحة بألقاب " أمـير الأمراء " ، " بيگلربگى " ، " خان " وغير ذلك ، وكان اسماعيل الصفوى يقسم الغنائـم والأراضى المفتوحة بين زعماء القزلباش مما منحهم نفوذا وقوة كبيرة فى كل أنحاء ايران ، ومع بداية حكم الشاه طهماسب بدأ تكالب زعماء القزلباش على المناصب الكبرى ونشبت بينهـم حروب عنيفة ، وبعد موت طهماسب عام ٩٨٤هـ ق تصاعد الخلاف بين زعماء القزلبـاش وتمزقت وحدتهم وعاسوا فى البلاد فسادا حتى تولى الشاه عباس الصفوى الحكم فـأدرك مدى خطرهم ، فعمل على الحد من نفوذهم وقوتهم وعهد الى بعض منهم ببعض المهام .

انظـــر :

- Wilber (Donald): Iran, Past and present, pp.68 Princeton, New jer cey. 1948
- Frye (Richard): Persia, pp. 50, London, second ed., 1972

الملوك الصفويين ، وأولى الشاه عباس الصفوى إليهم مهام حماية الحدود الهامة للدولة وأسكن معظمهم فى ولاية " جرجان " لدفع هجمات التركمان ، وعهد إليهم بحماية قلعة " مبارك آباد " (١) وساحل جرجان ، وقد إكتسبت هذه الطائفة شهرة كبيرة وكانت لها مراعى خاصة على ضفتى نهر " جرجان " وعرف من استقر منهم فى صعيد ذلك النهر باسم "يوقارى باش" (٢) أما من إستقر منهم فى الجزء الأدنى من النهر فقد عرفوا باسم " اشاقه باش" (٣) ، وقد دبت الخصومة بين هاتين الفرقتين وأخذت كل منهما فى الإغارة على الأخرى حتى هاجرت عشيرة " اشاقه باش " عام ١١٤٠ هـ.ق / ٧٢٣ م على إثر هذه الخصومات والصراعات من منطقة " مبارك آباد " ونزحت الى أستراباد وكان من زعماء هذه الطائفة فتحعلى خان ابن شاهقلى خان الذى رافق الشاه طهماسب الثانى بناء على دعوة من الأخير الى خراسان وقتل بأمر نادرشاه .

كان فتحعلى خان من زعماء طائفة " اشاقه باش" وكان نادر يطمح الى إستئصال شأفة هذه الطائفة وفى هذا السبيل أعلى نادرشاه من شأن طائفة " يوقارى باش" وولى "محمد حسين خان" زعيمها حكومة " جرجان " وكان " محمدحسن خان " (زعيم الأشاقة باش) فى الثانية عشرة من عمره حين قتل والده وظل يعيش بين عشائر التركمان طوال عهد نادر ، وكان أحيانا يغير على جرجان وأستراباد ، وفى إحدى غاراته على تلك النواحى وقع إبنه "آقامحمدخان" أسيرا فى أيدى جنود نادر ولكنه لم يمض زمن طويل حتى تخلص آقامحمدخان من أسره وذهب الى أستراباد وإنضم الى أبيه الذى كان قد استولى على تلك الولاية وأعلن نفسه

---

١) كانت هذه القلعة من التحصينات العسكرية للشاه طهماسب وتعرف اليوم باسم " يهلوى دژ" .

٢) يوقارى باش : وتعنى " مرتفعو الرؤوس " .

٣) اشاقه باش : وتعنى " منخفضو الرؤوس" .

حاكما عليها ، وقد قتل محمدحسن خان في إحدى معاركه مع كريمخان زند فأمر كريمخان بحمل آقامحمدخان الذي كان في السابعة من عمره الى مدينة شيراز كرهينة ، وبعد وفاة كريمخان فرّ آقا محمد خان الى مازندران مقر عشيرته التي تولى زعامتها .

وحّد آقامحمدخان أفرع قبيلته ودعم قواته عام ٧٧٩ لم واستولى على تهران ، وكان آقامحمد خان هذا طموحا قاسي الطبع فلم يرحم أعداءه ، وبعد سلسلة من الإنتصارات على فلول الأسرة الزندية إعتلى آقا محمدخان العرش في تهران عام ١٢١١ هـ.ق / ١٧٩٦ م تحت لقب "شاهنشاه" في حين أن تاريخ فراره الى مازندران وهو عام ١٩٣ ١هـ.ق / ٧٧٩ لم هو الذي يعد بداية حكمه . (١)

أغتيل آقا محمد خان عام ٢١٢ هـ.ق / ٧٩٧ لم . بعد أن حقق سيطرة كاملة على ايران بما فيها جورجيا وخلفه فتحعلي شاه الذي إعتلى العرش من عام ١٧٩٧ حتى عام ٨٣٤ لم وكان رجلا ذا شخصية هادئة وتمتعت ايران في عهده بهدوء وسلام نسبيين ، وبدأت في عهده الإتصالات المباشرة بالقوى الأوربية بمعاهدة تحالف وقعت بين فرنسا وايران عام ١٢٢٢ هـ.ق / ٨٠٧ لم ، وقد تعشم نابليون من وراء هذه المعاهدة أن تفتح الطريق للغزو الفرنسي للهندبرا ، بينما كان على ايران أن تعد العدة لمقاومة القوة المتصاعدة لروسيا القيصرية التي كانت قد ضمت جورجيا عام ٢١٦ هـ.ق / ٨٠١ لم ولكن سرعان ما إنتهى الصراع بين روسيا وايران بمعاهدة گلستان عام ٢٢٨ هـ.ق / ٨١٣ لم التي أكدت على ملكية روسيا لجورجيا ، وفي عام ٢٢٩ هـ.ق / ٨١٤ لم وقعت كل من ايران وبريطانيا معاهدة للتحالف الدفاعي ظلت قائمة حتى عام ٨٥٧ لم بينما كانت غير مجدية لايران . (٢)

---

١) تاريخ ايران : تأليف : ن . و . بيكولوسكايا ، ا . ياكوبوسكي ، ا . بطروشفسكي ، ا. بلنيتسكي ، ل . أ . استروويا . ترجمة كريم كشاورز ص ٦١٩ — ٦٢٠ ، تهران ١٣٥٤ — انتشارات پيام .

٢) Wilber (Donald): Iran, Past and present, pp. 78

وفى عام ٢٤١ اهـ.ق / ٨٢٦ م نشبت الحرب مرة أخرى بين روسيا وايران وتحققت إنتصارات إيرانية فى البداية تلتها سلسلة من الهزائم بلغت ذروتها بإستيلاء الروس على تبريز فاضطرت ايران الى توقيع معاهدة تركمانجاى عام ٢٤٣ اهـ.ق / ٨٢٨ م التى نصت على تنازل ايران عن إيروان ونخجوان ودشت مغان بالإضافة الى ماحصلت عليه روسيا بمقتضى معاهدة گلستان ونصت معاهدة تركمانجاى أيضا على حق السفن الروسية فى الملاحة فى بحر الخزر وأن يكون نهر "أرس" حدا بين الدولتين وأن تدفع ايران غرامة كبيرة لروسيا ، وأضيف الى هذه المعاهدة فيما بعد بند ينص على منح روسيا حقوقا جمركية وإقتصادية فى ايران .

كانت روسيا فى ذلك العهد قد أقدمت على سلسلة من التوسعات العسكرية فى آسيا كانت تتطلع من ورائها الى إمتلاك ميناء على المياه الدافئة فى الخليج العربى والى صد بريطانيا التى كانت تتطلع أيضا الى السيطرة على الخليج العربى والمناطق المجاورة للهند كبرى مستعمراتها ، وقد تمزقت ايران بين المصالح المتصارعة للقوى الأوربية ، وسنتناول تطور هذا الصراع فيما بعد .

بعد فتحعلى شاه قاجار تولى الحكم إبنه الأكبر "محمد شاه" منذ عام ٢٤٩ اهـ.ق/ ٨٣٤ م حتى ٢٦٤ اهـ.ق / ٨٤٨ م وقد بذل محمد شاه جهده فى سبيل تحسين الأوضاع الداخلية فألغى ممارسة التعذيب ومنع جلب العبيد والغلمان الى ايران ، وفى أثناء فترة حكمه خطبت روسيا ود ايران متطلعة الى إطلاق يدها وتعزيز مكاسبها فى القوقاز وتركستان ، وقام محمد شاه - بمساندة روسيا - بمحاولة فاشلة لإعادة غزو هرات وقد واجهت تلك المحاولة مقاومة عنيفة ناجحة فى هرات بمساندة بريطانيا . (١)

(I) Wilber (Donald): Iran, part and present, pp. 78-79

Frye (Richard): Persia, pp. 80-81

الفصـــــل الأول

الخـلفيـــــة السيـاسيـــة

ناصر الدين شاه قاجار وأهم سمات حكمه :

ناصر الدين شاه هو رابع ملوك الأسرة القاجارية ، إرتقى العرش عام ١٢٦٤ هـ . ق./ ٨٤٨ م. خلفا لمحمد شاه قاجار، وقد إستمر حكمه قرابة خمسين عاما أى حتى عام ١٣١٣ هـ.ق./ ٨٩٦ م. وقد سادت فى ايران فى عهدى محمد شاه وناصر الدين شاه فترة هدوء نسبى خاصة وأن ناصر الدين شاه كان ملكا قويا أمسك زمام الحكم بقبضة قوية.

بدأ ناصر الدين شاه عهده بإجراء بعض الإصلاحات فى الدولة وساعده فى ذلك ميرزا تقى خان أمير كبير الذى تولى الصدارة العظمى مع بداية تولى ناصر الدين شاه للحكم وقد تميز هذا الصدر الأعظم بالكفاءة والقدرة على إدارة شئون البلاد وحبه للإصلاح والتحديث ، فصدرت فى ذلك العهد أولى الصحف الرسمية عام ٨٥١ م. وجرت بعض محاولات إصلاح إقتصاد الدولة وإصلاح الجيش ، ودخل أول خط تلغرافى الى ايران فى بداية عهد ناصر الدين شاه أيضا ، وتم إصلاح نظام سك العملة وكانت كل مدينة من مدن ايران تتبع نظاما خاصا فى سك العملة ونقشها قبل عهد ناصر الدين شاه ثم توحدت فى عهده فى كل ايران، وإستقر فى عهده أيضا نظام البريد فى كل المدن الإيرانية.

وأولت الحكومة الإيرانية فى بداية عهد ناصر الدين شاه إهتماما كبيرا للتعليم فافتتحت فى ذلك العهد الكلية العلمية " دار الفنون " عام ١٢٦٨ هـ.ق./ ٨٥٢ م. بإهتمام ميرزا تقى خان أمير كبير ، وأوفد الدارسون الإيرانيون الى أوروبا للدراسة على نفقة الدولة وأنشئت عام ٨٥٥ م. أول وزارة للتعليم وزاد عدد المدارس الحديثة فى مدن ايران المختلفة وزاد إنتشار الكتب بفضل دخول الطباعة.

كان ناصر الدين شاه نفسه يساعد فى بداية عهده على إجراء الإصلاحات فى الدولة إذ كان ميالا الى الإصلاح والتحديث خاصة حين كان يعينه على الإصلاح وزير كفوء كأمير

كبير إلا أن رجال البلاط من غير الوطنيين كانوا يعوقون هذه الكفاءات الإصلاحية التى شكلت عقبة فى طريقهم فكادوا لأمير كبير عند الشاه حتى عزله عام ٨٥١ لم. (١) أى بعد ثلاثة أعوام من توليه الصدارة ونفاه الى كاشان حيث صدر الأمر بقتله ، ونصب مكانه ميرزا آقا خان نورى الذى أعقبه حاجى ميرزا حسين خان سپهسالار الذى حقق إنجازات إصلاحية فى البلاد وأظهر علما ودراية كبيرة فى تصريف شئون الدولة وقضى على الرشوة وأطلق حرية الوزارات كل فى تخصصها وجميعها مسئولة أمام الصدر الأعظم مباشرة ، وشجع ناصر الدين شاه على السفر الى أوروبا للإطلاع على التقدم والتعاون بين الملوك والشعوب (٢) ، ولكن خصومه إنتهزوا فرصة غيابة وأفضوا الى الملات بأن السپهسالار يريد أن يجعل ايران كأوروبا مما أغضب الملات على السپهسالار فكفروه وبعثوا الى ناصر الدين شاه برسالة أثارت غضبه عليه حتى عزله عن الصدارة. (٣)

وهكذا ظهرت عوامل سلبية عديدة عوقت المساعى الإصلاحية لناصر الدين شاه وعرقلت تيار تحديث الحياة فى ايران وحدت من قوة إنجازات الوزراء الوطنيين ، ومن هذه العوامل السلبية :

(١) إنعدام المعاونين الأكفاء ورجال الدولة المخلصين الذين يعملون لصالح البلاد ، وحتى حين كان يظهر منهم من يعمل لصالح البلاد كان يتعرض لمكائد الرجعيين.

(٢) تسلط الملات المتعصبين على عامة الشعب من خلال سلطتهم الدينية.

(٣) تسلط الخصمين القويين روسيا وانجلترا وتصارعهما على ايران.

(٤) الحركة البابية.

---

١) استعلامى (محمد) : ادبيات دورهٔ بيدارى ومعاصر . ص٢ . تهران ٢٥٣٥ شاهنشاهى.
٢) كسروى (أحمد) : تاريخ مشروطهٔ ايران . ج١. تهران ٣٥٤ اهـ.ق.
٣) كسروى (أحمد) : تاريخ مشروطهٔ ايران. ج١ ، ص٩.

(١) إنعدام المعاونين الأكفاء :

تولى الصدارة بعد أمير كبير وسپهسالار اللذين وجها إهتمامهما الى الإصلاح وزراء لم يكن صالح البلاد هدفا لهم (١) ، ففى فترة صدارة ميرزا على أصغر خان أمين السلطان تدهورت أوضاع البلاد فى مختلف النواحى إذ كان أمين السلطان مطيعا للأجانب فزاد تدخلهم ونفوذهم فى الشئون الداخلية لإيران وكان الوزراء الذين إختارهم فى وزارته يجهلون شئون وزاراتهم ولايهدفون الى صالح البلاد والشعب فوقع معظم الفساد الذى أصاب البلاد فى عهد صدارته نتيجة لسوء تصرفاته وتركه للبلاد نهبا للأجانب وخاصة فى الناحية الإقتصادية .

(٢) الملات والمجتهدون :

من المعلوم أن للدين دورا مؤثرا فى حياة الإيرانى البسيط وكان الملات فى ذلك الوقت يستغلون الدين للسيطرة على عامة الشعب ، وطلبا للجاه والدنيا (٢) فكانوا يعترضون طريق كل خطوة إيجابية تهدف الى تنقية المفاهيم الدينية أو تقاوم الخرافات والعادات الدينية الخاطئة ، ووقفوا حجر عثرة فى طريق نشر العلم والمعرفة وكفروا أنصار الفكر التقدمى الحديث والمنادين بالإصلاح وأطلقوا على المدارس الحديثة إسم " وكر الشيطان " (٣) ، وهكذا عمدوا الى إبقاء عامة الشعب على جهلهم والى حجب العلم والمعرفة عنهم حتى يظلوا تحت نفوذهم وسيطرتهم ، أما علماء الدين الثقاة فقد إنزووا عن

---

١) تيمورى (ابراهيم) : عصر بى خبرى ، ص ١٣ ، تهران ١٣٣٢ .
٢) آرين پور (يحيى) : از صباتا نيما ، جـ١ ، ص٦٧ ، الطبعة الرابعة ٢٥٣٥
٣) المرجع السابق ، ص ٦٧

الناس وعاشوا فى النجف[١] ، منعزلين عن المشاركة فى الحياة الإجتماعية وعن رياء الملات المرائين ، وكان العامة لايتعاملون مع هؤلاء العلماء المعتكفين فى النجف بل التفوا حول الملات المتعصبين الذين كانوا يمتلكون فى أيديهم القوة وأزمّة الأمور .

(٣) تسلط الروس والإنجليز على ايران :

كانت ايران فى ذلك العهد لاتمتلك القوة العسكرية التى تمكنها من إتباع سياسة مستقلة وكانت القوى الغربية قد بدأت فى ذلك العهد فى إتباع سياسة تصعيد النفوذ الإقتصادى والمالى [٢] وكانت الصناعات الأوروبية تحتاج الى أسواق جديدة لتسويق منتجاتها المصنعة فبدأت فى تطبيق تلك السياسة الإستعمارية الجديدة على ايران التى أصبحت ضمن مناطق النفوذ الإقتصادى الغربى ، وعملت كل من روسيا وانجلترا ـ القوتين العظميين فى ذلك الوقت ـ على إضعاف ايران بالآداة السياسية الإستعمارية الجديدة التى تسمى " النفوذ السلمى " [٣] حتى غرقت فى ذلك التيار وأصبحت نصف مستعمرة ، وأتى على ايران عهد كانت فيه كل موارد البلاد فى أيدى أجنبية ، وكانت الحكومة الإيرانية تساعد على زيادة التدخل الأجنبى نظير ماكانت تحصل عليه من أموال .

كانت ايران بحكم موقعها الإستراتيجى على قدر كبير من الأهمية بالنسبة لروسيا وانجلترا فهى الطريق الى المياه الجنوبية الدافئة بالنسبة لروسيا التى تشترك معها فى حدود طويلة أما بالنسبة لانجلترا فقد شكلت حاجزا منيعا بين روسيا والإمبراطورية البريطانية

(I) Upton (Joseph): History of modern Iran, pp. 9 Cambridge, 1960

(II) Elwell - sutton : Modern Iran, pp. 58, London, 1942

٣) آرين پور (يحيى) : از صبا تانيما ، جـ١ ، ص ٢٢٣

فى الهند وحلقة وصل بين الشرق والغرب ومجالا كبيرا لإستثمار رأس المال الأوروبى وسوقا واسعة لتسويق الصناعة الأوروبية الناهضة.

وساعد نفس هذا الصراع الشديد بين القوتين على ايران على حفظ إستقلالها وصونها من الإحتلال العسكرى لأى منهما ، فكانت كل منهما تحد من قوى الأخرى وتحول دون تصاعد نفوذها حتى لايختل توازن القوى ومع ذلك اقتطعت بعض أجزاء ايران فى عهد ناصرالدين شاه ، فإحتلت روسيا سمرقند عام ٨٦٨ لم. وخيوه عام ٨٧٣ لم. ومرو عام ٨٨٤ لم وأصبح لروسيا أيضا تفوق ملاحى لايستهان به فى بحر قزوين ضمن خطة روسية لمد سيطرتها فى آسيا. (١)

وتدخلت الدول الكبرى فى توجيه السياسة الإيرانية من خلال عملائها فى نفس الحكومة الإيرانية ممن كانت تستقطبهم الدول الأجنبية بالمال تارة وبالتهديد والوعيد تارة أخرى (٢)، وأولوا المهم من الأعمال الى أفراد ضعاف الشخصية وغير أكفاء ، وقد حصل الروس على موافقة الحكومة الإيرانية لتشكيل فرقة القوزاق تحت قيادة روسية مستغلين فرصة زيارة ناصر الدين شاه لروسيا عام ٢٩٥ اهـ.ق./ ٨٧٨ لم. فقد كان الشاه يخشى الروس أشد خشية بل كان يظن فى دخيلته أنه وعرشه تحت حمايتهم (٣)، وارتكازا على فرقة القوزاق هذه تصاعد النفوذ الروسى فى ايران، مما أزعج بريطانيا على نفوذها فى ايران فتغاضت الحكومة الإيرانية فى مقابل ذلك عن تغلغل النفوذ البريطانى فى جنوب ايران فى محاولة منها لإرضاء بريطانيا من ناحية وموازنة التهديد الروسى من الشمال من جهة أخرى (٤).

(I) Marlow (John): Iran, pp. 28, London, 1963

٢) آرين پور (يحيى) : از صبا تا نيما ، جـ١ ، ص٢٢٣.

٣) كرمانى (ناظم الاسلام) : تاريخ بيدارى ايرانيان ، تهران ٣٤٦ اهـ.، جـ١، ص ١٢٦.

الحركة البابيـــة

شهد ذلك العهد ضمن ماشهد من إضطرابات وتغيرات تحركات فكرية خطيرة فـــى الحياة فى ايران كانت تعد إرهاصا لأحداث خطيرة فى البلاد ، وكانت أولى هذه التحركات الحركة البابية التى بدأت فى أربعينيات القرن التاسع عشر الميلادى ، وهى حلقة من سلسلة الحركات الدينية المتطرفة التى تميز بها التاريخ الإيرانى عبر العصور. (١)

بدأت الحركة البابية بتأملات ميرزا محمد على الشيرازى (٢) الذى إدعى النبوة فى عـــام ١٢٦٠ هـ.ق/ ١٨٤٤ م. أى فى عهد محمد شاه قاجار فى الذكرى الألفية لإختفاء الإمـــام الثانى عشر، وأعلن ميرزا محمد أنه الباب الى معرفة الله وأن رسالة محمد قد إنتهت وأنـــه قد أتى ليفتح عهدا جديدا ، وقد وجدت تعاليمه صدى فى نفوس عدد كبير من الأتبـــاع الذين نادوا به بابا بين " عالم الروح وعالم الجسد " وقد إعتبر الباب نفسه " نقطة تجلـــى الجوهر الإلهى فى العالم " (٣) ودعى الى نبذ ممارسة شعائر الدين الإسلامى ونـــدد بالوظائف الدينية الشيعية (٤) ودعى الى السلام العام والى تطوير أوضاع المرأة وإزالة الفـــوارق

(I) Wilber(Donald): Iran,past and present,pp; 80

٢) ولد ميرزا محمد على الشيرازى عام ١٨١٩ م. بشيراز ، لم يظهر ميلا للدراسة فى صباه وعمل مع خاله بالتجارة ثم عاد الى الدراسة واشتغل بفن تسخير روحانيات الكواكب (وهو فـــن خرافى) والدراسات الفلسفية .
انظر : حقيقة البابية والبهائية : محسن عبد الحميد ، الطبعة الثانية ـ ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥ م بيروت.

(3) Wilber(Donald): Iran, past and present ,pp.80

(4) Gobineau (Joseph Arthur): Les philosophies et les religions dans L'Asie central, Paris, 1933, pp. 133

الطبقية وناد ى بحياة تقودها الروح لارسالة الدين.

ومن أسباب إنتشار البابية في ايران في ذلك العهد :

اولا : سخط الشعب على الأوضاع الإقتصادية المتدهورة مما دفع به الى تصديق ذلك الداعية الذى إدعى أنه المهدى المنتظر الذى جاء لنشرالعدل بين المظلومين.

ثانيا : إخفاء زعماء البابية لحقيقة الدعوة في البداية مماجعل الناس يظنون أنها حركة تجديدية إصلاحية فآمنوا بها ، ولكن كثيرا منهم رجع عن إيمانه بها بعد أن كشف الباب عن حقيقة تعاليمه التى تعلن نهاية رسالة الإسلام. (١)

ثالثا : قسوة الحكومة الإيرانية في إخماد تلك الحركة مما جذب تعاطف الإيرانيين إليها. (٢)

واتهم الزعيم البابى بالجنون إثر إعلانه الدعوة وأمر ميرزا تقى خان أمير كبير بسجنه ، ولقيت الحركة البابية إضطهادا شديدا من السلطات ومن الآخوندات (الملات) ، وقد إضطهدتها السلطات بإعتبارها تهديدا للنظام وإستقراره ، أما الآخوندات فقد ناصبوها العداء إثر التنديد الذى وجهته تعاليم الباب للدين والمناصب الدينية.

وفي عام ٨٥٠ لم. طافت الفرق البابية المسلحة مدن خراسان ومازندران وبعض المدن الإيرانية الأخرى معلنة حلول المهدى المنتظر المتمثل في شخص زعيمهم ميرزا محمد على ، ومبشرة بإزالة التمييز الطبقى ، وفي نفس العام صدر الأمر بإطلاق النار على الباب، وخلفه في زعامة الحركة شاب في التاسعة عشر من عمره هو ميرزا يحيى

---

(١) Upton (Joseph): The history of modern Iran pp.9

(٢) Elwell - sutton: Modern Iran, pp. 61

الذى عرف بلقب " صبح أزل " (١)

وعلى الرغم من أن الحركة البابية كانت غير ذات أهمية سياسية إلا أنها شغلت الحكومة فى السنوات الأولى من حكم ناصر الدين شاه (١٨٤٨ ـ ٨٩٦ لم٠) ، وتصعدت الأحداث عام ١٢٦٨ هـ٠ق٠ / ٨٥٢ لم٠ حين أطلق ثلاثة من البابيين رصاصة على ناصر الدين شاه فى محاولة لإغتياله إلا أنه أصيب فى فخذه ، وكانت نتيجة ذلك تعهدا من الإرهاب قتل أثناءه مايقرب من أربعين ألف بابى (٢).

ويرى كل من " ابتون " و" ساتون " (٣) أن القسوة التى إتبعتها الحكومة فى إخماد تلك الحركة قد ضاعفت السخط الشعبى ضد طغيان الحكومة وأدت بالتالى الى زيادة الضغوط الثورية٠

هذه العوامل السلبية التى ذكرناها جعلت ناصرالدين شاه يغير إتجاهاته الإصلاحية التى حققت فى البلاد إنجازات هامة لايمكن إنكارها ، لقد بذل ناصر الدين شاه جهدا كبيرا فى أوائل عهده فى سبيل إصلاح الأوضاع فى بلاده إلا أن الظروف كانت قوية ولم تساعده على الإستمرار فى إنجازاته الإيجابية ، وعلى الرغم من أنه قام بمحاولة جادة لتطوير نظم العدل

---

(١) صبح أزل هو أحد أتباع الباب المقتول وكان يقيم فى أدرنة بالأراضى العثمانية وتوفى عام ١٩١٢ م٠ إنتهت الطائفة البابية بالفعل ، وكان أخوه غير الشقيق " ميرزا حسين " قد إنشق على الطائفة البابية واتخذ لنفسه لقب " بهاء الله " عام ٨٦٣ لم٠ وأسس مذهبا جديدا هو " البهائية " ربط فى تعاليمه بين بعض تعاليم الأديان المختلفة وبين بعض الأفكار التحررية التى كانت رائجة فى أوروبا حينذاك وطورها الى عقيدة مشاعية بلا شعائر او كهنوت ، وأقيم مركز العقيدة فى عكا بفلسطين ، ودار العمل فيه على يد " عباس أفندى " الملقب بـ" عبد البهاء " وهو ابن بهاء الله وتابعه ، وقد إنتشرت العقيدة البهائية فى العالم الغربى وفى لندن ونيويورك على وجه الخصوص٠
انظر : مطالع الأنوار : محمد زرندى ، حقيقة البابية والبهائية : محسن عبدالحميد ٠

2) Upton (Joseph): The history of modern Iran, pp. 10

3) والمرجع السابق ٠ Elwell - sutton: Modern Iran, pp.61

والإدارة الشعبية إلا أن مجهوداته لم تحقق نجاحا دائما وعاشت الدولة بشكل متصاعد تحت تأثير الملات والمجتهدين المرائين (١) ، وزاد تدخل الأجانب في الشئون الداخلية للدولة .

والحقيقة أن ناصرالدين شاه كان قد بدأ عهده بإنجازات هائلة لايمكن إنكارها حين محاكمة السلبية والمساوئ التي حدثت في السنوات التالية ، فكان هذا الشاه ميالا بالفعل للإصلاح وتحديث البلاد . الا أن السلطات المخولة له كانت كبيرة فلم يستطع أن يتخلى عنها في سبيل إصلاح أوضاع الدولة ، خاصة وأن هناك بعض الإنجازات التي قام بها ساعدت على القيام ضده ، ونشرت الفكر التقدمي في ايران ، فالكلية العلمية دار الفنون تم إفتتاحها في عهده إلا أنها ساعدت على نشر العلم وكانت من عوامل تنوير الشعب على مايمكن تحقيقه في بلادهم من إصلاح .

ونلاحظ أن ناصرالدين شاه كان يهتم بإصلاح نواحي معينة في الدولة كالناحية التعليمية أو الإتصالية لكنه لم يمس حقوق الشعب المهدرة بالإصلاح ولم يحاول وضع قانون ينظر الى الناس جميعا نظرة مساواة ، حتى حين كان يفكر في إتخاذ خطوة تهدف الى إصلاح أسس الحكم كان رجال الدولة ورجال البلاط يحاولون عرقلتها للإحتفاظ بمكاسبهم غير المشروعة على حساب الشعب ، فبعد أن عاد ناصر الدين شاه من ثالثة رحلاته الى أوربا فكر في تأسيس مجلس شورى قومي ، وبالفعل شكّل مجلسا من رجال البلاط لهذا الغرض ، وقد رأى هذا المجلس أن يترجم القانون الأوربي ويأخذ مايصلح منه للتطبيق في ايران ويحذف مايخالف الشريعة الإسلامية إلا أن أعضاء المجلس إعترضوا على معظم القوانين التي ترجمت عن القوانين الأوربية (٢) واختلفت الآراء حولها ونسي الأمر شيئا فشيئا . فكان المحيطون

(١) Wilber (Donald): Iran, past and present. pp. 81

(٢) ملكزاده (مهدي) : انقلاب مشروطيت ايران ج ١ ، تهران ١٣٢٨ ، ص ١٢٥

بالشاه بالإضافة الى العوامل الأخرى عاملا سلبيا أعاق محاولات ناصر الدين شـــاه الإصلاحية مما جعله ييأس من كل خطوة إيجابية[١] ويتغاضى عن تحقيق أهم الإصلاحات وخاصة فى السنوات الأخيرة من حكمه ، فساءت أوضاع الدولة من كل نواحيها وزاد تدخل الأجانب فى الشئون الداخلية للبلاد ونشر عمال الدولة الظلم بين الناس ، نبدأ الشعب فى إظهار إستيائه من الأوضاع الفاسدة التى تردت فيها البلاد وبعد إنتهاء الفترة التى شهدت إصلاحات هامة فى البلاد أى بداية عهد ناصر الدين شاه .

تدهور الحالة الإقتصادية والإمتيازات :

تدهورت الحالة الإقتصادية فى الدولة تدهورا شديدا وأدى تناقص عائدات الدولة من الأموال من ناحية وتزايد نفقات الشاة والحكومة من ناحية أخرى الى حدوث عجز مستمر تسبب فى حدة الإنحطاط الإقتصادى .

إنحدرت الصناعات اليدوية شيئا فشيئا فى هذه الفترة ، تلك الصناعات التى إشتهرت بها المدن الإيرانية مما أثر على حياة قطاع عريض من العمال والحرفيين حتى أن البسط الآلية الأوربية حلت محل البسط الإيرانية الشهيرة فى الأسواق الإيرانية[٢] ، وإكتظت الأسواق الإيرانية بالسلع الأوربية وكسدت الصناعات الوطنية مما شكل تهديدا لأرزاق الكثيرين من الشعب الإيرانى .

ولم يقتصر الكساد والتدهور على الصناعة فقط بل أهملت الزراعة أيضا ، فلم تول الحكومة أى إهتمام بالأراضى الزراعية البكر القابلة للزراعة فهجر كثير من الفلاحين أراضيهم من جـــراء

١) آرين پور (يحيى) : از صبا تانيما جـ١ ص ٢٤٤

٢) ملكزاده (مهدى) : انقلاب مشروطيت ايران جـ ١ ص ١٧٤ وأورد ملكزاده بيتا شعريا يدلل به على ما أصاب عمال اصفهان من كساد صناعتهم : هركه راكارش بافندگى مردنش بهتر از زندگـى

تعسف عمال الدولة فى الأقاليم مما أدى الى حدة الأزمة الإقتصادية التى كان من أبـــــرز مظاهرها نقص الخبز " فكان على المواطن أن يقضى يوما فى العمل ويوما فى البحث عن رغيف الخبز له ولأسرته ". (١)

أدى العجز المادى وإفلاس الخزانة الى لجوء الحكومة الإيرانية الى منح إمتيـــــازات إقتصادية للأجانب لاستثمار ثروات البلاد ورهن مرافقها الحيوية لسداد الديون (٢) ، ولـــم يعد ناصر الدين شاه يبالى بضياع موارد ايران وثرواتها بل أصبح كل مايعنيه هو مايعـــــود عليه هو شخصيا من أموال لإنفاقها فى أسفاره الى أوربا ورحلاته للصيد ، وقد إستغلت دول أوربا وروسيا فرصة التدهور الإقتصادى الإيرانى وحاجة الشاه الى المال وأخذت فى تخريب البنية الإقتصادية والمالية لإيران وأسرعت بتقديم القروض بشروط مجحفة منتهزة فرصة إحتيـــاج المقترض وسلبت روسيا وانجلترا كل مايرجى من كلمة إمتياز دون النص على إسمه الفعلـــى (٣) ، وكانت أهم الإمتيازات التى منحتها الحكومة الإيرانية للأجانب حتى ماقبل الثورة الدستوريـــة بعدة سنوات هى :

(١) إمتياز جوليوس دورويتر Julius De Rueter عام ١٨٧٢ م لإستغـــــلال كافة الغابات والمعادن الإيرانية وحق إنشاء خطوط حديدية فى الأراضى الإيرانية وحق صيد الأسماك ومدة الإمتياز سبعون عاما مقابل مبلغ محدد للشاه و١٥ ٪ من الأربـــاح سنويا ، وقد وقف علماء الدين وقفة حاسمة ضد هذا الإمتياز مما اضطر الشاه الـــــى إلغائه ومنح ورثته كتعويض عن إلغاء الامتياز الأول إمتيازا آخر عام ١٨٨٩ لإنشاء البنك

---

١) مراغه اى (حاجى زين العابدين) : سيا حتنامهٔ ابراهيم بك ج ١ القاهرة بـــــــدون تاريخ ص ١٩٤ .

٢) مجذوب (طلال) : ايران من الثورة الدستورية حتى الثورة الإسلامية . بيروت ١٩٨٠ ص٨٣

٣) آرين پور (يحيى) : از صبا تانيما المجلد الاول ص٢٢٣

الشاهنشا هى مع حق إصدار العملات الورقية رسميا . (١)

(٢) إمتياز ويليام نكس دارسى D'arcy عام ١٩٠١ لإستخراج البترول فى كل الأراضى الإيرانية ماعدا المناطق الخمس الشمالية (التى استثنيت لإصرار روسيا) وقدأصبح منح هذا الإمتياز واحدا من أهم الأحداث فى تاريخ هذه الفترة لكن قلما وجه اليه الإهتمام تاريخيا ربما لأن المحاولات العديدة الأخرى التى قامت بها جهات أجنبية أخرى للتنقيب عن البترول كانت قد فشلت. (٢)

(٣) إمتياز فرنسى لإنشاء الحافلات الكهربائية فى طهران عام ٨٨٨ لم " لفابيوس بوافال "

(٤) إمتياز شركة لينتش Lynch لنقل البضائع والملاحة فى نهر قارون عام ٨٨٨ لم .

(٥) إمتياز روسى لإنشاء خطوط حديدية فى شمال ايران عام ٨٨٩ لم .

(٦) إمتياز إنشاء بنك الإقراض الروسى فى مايو عام ٨٩١ لم ، (٣) وقد أمسكت روسيا بكل أزمة الشئون المالية والحيوية فى ايران عن طريق هذا البنك . (٤)

كان هذا التدخل الأجنبى فى شئون ايران أحد الأسباب القوية التى أججت سخط الشعب الإيرانى بكل فئاته ويمكننا القول أن الشقاء الذى منيت به ايران فى السنوات الأخيرة من عهد ناصر الدين شاه وأدى الى تدميره بيداً من منح إمتياز إحتكار الطباق لشركة إنجليزية فى مارس ١٨٩٠ (٥) ، إحتكر صاحبه بمقتضاه كل الطباق المنتج فى ايران لمدة خمسين عاما

---

١) مجذوب (طلال) : ايران منذ الثورة الدستورية حتى الثورة الإسلامية ص ١٠٠

٢) Marlow (John) : Iran, pp. 28

٣) مجذوب (طلال) : ايران منذ الثورة الدستورية حتى الثورة الإسلامية ص ١٠٠

٤) آرين پور (يحيى) : از صباتانيما المجلد الاول ص ٢٢٤

٥) Browne (E.G.): The Persian revolution, pp. 30, Cambridge, 1910

فلا يتم بيعه او شراؤه أو أى شكل من أشكال التعامل فيه إلا عن طريق هذه الشركة ، وربما لم يتم إدراك خطورته وأبعاده فى البداية لكن حين أدرك المستنيرون خطورة هذا الإحتكار على الإقتصاد الإيرانى إستنكر بشدة فى طول البلاد وعرضها وأخيرا أصدر حاجى ميرزا حسن الشيرازى مرجع التشيع المقيم بالنجف فتوى بتحريم التدخين وحظر التعامل فيه بأى شكل من الأشكال ، فانصاع الشعب بمختلف فئاته لفتوى النجف، فكانت هذه الفتوى هى النواة التى وحدت صفوف المعارضين لنظام الحكم القائم وكتلت قواهم . وتفاعلت الأمة بعقلية موحدة نادرا ماتحدث فى تاريخ الشعوب حتى اضطرت الحكومة الى إلغاء هذا الإمتياز فى يناير ١٨٩٢ م وكان هذا أول عمل وطنى موحد ضد الشاه ووزرائه ، وقد أظهر مايتمتع به علماء الدين من نفوذ وشعبية بين أفراد الشعب الإيرانى .

شارك فى هذه الحركة الشعبية التى تعد أول هزة للشعب الإيرانى (١) التجار والطلبة وعامة الشعب فى العاصمة ولو أنهم كانوا شيعا فى أهدافهم ، وهبت صحيفة " قانون " التى كان يصدرها ميرزاملكم خان ناظم الدولة فى لندن لمساندة هذه الحركة ، وكانت هذه الصحيفة هى ممثلة الجناح التقدمى الليبرالى فى المعارضة .

كان مدلول هذه الحركة الشعبية فى الحقيقة أعمق وأبعد من قضية حظر التدخين وعندما نتدقق النظر فى هذه الواقعة التاريخية الهامة نصل الى تلك الحقيقة المنطقية وهى أن هذه الحركة قد أثرت فى تصعيد المعارضة ضد الحاكم بطريقين غير مباشرين :

(١) منحت الشعب الذى كان يرهب الحكومة والعرش القوة والجرأة على المعارضة فأدرك أنه يستطيع التصدى للشاه والحكومة ويستطيع أن يحفظ مصالحه بتحرك إيجابى .

---

١) كسروى (احمد) : تاريخ مشروطة ايران جـ١ ص ١٥

(٢) تمت هذه الحركة بتوجيه من علماء الدين وانتهت وفق هواهم فزادت قوتهم ونفوذهم وزاد خوف الشاه من هذا النفوذ المتزايد ، فكان العنصر الدينى المستنير من خير دعائم حركة المعارضة. (١)

.. .. ..

---

١) ملكزاده (مهدى) : انقلاب مشروطيت ايران جـ١ ص ١٢٦.

رحلات ناصر الدين شـــــاه

سافر ناصر الدين شاه الى أوروبا ثلاث مرات ، كان أولها عام ١٢٩٠ هـ.ق/ ٨٧٣ م وقد زار في رحلته الأولى هذه موسكو ثم إتجه الى عواصم أوروبا الغربية فزار بالترتيب : بطرسبورج وبرلين وبروكسل ولندن وباريس وجنيف وتورن وميلانو وفيينا واسطنبول ثم عاد الى ايران مارا بروسيا مرة أخرى ، وإلتقى ناصر الدين شاه في هذه الرحلة التي إستمرت قرابة خمسة أشهر بملوك أوروبا ورؤسائها ، وقد شجعه على القيام بهذه الرحلة ميرزا حسين السپهسالار ، وكان للإنجليز دور رئيسي في حمل الشاه على زيارة أوروبا وقد إتخذوا من رحلته هذه وسيلة للتقريب بين ايران وانجلترا ضد روسيا القيصرية . وفي انجلترا عمدوا الى عرض مصانعهم وقواتهم البرية والبحرية عليه حتى يرهبونه من قوتهم. (١)

وقام ناصر الدين شاه برحلته الثانية الى أوروبا عام ١٢٩٥ هـ.ق/ ٨٧٨ م ، وزار فيها باريس لزيارة المعرض الذي أقيم بها كما زار موسكو وبرلين ثم أقام في باريس مدة خمسة وأربعين يوما قبل عودته الى ايران ، وكان من نتائج رحلته هذه إنشاء "القزاقخانه" وتأسيس فرقة القوزاق القيصرية في ايران .

وفي عام ١٣٠٦ هـ.ق/ ١٨٨٩ م قام ناصرالدين شاه برحلته الثالثة الى أوروبا ورفقته الأتابك الأعظم أمين السلطان آخر صدر أعظم في عهد ناصر الدين شاه ، زار الشاه في هذه الرحلة روسيا وألمانيا والنمسا وفرنسا وبلجيكا وهولندا وانجلترا . (٢)

وبعد رحلته الثالثة بدأ ناصر الدين شاه في منح الإمتيازات للأجانب بشكل لم يسبق له مثيل ، يقول اللورد كرزن في هذا الصدد :

---

١) تيموري (ابراهيم) : عصربي خبري ، ص ١٠ ، ١١
٢) دهخدا (علي اكبر) : لغت نامه ، الجزء ٩٢

" .. بعد عودة الشاه من رحلته الى أوروبا هجم أصحاب رؤوس الأموال الأوربيون كالنمل والجراد على تهران من أجل الحصول على الإمتيازات ، كما كان هناك عدد كبير منهم فى ايران مستعد للحصول على الإمتيازات مثل إمتياز مصنع السكر ـ والتليفون ـ والزجاج ـ والمصابيح الكهربائية ـ والكروم ـ وإحتكار السلع والمحاصيل الزراعية وغير ذلك وكان الشاه مستعدا أيضا للموافقة بمجرد إيداع المبلغ الإجمالى فى الحساب الخاص بالشاه "(١)

والحقيقة أن هذه الرحلات لم تعد على الشعب الإيرانى بأية فائدة بل كانت هذه الرحلات الباهظة التكاليف تشكل عبئا جديدا على ايران وأضافت ديونا جديدة الى تلك الأزمات المالية التى عانت منها البلاد (٢) ولم يكن هدفه من رحلاته الى أوروبا الا التفريح والتنزه ، ولم يحاول أن يتعلم من التجارب الأوروبية التى كان من الممكن أن تفيد ايران بل إنه خاف من مشاهدة الإيرانيين لأوروبا والحريات التى تتمتع بها الشعوب الأوروبية حتى أنه منع سفر الإيرانيين الى أوروبا دون إذن من الحكومة ويتضح ذلك من البرقية التى أرسلها من لندن ، يقول ناصر الدين شاه فى ذيل تلك البرقية :

" ذهب آقا حسن بدون تصريح ولا أدرى هل أخذ منكم تصريحا وذهب أم لا ، على كل حال يجب أن يعاد الى ايران فى أسرع وقت ، فمن السيء للغاية أن تعتاد أقدام الإيرانى على الذهاب الى أوروبا بهذا الشكل وإذا لم يوقف هذا فلا شك أن عشرات الآلاف سوف يذهبون الى أوروبا لرؤيتها مما سيكون له أثر سيء للغاية " (٣)

---

١) نقلا عن " عصرين خبرى " ابراهيم تيمورى ، ص ١١

٢) Frye (Richard): Iran, pp. 66

٣) نقلا عن " عصرين خبرى " ابراهيم تيمورى ، ص ٦

نمو التيار القومى وعوامـــــــله

إشتد تيار المعارضة لحكم ناصر الدين شاه وخاصة فى السنوات الأخيرة من حكمـــــه ، فقد مارس ضغطا شديدا على القوى التى كانت تتطلع الى التحديث والحكم الدستـــــــورى الديمقراطى ، وإتبع أسلوب الحكم الإستبدادى الخانق للحريات فلم يعد هناك أى مظهـــر للعدل أو للحرية بل كان الفنـاء مصير كل خطوة فى طريق تنوير الفكر أو صوت ينـــــادى بالقانون والعـدالة الإجتماعية (١) ، ورغم ذلك سرى تيار إنتقاد أوضاع الحكومة وأسس الحكـم على لسان أغلب طبقات الشعب وحين خشيت الحكومة الإيرانية مغبة الأمر وزاد سوء ظنهـــا أسست جهازا لكتابة التقارير السرية كان عمل عيونه الوشاية بالمواطنين وكان يسمى هؤلاء العيون " سر قسمه "أى رؤساء الأحياء وكانوا مسئولين مباشرة أمام رئيس الشرطة (الكلانـتر) ويعيشون فى أحيائهم ولم يكن لهم زى مميز ، وكانوا على علم بتحركـات وعادات كل فرد فـــى المنطقة ، إلا أنهم كانوا مألوفين لدى الناس فى هذه الأحياء فمع أنهم كانوا عيون الحكومـــة إلا أنهم كانوا أيضا حماة للناس من السرقات والإزعاج المفاجئ .. (٢)

وبالإضافة الى الحكم الإستبدادى وكبت الحريات ظهرت فى عهد ناصر الدين شـــــاه عوامل وأسباب أثرت ـ فى مجموعها وكل على حدة ـ فى نمو التيار القومى والفكر الإصلاحـــى ومن هذه العوامل مايعد من إنجازات ناصر الدين شاه الإيجابية التى تمت بتوجيه منـــه إلا أنها ساعدت على نمو التيار المعارض له حين حاد عن الإصلاح وإتجه الى الإستبداد وكبت الحرية ، أى أن هذه العوامل تمت على يديه وفى النهاية ساعدت على زلزلة عرشه ، وقد ساعـد طول فترة حكمه على إشتداد هذه العوامل وإتضاح أثرها .

١) ملكزاده (مهدى) : انقلاب مشروطيت ايران جـ ١ ص ١٣٣

٢) Avery (Peter): Modern Iran, pp.111

ا ـ العوامل الداخلية :

(١) إنجازات ميرزا تقى خان أميركبير (توفى عام ٨٥٢ لم) التى تعد أول خطوة فى طريق الإصلاح ومن أهمها تأسيس المعهد العلمى " دار الفنون " عام ٢٦٨ اهـ.ق./ ١٨٥١ م . لتدريس العلم الحديث على النمط الأوربى .

(٢) ظهور الطباعة وإنتشار المطابع مما أثر فى سرعة إنتقال الكلمة المكتوبة وإتساع نطاق نشرها مما ساعد على نشر الفكر القومى المنادى بالإصلاح .

(٣) ظهور الصحافة وهى نتيجة مباشرة للطباعة ، وكان لها دور رائد فى الحركة القومية ونشر الفكر الحر والنقدى وسيرد الحديث عنها تفصيلا فى الباب الثانى من البحث.

(٤) كانت الأزمة المالية وإفلاس الخزانة سببا فى العجز المادى للحكومة وعاملا محددا للتطورات السياسية فى هذه الفترة ، وكان للقروض الأجنبية تأثيران : أحدهما التأثير فى حدة الأزمة المالية نتيجة لإنفاق القروض فى أعمال غير إقتصادية ولاتعود بالفائدة إلا على الطبقة الحاكمة ، والآخر أن القروض الأجنبية قد هزت الرأى العام كمظهر من مظاهر السياسة الإستعمارية . (١)

(٥) تغلغل النفوذ الأجنبى فى ايران وزيادة أعداد الموظفين الأجانب الذين سيطروا على عصب الحياة الإقتصادية فى البلاد ، وكانوا يسيطرون على شئون الدولة عن طريق عملائهم من رجال الحكومة الإيرانية ممن كانت القوى الأجنبية تستقطبهم بالمال تارة وبالتهديد تارة أخرى .

ب ـ العوامل الخارجية :

أما العوامل الخارجية التى كان لها أثر فى نمو التيار القومى فكان تأثيرها محدودا ، ومن هذه العوامل :

---

(١) آدميت (فريدون) : ايديولوژى نهضت مشروطيت ايران، تهران ٢٥٣٥، ص ١٤٤

(١) حرب روسيا واليابان فى فبراير ١٩٠٤ والهزيمة غير المتوقعة للروس على يد دولة شرقية كاليابان ، وكانت أخبار إنتصارات اليابان تصل الى أسماع الإيرانيين مما كان له أثر على أفكارهم إذ كانوا يظنون أنفسهم أضعف وأعجز من أن يقاوموا العرش والنفوذ الأجنبى .

(٢) الحركات الإصلاحية فى بعض الدول الشرقية والمجاورة لإيران كحركة عرابى بمصر عام ١٨٨٢ والحركة الدستورية فى الدولة العثمانية خاصة وأن لها ظروف تشبه ظروف ايران فى ذلك الوقت ، وقد حفزت هذه الحركات الإصلاحية فى الدول الإسلامية الوطنيين الإيرانيين الى القيام بحركة مشابهة ينالون بها حقوقهم .

(٣) الحركات الثورية المتتالية فى روسيا القيصرية والتى إنتهت عام ١٩٠٥م . بقيام أول ثورة فى روسيا ، وكانت أنباء هذه الثورات تؤثر على الفكر الإيرانى المستيقظ ، وقد خدمت هذه الثورات الحركة الوطنية الإيرانية إذ أنها شغلت روسيا عن التدخل المضاد للحركة الوطنية فى ايران (١) ، فمن المعروف أن روسيا القيصرية كانت تساند النظام الحاكم فى ايران .

(٤) السيدجمال الدين الأفغانى ورحلتاه الى ايران عامى ١٣٠٣ ، ١٣٠٧ هـ . ق / ١٨٨٦ ، ١٨٩٠م . ودوره فى إيقاظ وتنوير أفكار الشعب الإيرانى وتثويره على أسس الحكم الإستبدادى فى ايران وتحريضه لمجتهدى النجف على القيام ضد الحكم القاجارى ، ويتضح ذلك من رسالة أرسلها السيدجمال الدين الى "ميرزاى شيرازى" يتحدث فيها عن ناصر الدين شاه ومساوىء حكمه ، يقول الأفغانى :

" أيها الإمام الكبير ، لقد أصبح شاه ايران خسيسا وسيىء السمعة وخفتت مشاعره فاتخذ سوء السلوك سبيلا ، إنه عاجز عن إدارة البلاد وعن حفظ المصالح العامة ، لذا فقد

---

١) آرين پور (يحيى) : از صباتا نيما ، ج١ ، ص٢٢٦

أسلم زمام الأمور ليد رجل دنيء سيء حقير يسيء الى الأنبياء على الملأ ولا يرعى أحكام دين ولايقدر الزعماء الدينيين حق قدرهم ويسب العلماء ويتهم الأتقياء ويحقر من شأن السادات العظام ويعامل الوعاظ معاملة سيئة كسائر الناس" .

ويقول فى نهاية رسالته :

" والخلاصة أن هذا الرجل الفاسد أمره قد وضع دولة ايران فى مزايدة وباع ديار محمدصلى الله عليه وسلم والبلاد الإسلامية للأجانب " . (١)

وكان السيد جمال الدين الأفغانى يحرض أنصاره على إيقاظ الشعب الإيرانى من خلال المحافل السرية (٢) ، وذهب إثر إستبعاد ناصر الدين شاه له من ايران الى لندن وإتخذ من صحيفتى " قانون" و" ضياء الخافقين" بلندن منبرا جديدا يندد من فوقه بالإستبداد عامة وبحكم ناصر الدين شاه خاصة . (٣)

هذه العوامل وغيرها أحدثت صدعا فى الهيكل المهترئ للمجتمع الإيرانى تدريجيا وعلى فترات ، وأفزعت هذه العوامل الطبقة الحاكمة وزلزلت أسلوبها العتيق فى إدارة البلاد ذلك الأسلوب الذى عرض البلاد للبيع لروءوس الأموال الأجنبية أو الإستعمار الوشيك من جانب الروس والإنجليز وهيأت الشعب فى نفس الوقت لتقبل تغيير جذرى فى هيكل الإدارة وإختيار أسلوب جديد للحياة .

وساعد طول فترة حكم ناصر الدين شاه آل قاجار (١٨٤٨ ـ ١٨٩٦) على استمرار تصدع أسس الحكم القاجارى وتدهور الأوضاع فى مختلف شئون البلاد كما ساعد أيضا على

---

١) نقلا عن " عصر بن خبرى " : ابراهيم تيمورى ، ص١٢
٢) كرمانى (ناظم الاسلام) : تاريخ بيدارى ايرانيان ، جـ١ ، ص١٣
٣) مجذوب (طلال) : ايران من الثورة الدستورية حتى الثورة الإسلامية ، ص٥٨
وتيمورى (ابراهيم) : عصر بى خبرى ، ص٦٥

التحضير للثورة وتهيئة المناخ لثورة تعيد البلاد الى الطريق الصحيح بينما ساعدت محاولات ناصر الدين شاه الإصلاحية حتى فى حالة نجاحها على إثارة روح السخط بين الشعب ، فكانت فترة ولايته فرصة للقوى الثورية لتنظيم صفوفها وإعداد العدة للحركة الوطنية. وحال الكبت العنيف الذى مارسه منذ عام ١٨٥٢ م عن عمد دون قيام هذه القوى الثورية فانتظرت حتى ينهدم حكمه الفردى ويخلفه حاكم أضعف منه (١) بالإضافة الى أن هناك فكرة كانت تسيطر على الفكر الوطنى الإيرانى وهى أن الثورة تؤدى حتما الى إحتلال البلاد عسكريا من جانب القوى الأجنبية ، وقد إستولت هذه المخاوف على الفكر العام فى العهود التاريخية المختلفة وفى عهد الدستور بشكل خاص، يقول " لاسلس" الوزير المفوض الإنجليزى فى ايران فى أحد تقاريره الرسمية عن الأوضاع فى ايران :

" إن الأوضاع العامة " غير عادية" ولو أنها لم تبلغ حد " الأزمة" ، السخط متفش بين الشعب ، والسبيل الوحيد لحل هذه المشكلة هو تغيير نظام الحكم ، فقد باتت المعارضة للشاه علنية وصريحة ، ولكن ليس هناك قائد يتزعم الحركة الوطنية ضد الشاه ، أما الفئة التى خرجت من الشعب وكانت تفكر فكانت تعلم جيدا أن قيام حركة أو وقوع فوضى سيؤدى حتما الى إحتلال القوى الأجنبية للبلاد ، ولن ينتهى بالقضاء على الأسرة القاجارية فحسب ، بل سيكون هلاكا لدين ايران وكيانها كدولة" . (٢)

كان هذا العامل النفسى مثبطا للحركة الوطنية ومنشطا للقوى الرجعية ومفيدا لها فى نفس الوقت، وجدير بالذكر أن " لاسلس" الذى كتب عن التطور السياسى فى ايران لم

---

(١) Avery (Peter) : Modern Iran, pp. 125

(٢) من " لاسلس" الى لورد " روزبرى" ٢٨ سبتمبر ١٨٩٢ (٦ ربيع الأول ١٣١٠ هـ. ق.) نقلا عن فريدون آدميت: ايديولوژى نهضت مشروطيت ايران ص ٤٦.

يكن من زمرة الموظفين المخادعين (كسلفه سير " دراموند وولف " اليهودى) بل كان محايدا منصفا محبا للحرية ، قال " لاسلس " لناصر الدين شاه فى وداعه له حين كان عائدا الى بلاده :

" والآن حيث أرحل الى لندن ماذا أقول إذا سألنى رجال الدولة البريطانيون على أى وضع تركت ايران ، فليس عندكم قانون ولا عدالة ولا مروءة ، ولاتفكرون فى صالح البلاد والرعية " . (١)

تطور الموقف مع أواخر عهد ناصر الدين شاه :

بعد إلغاء الشاه لإمتياز الطباق عام ١٨٩٢ م ، تمهدت الساحة لتحرك يقف فيه الشعب خلف بعض القيادات الدينية فى التشكيل القومى ضد العرش ومن والاه من الأجانب ، وبدأت الأصوات المنادية بضرورة إقرار القانون والشورى وتوزيع المسئوليات وتنظيم الإقتصاد تعلو من داخل ايران وخارجها . وشرع الكتاب التقدميون فى العمل من أجل إيقاظ الأمة من جهلها وغفلتها ، وكان معظم هؤلاء التقدميين القوميين قد لقوا تعليمهم فى أوربا وعلى علم بأسس الحضارة والعلوم الحديثة دون تعريف الشعب بها ، وكان دور السيد جمال الدين الأفغانى كخطيب ثورى وشعبى ذا أهمية بالغة فى تحديد حجم المسميات السياسية الحديثة مثل : "الوطنية " و"القومية " و" الشعب " تلك المسميات التى كان قادرا على تحقيقها فى الواقع ومن وجهة نظر قريبة من الفكر الإسلامى (٢) ، فقد كانت هذه المسميات الحديثة نتاج الفكر الأوربى الليبرالى الحديث واستخدمها جمال الدين الأفغانى فى دعوته الثورية التى تقوم أساسا على الفكر الإسلامى .

---

١) اعتماد السلطنه : روزنامه خاطرات ص١٠٦ نقلا عن فريدون آدميت: ايديولوژى نهضت مشروطيت ايران ص ٤٨

٢) Rypka (Jan): A history of Iranian literature Dordracht - Holland, 1967, pp. 354

دور الجناح الدينى فى الحركة الاصلاحية :

إن ماحققته الفتوى الصادرة عن مرجع التشيع تعد أكبر إنتصار لطبقة علماء الدين الإيرانيين وسببا فى عودتهم الى قيادة الأمة روحيا (١) ، لكن هذه العودة الدينية لم تكن ذاتية أو طبيعية بل كانت من أعراض التهدم المعنوى للقوى السياسية التى لم تحاول تصحيح أسس الحكم أو تعمل على إستئصال جذور الفساد ، ومع ذلك لم يكن عدد علماء الدين المستنيرين الذين أدركوا مساوىء الحكم الإستبدادى وتفشى الفساد فى الدولة كبيرا ، بل كانوا قلة من كبار طائفة العلماء إلا أن تأثيرهم على دفع الحركة الإصلاحية القومية بلغ درجة كبيرة أضفت على الحركة الدستورية طابعا دينيا بالإضافة الى طابعها القومى .

وهناك بعض العوامل التى دفعت هؤلاء القادة الروحيين الى الإنضمام لصفوف الحركة الإصلاحية الدستورية وهى :

(١) رفض المذهب الشيعى للحكم الإستبدادى والمظالم التى تفشت فى البلاد ومن ثم كانت مقاومة ظلم آل قاجار وإستبدادهم عملا مقدسا مما أضعف من قوة القاجاريين وضرب أساس حكمهم .

(٢) رجوع الناس فى كل شئون حياتهم الى علماء الدين وطاعتهم وثقتهم بهم .

(٣) الإستقلال المالى الذى تمتع به العلماء مما أغناهم عن عون الحكومة ومايجره من ضغوط .

---

١) يرى فريدون آدميت فى كتابه "ايديولوژى نهضت مشروطيت ايران" ص ٣٨ أن هذه الفتوى كذبة سياسية أطلقها الروس بين الشعب الإيرانى للحيلولة دون تقدم النفوذ البريطانى فى ايران وأن العلماء قد سارعوا الى التصديق عليها وتبنيها بعد أن رأوا استجابة الشعب بأكمله لها ، ولكنا لانملك اى سند أو مرجع آخر يؤيد فريدون آدميت فيما ذهب إليه .

(٤) وجود المرجع الشيعى خارج الأراضى الإيرانية (بالنجف) مما أعطاهم حرية التحرك فى مقاومتهم لإنحرافات العرش وسياسة الحكومة. (١)

وقد إتجه علماء الدين الى مساندة الحركة الإصلاحية رغم إدراك بعضهم أن الأمر الجديد لايبشر بأى خير لهم (٢)، فكان اقرار القانون الوضعى والحكومة الدستورية يعنى بالنسبة لهم ضياع نفوذهم الروحى كمرجع للفتاوى والأحكام، ويعنى أيضا إنتقال السلطة الى القانون الوضعى وحكومة الشعب مما لايقوم أساسا على الشريعة الإسلامية ويمكننا القول أن العنصر المستنير من علماء الدين قد ناصر الحركة الاصلاحية تحت تأثير التيار الفكرى السائد وكان دورهم الأساسى فى المرحلة الاخيرة من الحركة هو توجيه السياسة الدستورية توجيها شرعيا متوسلين بأصل الإجتهاد والتفسيرات الشرعية، فقد كانت السياسة الدستورية أو فكرة حكومة الشعب من الأسس الأصلية للحضارة الغربية جلبها الى ايران المستنيرون والتقدميون الليبراليون ونشروا أفكارها ومبادئها فى ايران وسعوا الى تطبيقها فى الواقع السياسى، ثم إطلع عليها العنصر المستنير من علماء الدين وتعاطفوا معها وبدأوا فى تأييدها بالتوجيه الشرعى والتحليل الأصولى (٣)، وأخذوا على عاتقهم مسئولية النهضة القومية وكلفوا الشعب بمساندة الدستور والمبادئ التقدمية عن طريق الفتاوى الشرعية والأحكام الدينية، يقول المجتهد المستنير سيد محمد طباطبائى :

" نحن لم نر النظام الدستورى ولكننا سمعنا عنه وروى لنا الذين زاروا الدول التى تعمل بنظم دستورية ان حكم الشعب وسيادة القانون يؤديان الى أمن البلاد

---

١) مجذوب (طلال) : ايران من الثورة الدستورية حتى الثورة الإسلامية . ص ٧٠ .

٢) Sykes (Sir Percy): A history of Persia, vol., II third ed., pp.382, London, 1930

٣) آدميت (فريدون) : ايديولوژى نهضت مشروطيت ايران ، ص ٢٢٦

وتعميرها ، فتشوقنا اليه وأحببناه ومهدنا لإقراره فى بلادنا " (١)

كان ميرزا سيد محمد طباطبائى عالما دينيا ذا مكانة ، ومن قادة الحركة الدستورية فى ايران وكان يعارض الوجه البغيض لعلماء الدين الذين كانوا يستغلون الدين طلبا للدنيا ، وكان يحمى الأحرار والوطنيين الذين كانوا يتعرضون لتكفير الملات المرائين (٢) ، وكان هذا الزعيم المستنير ومعه حاجى شيخ هادى نجم آبادى (٣) ، وميرزا بهبهانى وآخوند ملا هادى سبزوارى وغيرهم من الزعماء الروحيين التقدميين يشكلون الجناح التقدمى للفكر الإسلامى المنادى بالحكومة الدستورية ، وكان لكل من هؤلاء القادة الروحيين أنصار وأتباع من الطلبة الدارسين بالنجف وكربلاء يؤيدون الفكر التقدمى ، وكان هؤلاء الطلبة الذين تطلعوا الى التغيير والإصلاح هم آداة نضال المجتهدين أو " جيش الشريعة " . (٤)

لم تكن الجماهير العامة من الشعب الإيرانى تعرف شيئا عن الدستور والقانون والفكر الحديث لكنها كانت تعرف السيدين طباطبائى وبهبهانى ، وكان الأخيران قد عقدا تحالفا قويا فيما بينهما لتحقيق أهداف الشعب ونصرة الدستور (٥) ، ولم يكن دور زعماء علماء الدين قاصرا على إيقاظ الجماهير فى العاصمة وحدها بل إمتد دورهم ونشاطهم الوطنى اليقظ الى كبريات المدن الإيرانية ، يحضون الناس على العمل ومكافحة الجهل والتخلف ويشجعون الناس على بناء الصناعات وتعلم الحرف ، ورد فى صحيفة " حبل المتين "

---

١) آدميت (فريدون) : ايديولوژى نهضت مشروطيت ايران ، ص ٢٢٦
٢) ملكزاده (مهدى) : انقلاب مشروطيت ايران ، جـ ١ ، ص ٢٢٦
٣) كان الشيخ نجم آبادى هدفا لبغض الملات المرائين ورجال الدولة المتجبرين واتهم بالبابية وكان خصومه هؤلاء يمنعون الناس من مجالسته .
٤) كسروى (احمد) : تاريخ مشروطة ايران ، جـ ١ ، ص ٣٣
٥) كسروى (احمد) تاريخ مشروطة ايران المجلد الاول ص ٥٠

(كان حاجى شيخ عبدالحسين اشرف الواعظين الطهرانىّ المقيم فى رشت أول مايرتقى المنبر كان يعظ الناس من كل سبيل ، وكان فى استهلا له" للروضة" يقول أن البطالة واللامبالاة لاتجدى ، وينبغى تعلم الحرف والصنائع).(١)

وكان " الحاج على اكبر شكسته" يحض الناس فى شيراز على الجهاد ومقاومة ظلم الحكام، ولم يقتصر دورهم على الوعظ وكشف مساوىء الحكم الإستبدادى بل اعتنق بعض هؤلاء القادة الروحيين أفكارا تقدمية جريئة بالنسبة لمن كانوا يحملون لواء الدين فى ايران حينئذ فأعلن السيد جمال الدين الواعظ الإصفهانى فى خطبة له بأحد مساجد اصفهان أن النظام الجمهورى هو النظام الأقرب الى الإسلام وأيد قوله هذا بآيات من القرآن الكريم.(٢)

ان مجرد هذه الفكرة التى تدعو الى النظام الجمهورى تعد تحولا خطيرا فى أفكار الشعب الايرانى عامة وعلماء الدين خاصة ، وتعطى صورة واضحة عن الدور المؤثر الخطير الذى إضطلع به علماء الدين المستنيرون الإيرانيون فى قيادة الحركة القومية وفى توضيح مطالبها التقدمية.

هذا عن علماء الدين التقدميين الذين أخذوا على عاتقهم قيادة الحركة الوطنية الدستورية بمجرد بدايتها ، أما فيما يتعلق بالأغلبية الغالبة من الملات وعلماء الدين الإيرانيين فقد عارضوا تحديث الحياة فى ايران نظرا لما يجره التحديث والتنوير من ضياع لنفوذهم القوى بين عامة الشعب الإيرانى فسعوا لإعاقة الحركة المنادية بالتغيير العام

---

١) صحيفة (حبل المتين) : العدد الثامن والثلاثين ١٦ ربيع الثانى ١٣١٨ هـ - ١٣ اغسطس ١٩٠٠ م

٢) ف ٠ و٠ ٢٥/٤١٦ من تقرير دف الى لانسدون برقم ٢٦١ تهران فى ٧ كانون الاول ١٩٠٥ م ٠ نقلا عن كتاب : ايران من الثورة الدستورية حتى الثورة الإسلامية طلال مجذوب ص٠٧

للحياة فى ايران ، فما كان يفتأ شخص أن يخرج عن دائرة القديم وحب الإستبـــداد ويتحدث عن حقوق الشعب وعن المساواة الإجتماعية والقانون حتى يتهم بالبابية والإلحـاد والتفرنج ، فكانت المناداة بالحرية الفكرية فى نظر هذه الفئة الدينية جريمة بل كان من يعارض الخرافات والعادات الذميمة المتفشية بين العامة فى ذلك الوقت يعد مارقا آثما ، وكـــان الملات المعارضون للتحديث يعلنون من فوق المنابر أن الله قد خلق الفرنجة ليعلمـــوا ويكدحوا لتلبية إحتياجات المسلمين حتى يفرغوا لعبادة الله . (١)

لكن كثيرا من هؤلاء الملات المعارضين انضموا الى الأغلبية التقدمية من علماء الديـــن فيما بعد وكان لهم دور هام فى مساندة المبادئ الدستورية .

.. .. ..

---

١) ملكزاده (مهدى) : انقلاب مشروطيت ايران ، المجلد الاول ص ١٠٠

موقف روسيا وانجلترا من الحركة الوطنية :

كانت روسيا تقف حجر عثرة فى طريق كل محاولة للتغيير والتطوير وخاصة التطـــورات القومية وتعمل على بقاء الجهاز الحاكم المستبد فى ايـران ، وكانت بريطانيا قلقة على التقـدم الذى تحرزه روسيا فى ايران ، وما أن ظهرت بوادر الحركة الوطنية حتى سارعت الى مساندة الدستوريين قدر ما سمحت الأوضاع (١) لكن مساندة بريطانيا للدستوريين لم تكن حبـــــا للديمقراطية بالطبع وإنما كانت فقط لأن روسيا تساند الشاه . (٢)

والغريب أن بعض الكتاب المشايعين للإستبداد والمعادين للحكم الدستورى فـــى ايران كانوا يعتبرون الدستور إبنا شرعيا لمساعى بريطانيا ويتصورون أن هذه الحركة الوطنيـة العامة التى تطورت مقدماتها طوال نصف قرن بتضحيات أبناء ايران القوميين ونبعت مـــن الفلسفة الواقعية ما هى إلا صراع سياسى حركته المصالح البريطانية فى الشرق الأوســـط لحماية إمبراطوريتها فى الهند .

الحقيقة أن بريطانيا كانت تريد أن تجعل من ايران سدا منيعا بين روسيا والهنـــد وكانت تساعد وتساند أى نظام يؤ من لها هذا الهدف سواء كان نظاما إستبداديـــا أو دستوريا ومن حسن الطالع أنه ماكادت طليعة الحركة الدستورية تبدو فى الأفق حتى إنشغلت روسيا ـ حامية النظام الدكتاتورى فى ايران وخصم كل منادى بالحرية والتقدميـــة ـ بالثورات والإنتفاضات فى داخلها مما أعطى الفرصة للأحرار الإيرانيين لتحقيق الهدف الذى كان نصب أعينهم . (٣)

---

١) ملكزاده (مهدى) : انقلاب مشروطيت ايران الجزء الاول ص ٢٦١

٢) Elwell - Sutton: Modern Iran, pp. 63

٣) ملكزاده (مهدى) : انقلاب مشروطيت ايران الجزء الاول ص ٢٦١

نهاية ناصر الدين شاه :

وبعد نصف قرن من الحكم المطلق وبيع موارد البلاد للأجانب أطلقت النار على ناصر الدين شاه في الثامن عشر من ذى القعدة عام ١٣١٣ هـ.ق/ ١٨٩٦ م. عشية إحتفاله بمرور خمسين عاما على جلوسه على عرش ايران ، وموت ناصرالدين شاه إنتهى النظام المطلق الذى فرضته الأسرة القاجارية منذ نشأتها (١) ، وقد فجر إغتيال ناصر الدين شاه معارضة قوية لفكرة حكم "ظل الله في الأرض" . (٢)

كان قاتل ناصر الدين شاه هو ميرزا رضا كرمانى وهو أحد أنصار جمال الدين الأفغانى الذى كان ينادى بتخليص العالم الإسلامى من الطغاة التقليديين.

أوضح ميرزا رضا كرمانى فى الإستجواب الذى أجرى معه سبب إقدامه على إغتيال ناصرالدين شاه فقال :

" خراب الدولة وظلم الحكام وتفشى الفساد وحكم الطغمة الخائنة ومنح الإمتيازات للأجانب وقرب وقوع دولة المسلمين فى يد الأجانب " . و" كان ناصر الدين شاه حاكما سيئا نتج عن سوء أفعاله خراب البلاد وكان أعوانه أراذل وأدنياء فكان ينبغى أن تجتث جذور هذه الشجرة حتى لاتثمر هذا النوع من الثمر مرة أخرى . "(٣)

فتح إغتيال ناصر الدين شاه باب الإرهاب السياسى ، وعندما إنتشر خبر تلك الحادثة هب الوطنيون التقدميون لدعوة الشعب الى الجمهورية (٤) ، وكان مظفر الدين

---

(1) Rypka (Jan): A history of Iranian literature.pp. 323 (١)

(2) Frye (Richard): Iran, pp. 66 (٢)

٣) آرين پور (يحيى) : از صبا تانيما ، جـ ١ ، ص ٢٢٤ ، وتيمورى (ابراهيم) : عصرى خبرى ، ص ٢٨ .

٤) آدميت (فريدون) : ايديولوجى نهضت مشروطيت ايران ، ص ٥٠

شاه الذى إعتلى العرش خلفا لأبيه يتصور أنه إذا ترك لهؤلاء الوطنيين حرية نشـــــر أفكارهم الثورية فإنهم سيقتلعون جذور آل قاجار من الأرض " (١) ، والواقع أنه كانـــت هناك أزمة سياسية أعنف وأشد تنتظر البلاد فى السنوات القليلة التالية .

.. .. ..

---

١) كرمانى (ناظم الاسلام) : تاريخ بيدارى ايرانيان جـ١ ، حاشية ص ١١١

مظفر الدين شـــاه :

إعتلى مظفر الدين شاه العرش بعد أبيه المغتال فى يونيو ١٨٩٦ م / ١٣١٣ هـ.ق. وكان شيخا مسنا مريضا ، وكانت صحته الضعيفة تحتاج الى العلاج فى أوربا مما تطلب مالا كثيرا وفشلت المحاولات لجمع مليون جنيها إسترلينيا فى لندن فعهد فى سبتمبر ١٨٩٨ م الى ثلاثة أشخاص بلجيكيين بجمع المال على البضائع الإيرانية وعلى الرغم من كفاءة النظم التى إستحدثها البلجيكيون فى النظام الإدارى الجمركى إلا أنهم صعدوا الموقف فى السنوات التالية بتدخلهم فى شئون الحكومة وتفضيلهم للأرمن على سائر الطوائف فى القيام بالمهم من الأعمال فتصاعد السخط بين طائفة التجار على الإدارة البلجيكية للجمارك وإشتد الإستياء العام ضد نفوذ هؤلاء الأجانب (١) فى البلاد . ولم يتوان مظفر الدين شاه عن زيادة الديون لروسيا التى سارعت بتقديم المال للحاكم الضعيف بامتنان فى مقابل الإمتيازات الجمركية ومزايا عديدة أخرى فى ايران. (٢)

وقد ساعدت سياسة مظفرالدين شاه المتجهة نحو إعتماد متصاعد على المساعدات والقروض الروسية والإنجليزية على التعجيل بخطط الوطنيين الإيرانيين والإسراع بتقنين مطالبهم ، وقد تحكمت الأهواء والمصالح الشخصية والشعور بالقوة المطلقة فى مصير البلاد فى عهد هذا الشاه كما كانت فى عهد أبيه (٣) ، وقد إتضح الخراب وتكشف الفساد بعد سقوط ناصر الدين شاه القوى (٤)

---

(1) Avery (peter): Modern Iran, pp. 122 (١

(2) Frye (Richard): Iran pp. 66 (٢

(3) Rypka (Jan): A history of Iranian literature. pp. 357 (٣

٤) بهار (محمد تقى): سبك شناسى ، الجزء الثالث ، تهران ١٣١٩ . ص ٤٠١

أدى تولى مظفر الدين شاه للحكم بضعفه وحاجته الملحة الى المال الى نتيجتين هامتين بالنسبة لتطور الحركة الوطنية :

ـ الأولى سلبية فقد إستغل رجال البلاط وأصحاب النفوذ عزلة الشاه وضعفه فأمعنوا فى إستغلال الشعب ، كما إنتهزت الدول الأجنبية الفرصة وأخذت فى مد الشاه بالقروض مقابل رهن عائدات بعض المرافق الحيوية للبلاد وزيادة ربط إقتصاد الدولة بالإقتصاد الأجنبى .

والأخرى إيجابية : حيث إغتنم الوطنيون فرصة التراخى والتساهل النسبى الذى ميز فترة حكم مظفر الدين شاه بالنسبة لعهد والده ، فعمدوا الى عقد الندوات والمجالس فى المنازل والمساجد وأكثروا من إنشاء المطابع وإصدار الصحف حتى أنه يمكن إعتبار عهد مظفر الدين شاه بداية إنتعاش الحركة الوطنية ودخولها حيز التنفيذ الفعلى وبداية النهضة العلمية والثقافية فى ايران . (١)

مظفر الدين شاه والنفوذ الاجنبى :

قام مظفر الدين شاه برحلتين الى أوربا وروسيا عامى ١٩٠٠ ، ١٩٠٢م ، كما فعل والده ناصر الدين شاه من قبله ، وعلى الرغم من أن هذه الرحلات التى كان ملوك آل قاجار يقومون بها الى أوربا لم تكن ذات هدف محدد إلا أن لها جانبا إيجابيا واحدا وهو أن هذه الرحلات كانت تنبه الحكام المستبدين الى تخلف بلادهم والى ضرورة القيام بإصلاحات حيوية فى البلاد . (٢)

---

١) رائين (اسماعيل) : انجمنهاى سرى ص ٢٥ نقلا عن طلال مجذوب : ايران من الثورة الدستورية حتى الثورة الإسلامية ، ص ١٠٤

٢) استعلامى (محمد) : ادبيات دوره بيدارى ومعاصر ، ص ٢ تهران ٢٥٣٥ شاهنشاهى

شهدت ايران فى عهد مظفر الدين شاه زيادة كبيرة فى النفوذ الروسى فى البلاط القاجارى ، ومما ساعد على إزدياد التدخل الأجنبى فى البلاد أن مظفر الدين شاه كان قد ترك شئون إدارة الدولة فى أواخر عهده لرجال البلاط الذين عملوا حسب توجيهات السياسة الروسية ، وكان لهذا التدخل الروسى فى ايران جانب مفيد للحركة الوطنية فقد إضطرت إنجلترا الى مساندة الوطنيين الإيرانيين فى مطالبتهم بالدستور والحرية ، وكانت تهدف من وراء ذلك الى صالحها فى المقام الأول ، فاذا إنتصرت الحركة الدستورية كان فى الإصلاح والدستور حد من سلطات الشاه المطلقة وفى نفس الوقت تقليص النفوذ الروسى المؤيد للشاه . (١)

وبالإضافة الى زيادة التدخل الروسى وإتضاح أوجه الفساد فى الدولة كان أبناء مظفر الدينشاه الذين حكموا الولايات الإيرانية ظلمة متجبرين نشروا الظلم فى الولايات التى حكموها وسفكوا الدماء واعتدوا على حرمات الشعب مما ضاعف من سخط الشعب على الحكومة الإستبدادية والتدخل الأجنبى (٢) وغياب الأمن وعجل بقيام القوميين بالحركة التى تعد نقطة تحول فى تاريخ ايران .

غياب دور الجيش :

إحتفظ آل قاجار بقوات مسلحة عاجزة لارجاء فيها نتيجة لإنتشار الفساد داخل الجيش وإنطفاء الروح العسكرية بين أصحاب المناصب العليا حتى أنه لايكاد يكون للجيش أى دور أو إعتبار فى الثورة الدستورية (٣) ، بل ولم يكن للجيش دور فى حماية الدولة

---

١) مجذوب (طلال) : ايران من الثورة الدستورية حتى الثورة الاسلامية . ص٦٥

٢) ملكزاده (مهدى) : انقلاب مشروطيت ايران . جـ١ . ص ١٥٠ .

٣) Sykes (Sir Percy): A history of Persia, Vol.,3 ,pp.382

وحدودها من التدخل العسكرى وقد ذكرنا من قبل إستيلاء روسيا على أجزاء من الأراضى الإيرانية من جراء ضعف القوات المسلحة حينذاك ولو كان الروس أو غيرهم من الـــــدول المجاورة لايران قد حاولوا إقتحام ايران بجيوشهم ماوجدوا مقاومة من الجيش (١) الإيرانى ، إلا أن الصراع بين القوتين العظميين فى ذلك الوقت روسيا وانجلترا حال دون إحتـــــلال أى مـــنهما للأراضى الايرانية عسكريا .

.. .. ..

---

١) يقول حاجى زين العابدين المراغى فى كتابه " سياحتنامه ابراهيم بك " المجلـــــد الأول ص٦٧ فى حديثه مع وزير الحربية عن الجيش : "من مدينة مشهد حتى وصلـــت الى العاصمة لم أجد أثرا لجنود الحدود وحماة الدولة ولاأثر لمدافع أو ذخائـــــر أو قلاع أو أبراج ، فإذا كان السلام قائما مع كل الدول المجاورة واطمأنت قلوبكم أنـــه ليست هناك حرب وشيكة فلماذا كل هؤلاء القادة وأصحاب الرتب وجهاز وزارة الحربيـة وتدوين أسماء مائتى ألف جندى على الورق ؟" .

الفصل الثانـــى

الخلفيـــة الاجتماعيـــــــة

الأوضاع الإجتماعية فى ايران قبل الدستور :

لم يكن" للرعية" دور فى إدارة شئون البلاد أو تقرير مصيرها فى العهود السابقة على الدستور فكان الشاه يعتبر نفسه مفوضا من قبل الله للحكم فى الأرض فكان تقليد الإستبداد ومطلقية الحكم هو سمة الحكم فى ايران ، وكانت الرعية ترى الإستبداد مقبولا أو محتملا كسمة طبيعية من سمات العالم قبل حلول الألف السعيد الذى يفتتح الحكم الموعود بالعدل والقسطاس حسب المذهب الشيعى ، وكان الفرس يؤمنون بالحق الإلهى للملوك (١) ويتقبلون حكمهم الجائر قبولا حسنا وعن طواعية وقد زاد الإستبداد ومطلقية الحكم فى الفترة السابقة على الدستور وشاع التملق وضاع قول الحق وإنتشر الإنحطاط والفساد الخلقى بين الخاصة والعامة. (٢)

وفى أواخر القرن التاسع عشر شهدت الحياة الإجتماعية فى ايران تحولات وتطورات خطيرة ضمن ماتميز به ذلك العهد من إختلاف جوهرى عن سالف العهود فى ايران ، فقد وضعت التطورات السياسية والإقتصادية البلاد على أعتاب مرحلة جديدة وأحدثت تغييرا ملحوظا فى الأفق الإجتماعى وأهم مظاهر هذا التحول الإجتماعى هو بداية إعتراض الإيرانيين على الحكم الإستبدادى ومطالبتهم بالحرية والدستور والمساواة الإجتماعية والعدل ، ويعد هذا فى حد ذاته " طفرة" إجتماعية غيرت إتجاه التاريخ الإيرانى .

بنية المجتمع الإيرانى :

كان المجتمع الإيرانى يتكون من ثلاث طبقات إجتماعية :

---

(1) Laurence Lockhart: The constitutional laws of Persia, (١
The middle East Journal, Vol.XIII , pp.372

٢) ملكزاده (مهدى) : انقلاب مشروطيت ايران ، الجزء الاول ، ص ٦٥

(١) طبقة رجال الدولة والأمراء ، وكانوا رغم علمهم بأوضاع البلاد وإطلاعهم على المفاسد الإجتماعية وضعف جهاز الإدارة يسعون الى الحفاظ على قوة الجهاز الإستبدادى الحاكم لأنهم كانوا هم أنفسهم سبب هذا الفساد ويستفيدون من إستمراره ، وقد أمسكوا من خلال التعاون القريب فيما بينهم بأزمة الأمور فى البلاد ولم يكن لأحد القدرة على مخالفة إرادتهم وإعاقة مصالحهم ، ومع ذلك كان من بينهم من كان على قدر من الإنصاف والضمير ويتطلع الى الإصلاح لكنه يخشى من فقدان مكانته ومصالحه الشخصية ، وكان هؤلاء يلتزمون التحفظ عندما يدور الحديث أمامهم عن حقوق الشعب ويتذرعون بأن الشعب غير ناضج سياسيا لدرجة تكفى لتدخله فى إدارة البلاد وتقرير مصيرها . (١)

(٢) طبقة علماء الدين والملات وكان لهم نفوذ وتأثير كبيران على الشعب الإيرانى وذلك بطبيعة التكوين الدينى والنفسى للشعب ، كانت أغلبية هذه الطبقة تعمل على بقاء النظام الإستبدادى الحاكم مما كان يتيح لهم فرصة السيطرة على عقول العامة ، ولكن كان بينهم أيضا عدد من العلماء الأتقياء المستنيرين الذين تحدثنا عنهم فى الخلفية السياسية .

(٣) طبقة العامة التى كانت تشكل القاعدة العريضة من الشعب الإيرانى وهى طبقة كادحة عانت من الظلم وكان عليها إعداد كل وسائل حياة الدولة ، وكان هؤلاء العامة يعيشون فى ظلام الجهل ولانصيب لهم من الحضارة والعلم والحرية ، وعندما كان مستنيروهم يبصرونهم بالشقاء الذى يعيشون فيه كانوا يجيبون بأن الله قد قدر لهم ذلك ، إذ كانوا يتصورون أن الله قد خلق هذه الطبقة العامة عبيدا للطبقة الحاكمة ولايتصورون أنهم ايضا بشر متساوون فى الحقوق مع سائر الطبقات . (٢)

---

١) ملكزاده (مهدى) : انقلاب مشروطيت ايران ، المرجع السابق ، ص ١٠٥
٢) المرجع نفسه ، ج ١ ، ص ١٠٥

الإتصال بأوربا وآثاره على الحياة الإجتماعية :

إنتعش الإتصال بأوربا فى تلك الفترة بعد أن كان قد خمد فى أعقاب العصر الصفوى ، لكن هذا الإتصال الذى كان لايزال طفيفا فى أوائل النصف الثانى من القرن التاسع عشر ترك تأثيرا ذا وجهين على الحياة الإجتماعية فى ايران ، أى أنه أثر تأثيرا إيجابيا من ناحية وسلبيا من ناحية أخرى .

أما تأثيره الإيجابى فهو إطلاع المستنيرين الإيرانيين على نظم الحكم الدستورى والديمقراطى فى أوربا وإيضاح الفارق بين الحياة فى ظل نظام إستبدادى بلا قانون ينظم شئون الدولة ويحدد العلاقة بين الحاكم والمحكوم من ناحية وبين أفراد الشعب نفسه من ناحية أخرى وبين الحياة فى ظل حكم دستورى ديمقراطى ، وقد بدأ النظام الدستورى فى فكر المستنيرين الإيرانيين كباعث على التقدم فى كل نواحى الحياة فآمنوا به وعملوا على إقامته فى بلادهم ، وكان معظم الدستوريين الذين نادوا بوجوب إقرار الدستور والحرية والتحديث ممن تلقوا تعليمهم فى أوربا فكان إيمانهم بالحياة النيابية والديمقراطية راسخا .

ومن الآثار الإيجابية ايضا للإتصال بأوربا ورود التقنية الأوربية الى ايران ، فقد صاحب التأثير الفكرى الأوربى شىء من التقنية الغربية ساعدت على تقدم تيار التحديث فى ايران ، ومن هاتين الناحيتين كان الإتصال بأوربا عاملا بناء .

اما التأثير السلبى فهو زيادة نفوذ رأس المال الأوربى بما صاحبه من تدخل فى الشئون الداخلية للبلاد وربط للإقتصاد الإيرانى بالإقتصاد الأوربى ، كما زادت كميات البضائع والسلع الاوربية الصنع فى الأسواق الإيرانية بشكل مطرد مما حال دون نمو الصناعات الوطنية وعوق قيام نهضة شاملة فى فترة لو أحسن إستغلالها لكانت ايران فى مصاف الدول المتقدمة ، فكان الإتصال من هذه الناحية عاملا هداما .

سقوط النظام الإقطاعى ونمو الطبقة المتوسطة :

أخذ الإقتصاد الإقطاعى فى هذا العهد فى التحول الى إقتصاد رأسمالى مفتوح تحت ضغط رأس المال الأوربى ، أى أن النظام الإقطاعى الذى ظل قائما فى ايران عهودا طويلة عانى من أزمة شديدة فى تلك الفترة نتيجة للظروف الإقتصادية الجديدة التى خلقها رأس المال الأوربى الذى إتخذته القوى الأوربية وسيلة جديدة للسيطرة على الدول الأخرى .

كانت الطبقة البرجوازية المتوسطة قد نما ثراؤها إبان تلك الفترة بفضل التجارة والظروف الإجتماعية والإقتصادية الجديدة ، وقد إستغلت هذه الطبقة أزمة النظام الإقطاعى لصالحها فاحتلت مكان الإقطاع السابق محققة ذلك بشراء أراضى الفلاحين وممتلكاتهم لإحتكارها وحيازة القوة السياسية بالتالى (١) ، وقد أمعن القرن التاسع عشر فى إيقاظ الطبقة البرجوازية المتوسطة والنهوض بها وفى إقصاء الطبقة الإقطاعية من مكان الصدارة فى بنية المجتمع الإيرانى .

تطور الحياة الإجتماعية :

ماج المجتمع الإيرانى فى ذلك العهد بتيارات فكرية وإجتماعية مختلفة أصلية ووافدة ، رجعية وتقدمية ، تقليدية ومجددة ، ونتج عن كثرة هذه التيارات الإجتماعية تطرف حاد فى بعض الأحيان هدد بهدم البنية الإجتماعية وإعادة بنائها بشكل آخر ، وكان ناصر الدين شاه يحاول جاهدا أن ينأى بالبلاد عن أى لون من ألوان التطرف فى ايران ، لهذا كان يتظاهر بالولاء الأمثل للتحديث والتقدمية إلا أن التحفظ القائم على تجنب التطرف كان مستترا وراء هذا التظاهر ، فالشرائح المختلفة من المجتمع ـ والتى آزرت كل منها الأخرى فى البنية

---

(1) Rypka (Jan): A history of Iranian literature pp. 321 (١

الإجتماعية بتوازن تام ـ لايجب أن تهتز الى درجة هدم البنية بأكملها (١) ، وفي نفس الوقت يجب أن يظل هو الحاكم المطلق الأوحد بيده كل أزمة الحكم وشئون الدولة .

يقول كورزون في وصفه للظروف الإجتماعية التي شهدتها ايران في أواخر عهد ناصر الدين شاه :

" كان العنصر الفردي في دولة على هذه الدرجة من التخلف الدستوري والتجرد من القوانين والغرق في تقاليد الشرق الضاربة بجذورها في أعماق التاريخ مسيطرا الى درجة بعيدة ، وشهدت الفترة الأولى من حكم ناصر الدين شاه تأثيرا متسلطا تمثل في قوة الصلات إلا أن الشاه قد بالغ في الحد من هذا التأثير بتأكيد تدريجي للسلطة المدنية بوضع إدارة علمانية على الأوقاف الدينية فأصبح بذلك لايسأل وقادرا على كل شيء بالفعل مع تحكم مطلق في أرواح رعاياه ومصير البلاد ". (٢)

الفئات الإجتماعية المشاركة في التمهيد للحركة الدستورية :

كانت الحركة الدستورية نتاج جهد مفكري الأمة ومستنيريها التقدميين الليبراليين وساعد علماء الدين في ترسيخ دعائمها وتحملوا مسئوليتها عندما دخلت مرحلة الثورة والتنفيذ ، وشاركت في هذه الحركة أيضا طبقات وفئات مختلفة من الشعب ذات إتجاهات متباينة وأهداف متفاوتة من الطلبة والتجار وعامة الشعب .

لقيت الحركة الدستورية تأييدا قويا من التجار التقدميين وهم طائفة لها نشأتها وتطورها الإجتماعي الحديث ، وكانت منهم فئة واعية بالمؤسسات الإقتصادية والصناعية الحديثة

---

(1) The Middle East Journal, Vol.XIII,pp. 372 The constitutional laws of Persia. (١)

(2) Avery (Peter): Modern Iran, pp.92 (٢) نقلا عن :

وعلى درجات من الوعى الاجتماعى الحديث ومعرفة الإيديولوجيات الحديثة على مسرح السياسة العالمية ، وكان بين هؤلاء التجار أفراد مجربون يقظو الفكر بل وعناصر تربت على الفكر الإجتماعى الراديكالى ، وتعد رواية " سياحتنامه ابراهيم بك " تأليف حاجى زين العابدين المراغى مثلا كاملا للفكر التقدمى لدى هذه الطائفة من التجار .

لعبت طائفة التجار دورا رئيسيا فى الثورة الدستورية والإعداد لها ، وكانت هناك علاقة فكرية وطيدة بين تلك الطائفة وبين فئة المستنيرين ، وتكونت فى اسلامبول فى ذلك العهد دائرة من تلك العناصر التقدمية من التجار والمفكرين الإيرانيين مما يدل على رقى أهداف تلك الفئة من التجار (١) .

أما الطبقة العامة من الشعب فكانت تنضم بسهولة الى أية إنتفاضة مناهضة للنظام الحاكم وذلك لما كانت تعانيه تلك الطبقة من ندرة الأرزاق ونقص السلع وظلم عمال الدولة وموظفيها ، ولم يكن لطبقة العامة أية تربية إجتماعية أو وعى سياسى كامل إلا أنهم كانوا على قدر من الشعور الوطنى التقليدى العام الذى يميزون به بين ما هو فى صالحهم وبين مايضرهم (٢) .

ويرى ملكزاده أن عامة الشعب الإيرانى لم تكن تشكو من وقوع ايران فى أيدى حفنة من الظالمين والخونة وإنما كانت شكواها من أنها لاتنتفع بشىء من موارد البلاد بينما يستولى الصدر الأعظم على آلاف التومانات كل عام من بيع موارد البلاد الى الأجانب ، فكانت العامة أيضا — كما يرى ملكزاده — ظالمين ولكن أيديهم قاصرة عن الظلم . (٣)

ويرى ميرزا ملكم خان ناظم الدولة أيضا أن طبقة العامة كانت ترى الإستبداد أمرا مسلما به فيقول :

---

١) ملكزاده (مهدى) : انقلاب مشروطيت ايران ، جـ١ ، ص ٨٥ ، ص ١٥٠ .
٢) آدميت (فريدون) : ايديولوژى نهضت مشروطيت ايران ، ص ١٥٠ .
٣) ملكزاده (مهدى) : انقلاب مشروطيت ايران ، جـ١ ، ص ١٢٢ .

" يتصور العامة فى ايران أن معنى الحياة هو ذلك الذى يعيشونه ولايدور فـــى أذهانهم الى أية درجة إختنقت حياة تلك الأمة من جـراء حماقة زعمائنا ". (١)

والمرجح أن عامة الشعب الإيرانى كانت تشارك فى الحركة الوطنية مشاركة حماسية نابعة من الشعور القومى العام ، إلا أن هذه المشاركة لم تكن من أجل إقرار الدستور وحكم الشعب والمساواة الإجتماعية وإنما تظلما من ندرة الإرزاق ونقص بعض السلع الضرورية كالخبز والسكر ومن تعسف عمال الدولة المتجبرين واضطهادهم ، ولا نتوقع من العامة البسطاء أن يكونـــوا مدركين لهذه المفاهيم الحديثة المعقدة فى ذلك الوقت مثل " الفكر الدستـــــــورى " و" الديمقراطية " و" حكم الشعب" خاصة فى شعب جبل على الولاء لسلطان "ظل اللـــه فى الأرض "فكان الهدف الرئيسى للعامة منحصرا فى طلب الرزق والقوت شأنهم فى ذلـك شأن العامة فى كثير من دول الشرق وخاصة فى عهد لم تكن المفاهيم السياسية فيه قـــد وصلت بعد من الخاصة الى العامة ، وكان إنضمام العنصر الدينى الى الحركة الوطنية وحثه للشعب على مساندة الدستور والحركة القومية من أهم العوامل التى جذبت الجماهـــير العريضة الى المشاركة فى الثورة فللدين دور مؤثر وخطير فى حياة الإيرانى البسيط، ومثالنا على ذلك ماحدث من الشعب إبان حادثة إحتكار الطباق عام ١٨٩٢ م ، فما أن أصدر مرجع التشيع فى النجف فتوى حظر التدخين ومنع التعامل فيه حتى سارع الشعب بكل فئاته الى الإستجابة لأمر الزعيم الدينى وحظر التدخين حتى فى داخل قصر الشاه نفسه ، فكانت تلك الحادثة أول هزة شعبية توحد العمل الوطنى وتطلع الشعب على حقوقه فى تقرير مصير بلاد ، وتجذبه الى المشاركة فى العمل الوطنى .

---

١) صحيفة " قانون " ، العدد ٢٢ ، بدون تاريخ ، نقلا عن فرشته نورائى : تحقيـــق در أفكار ميرزا ملكم خان ناظم الدولة ، ص ١٩٥ ، تهران ١٣٥٢

الفصل الثالث

الخلفية الثقافية

الحياة الثقافية والفكرية فى عهد ناصر الدين شاه :

عاش الشعب الإيرانى فى العهد القاجارى فى ظل أوضاع سياسية وإجتماعية مضطربة أثرت بالتالى على الحياة الفكرية والثقافية .

لم يكن الحديث بين الناس فى أوائل عهد ناصر الدين شاه (١٨٤٨ — ١٨٩٦ م) يدور عن الأحوال السياسية وما آلت اليه البلاد من فساد سياسى وإدارى بل كان يدور غالبا عن الشعر والعرفان والأديان (١) ، ولما كان الإصلاح فى هذه الفترة فكرة لم تصل من الخاصة الى العامة بعد كانت عامة الشعب الإيرانى تعيش فى ظلام الجهل والخرافات ولاتعير إهتماما الى مايحدث فى البلاد ، وحتى إذا ظهر من بين الشعب من ينادى بالحرية والمساواة فى ذلك العهد كان يتعرض لنقمة الطبقة الحاكمة وغضب علماء الدين المعارضين للفكر الحديث .

كانت الأعمال الأدبية التى ظهرت فى أوائل عهد ناصر الدين شاه ذات أسلوب تقليدى أى أن كتابها راعوا الاسلوب القديم فى كتاباتهم النثرية ، فاستخدم مهدى قلىخان هدايت (صاحب مجمع الفصحاء) وسپهر (مؤلف ناسخ التواريخ) واعتماد السلطنه (صاحب مرآة البلدان — مطلع الشمس — المآثر والآثار — تاريخ ايران) وأديب الممالك فراهانى ومحمدحسن فروغى ذكاء الملك أسلوبا نثريا لايختلف كثيرا عن أسلوب القدماء فمازالت الكتابة الإنشائية المتكلفة بسجعها وإستشهاداتها بالأحاديث وأقوال حكماء العرب والعجم سائدة ولو أنها قلت الى حد ما عن الكتابات السابقة . (٢) ووضعت الى جانب الأعمال الأدبية أعمال فلكية ورياضية وتاريخية عديدة فى تلك الفترة ، فكتب ميرزا جعفرخان كتابه " خلاصه " و"جام جم " الذى طبع عام ٢٧٢ اهـ.ق/ ١٨٥٥) وترجمت بعض الأعمال

---

١) آرين پور (يحيى) : ازصبا تانيما ، جـ١ ص ٢٢٣
٢) المصدر السابق ، ص٢٢٨

التاريخية من قبيل " تاريخ بطرس الكبير " الذى نشر عام ١٢٦٢ اهـ.ق/١٨٤٦ م ، " شارل الثانى عشر" عام ١٢٦٣ اهـ.ق/١٨٤٧ م ، " الإسكندر المعظم " ، ومن المؤلفات الجغرافية التى ألفت فى ذلك العهد كتاب " جهان نامه " تأليف ميرزا رافائيل ، ووضعت أيضا بعض الكتب التقويمية والمعاجم اللغوية (١) وقد ساعد ظهور الطباعة على إنتشار هذه المؤلفات والترجمات .

يوميات ناصر الدين شاه :

كان ناصر الدين شاه ملما باللغة الفرنسية ، وبالجغرافيا والتاريخ وقد وقف على أوضاع العالم الغربى وحضارته نتيجة لرحلاته الى أوربا اعوام ١٨٧٣ ـ ١٨٧٨ ـ ١٨٨٩ وقد كتب يوميات عن رحلاته هذه تناول فيها تفاصيل أيام رحلاته الى مدن ايران والى موسكو وأوربا الغربية ، فيذكر تاريخ دخوله كل مدينة يمر بها والأحداث التى تمت فيها ومشاهداته والشخصيات التى التقى بها فى كل مدينة .

أولى ناصر الدين شاه إهتماما كبيرا فى يومياته لوصف مظاهر الأبهة والفخامة التى شاهدها فى أوربا ، ويتبين من حديثه عن هذه المظاهر مدى حبه لمظاهر الترف وإنبهاره بمظاهر الحضارة الأوربية .

وتعتبر يوميات ناصر الدين شاه ـ سواء كتبت بقلمه أو بناء على أمر منه ـ من الكتابات النثرية البسيطة غير المتكلفة وتبين عن ذوق رفيع لدى كاتبها وعن سليقة أدبية فى إنشاء الموضوع وسرده ، ويعتبرها ريبكا " فى قمة التشويق من كل جوانبها " (٢) . وساهمت هذه

---

١) (1) Browne (E.G.): The press and poetry of modern Iran, pp.8 Cambridge 1914

٢) (2) Rypka (Jan): A history of Iranian literature, pp. 336 ولكنه فى صفحة ٣٢٢ يقول أن يوميات ناصر الدين شاه قد شكلت مرحلة تمهيدية للأدب الحديث بفضل بساطة الأسلوب والتوافق الرزين للوصف رغم أنها فى أعماقها لاتزيد عن جرعة زائدة من السذاجة .

اليوميات فى تبسيط الأسلوب النثرى الحديث الى درجة كبيرة .

وكتب مظفر الدين شاه (١٨٩٦ - ١٩٠٧ م) يوميات لرحلاته كما فعل والده إلا أنه لم يبلغ مستوى أبيه [١] فى الكتابة النثرية . [٢]

تأثير الإتصال بالغرب على الحياة الثقافية فى ايران :

كان الإتصال الثقافى بالغرب من العوامل الرئيسية فى بداية التحول الفكرى والثقافى لكثير من دول الشرق ومن بينها ايران ، وقد تميز النصف الثانى من القرن التاسع عشر الميلادى تحت حكم ناصر الدين شاه بحقيقة هامة وهى أن المجتمع القاجارى قد إستقبل موجة من الفكر الغربى أثرت على فكر طبقة المستنيرين والمتعلمين الإيرانيين ودفعتهم الى التفكير فى أوضاع بلادهم والسعى الى تغييرها .

وتشكل هذه الفترة تتابعا منطقيا لما تقدم ، ومقدمة ضرورية لتطور ايران فى القرن العشرين مما إنعكس على الأدب بسلسلة من المظاهر البارزة منها بداية حركة ترجمة الأعمال العلمية والتاريخية الأوروبية ، والإنتشار المتزايد للأعمال الأدبية القديمة والحديثة بوجه عام بفضل الطباعة .

ومن المزايا الهامة التى حصلت نتيجة للإتصال بأوربا دخول التلغراف الى ايران ، وقد تم إدخال هذه الوسيلة الإتصالية الهامة الى ايران عام ٨٥٨ م/ ٢٧٥ اهـ.ق . [٣] ، لكن بتوقيع إتفاقية مع بريطانيا عام ٨٦٢ م بدأ تطور وسائل الإتصال فى ايران بشكل فعلى ، وقد

---

(1) Rypka(Jan): A history of Iranian literature,pp.336 (١)

(٢) لم تتح لى فرصة الاطلاع على يوميات مظفر الدين شاه نظرا لعدم وجودها فى متناول يدى .

(3) Elwell-Sutton: Modern Iran, pp.58 (٣)

أعطت هذه الوسيلة الإتصالية الحديثة أهمية كبيرة لسلطان دولة واسعة الأرجاء كايران ، وتم ربط هذا الخط التلغرافي بالخطوط الهند وأوربية مما زاد من الإتصال بين ايران والعالم الخارجي — وساعد على دفع تيار التحديث في البلاد (١) ، وكانت ايران بموقعها على الطريق المباشر بين أوربا والهند حلقة وصل هامة في سلسلة طرق المواصلات الدولية التي كانت تتطور وتنمو باتساع كبير. (٢)

ولم يكن ناصر الدينشاه يدرك خطورة الدور الذي ستلعبه هذه الخطوط في التطورات الثورية اللاحقة وفي ربط المدن الإيرانية ببعضها ابان الأوقات العصيبة التي كانت البلاد تمر بها أثناء الحركة الدستورية. (٣)

وكانت معرفة اللغات الأوربية والإطلاع على الآداب الأوربية ونظم التعليم والإمكانات الحديثة في مجالات العلوم الطبيعية والإجتماعية وإنعكاس كل هذا على الحياة في ايران إكتشافا عظيما بالنسبة للثقافة والأدب الفارسيين ظهرت في ضوئه حالة التخلف الفكري والإجتماعي التي كان المجتمع الإيراني يعاني منها ، وأوفد في هذه الفترة عدد من الدارسين الإيرانيين الى أوربا للدراسة على نفقة الدولة إلا أن ناصر الدينشاه عاد فوضع قيودا على السفر الى دول أوربا التي نعمت بحكومات دستورية في محاولة منه لوقف التيار الثوري الحديث الذي ينادي بالديمقراطية والمساواة الإجتماعية. وساعد ميل ناصر الدينشاه الى الغرب على إجراء البدع الأوربية الحديثة في بداية عهده ويمكننا أن نعتبر هذه الإنجازات من حسنات ناصر الدين شاه ومحاولاته الإصلاحية فقد بدأت في بداية عهده أولى الصحف الرسمية في

---

(١) (1) Kamshad (H) : Modern persian prose literature, pp.10

(٢) (2) Elwell-Sutton: Modern Iran, pp.58

(٣) (3) Avery (Peter): Modern Iran, pp. 83

الصدور وانشئت كلية دار الفنون للتعليم الفنى العالى على يد مدرسين أوربيين و إمتـــدت خطوط التلغراف عبر ايران كلها إلا أن هذه الوسائل الحديثة أسهمت فى تنوير الشعـــب وهددت النظام الدكتاتورى القائم ، وحين أدرك ناصر الدين شاه خطر الاتصال بيـــن الشعب الإيرانى وبين المجتمعات الأوربية المتقدمة عمل على تقييد السفر الى أوربا ومنـــع إصدار الصحف التى تنتقد أوضاع الدولة بل ومنع دخول الصحف الإنتقادية التى كانت تصدر فى الهند ومصر وانجلترا الى ايران لكنه لم يستطع أن يضع حدا لتلك الإتجاهات والوسائـــل الحديثة التى كان هو نفسه قد ساعد على بدايتها وأسهمت بدورها فى زلزلة عرشه. (١)

من ثم يتبين لنا أن ناصر الدين شاه قد حاول بالفعل أن يضع بلاده على طريـــق التقدم فى بداية توليه العرش وبذل جهدا فى اجراء اصلاحات بالدولة لكنه حيـــن أدرك مخاطر هذه الانجازات على عرشه حاول أن يبطل فعاليتها كما قلنا منذ قليل .

.. .. ..

---

(1) Rypka (Jan): A history of Iranian literature pp. 355(١

إتجاه الأدب نحو المجتمع :

كانت الموضوعات التى تدور حولها الأعمال الأدبية حتى أواخر القرن التاسع الميلادى محصورة فى دائرة البلاط ورجال الدولة وتتناول الحياة داخل القصور والفتوحات الملكيـــة والحياة الشخصية للملوك وتتجنب الحديث عن الشعب وحياته الإجتماعية وتتجاهل الطبقات البسيطة من العوام وقلما نجد إشارة فى أدب العهود السالفة الى عامة الشعب الإيرانـــى وإذا اشير إليها فتحت إسم الغوغاء أو السوقة .

وفى أواخر القرن التاسع عشر حدث ـ ضمن التحول الفكرى العام ـ تحول أدبـــى فى الموضوعات التى تتناولها الأعمال الأدبية وفى الأسلوب النثرى كذلك ، فظهرت أعمـــال حديثة تختلف عن الأدب التقليدى شكلا ومضمونا ، فعكست المشاكل الإجتماعية والسياسية للعصر أو على الأقل كانت تتصل بالواقع الإجتماعى فى البلاد . (١)

ركز هذا الاتجاه الأدبى الجديد على المساوئ الاجتماعية وإبرازها ونقب عن أسبابها وفكر فى سبـــل محوها ، وقد شكل هذا الإتجاه التيار الرئيسى لأدب ذلـــك العهـــد وهو أدب يميل الى الواقعية والتحليلية والنضال القوى ويتجه الى الطبقات العامة مـــن الشعب بهدف تعليمها وتهذيبها وإيقاظها من غفلتها وتخلفها وسلبيتها ، ويتجه الجـــزء الأعظم من الإنتاج الأدبى لهذه الفترة الى الإندماج فى الأحداث السياسية والإجتماعيـــة الجارية الى جانب تناول موضوعات فى الحقوق الطبيعية والنظريات السياسية الحديثـــة ونهوض الحرية القومية والنقد الإجتماعى (٢) ، هذا من حيث المضمون اما من حيث الشكل فقد أصبح الحرص على الأشكال والقوالب القديمة طفيفا وقل إستخدام اللغة الأدبية المتكلفـة

---

١) آدميت (فريدون) : ايديولوژى نهضت مشروطيت ايران ، ص٥٢.
٢) المرجع السابق ، ص٥٢

التى كانت سائدة فى العهود السابقة وابتعد الكتاب فى كتاباتهم النثرية عن النمـــاذج الصارخة للقوالب اللغوية الجامدة المكررة والتنميقات البلاغية الجوفاء (١) ، وبدأت الكتابة بلغة قريبة من اللغة الجارية على لسان الناس حتى يستطيع البسطاء أن يفهموها ، فـــلأول مرة يحاول الكاتب أن يكسب شعبية عريضة بين الناس بفضل الطباعة التى هيأت الفرصـــة لتوزيع الأعمال الأدبية على نطاق واسع لذلك حاول الكتاب أن يقتربوا من الفهم العام واللغة السهلة ليوضحوا أهدافهم التى يرمون اليها .

.. .. ..

---

(1) Rypka(Jan)/ A history of Iranian literature,pp. 362 (١)

الْبَابُ الثَّانِي

عَوَامِلُ نَهْضَةِ الْأُمَّةِ

الفصل الأول

الجمعيات الوطنية

من المألوف فى ظل الحكومات الإستبدادية أن تلجأ الحركات الوطنية الى العمل السرى حتى تتمكن من نشر أفكارها وإعداد الشعب لتقبل التغيير ولضمان سلامة العناصر الوطنية من الوقوع فى أيدى أعوان الإستبداد ، وإذا نظرنا الى تاريخ الجمعيات السرية فى ايران نجد أنها كانت تتشكل من الأقليات الدينية التى لاتستطيع إعلان معتقداتها جهارا ، أو من الأمراء وأصحاب النفوذ الثائرين من أجل إسقاط ملك أو أمير وإحلال آخر محله ، ولم تكن هناك جمعيات تهدف الى تحرير الشعب من الإستبداد أو الدعوة للحرية والعدل ، وكانت الجمعيات السرية قبل ظهور الدستور بنصف قرن تتشكل فى أغلب بقاع ايران من أتباع المذاهب المختلفة من بابية وبهائية وصوفية وشيخية وغيرها أو من مجموعة من رجال الدولة بهدف عزل الصدر الأعظم أو الحاكم الإقليمى . (١)

وتشكلت قبل الدستور أيضا إتحادات أدبية حول الشعراء كما كان الحال فى منتصف القرن الثامن عشر ، وكان ناصر الدين شاه يرى فى هذه التنظيمات مؤشرا على أى تحرك خطير ضده ، وقد لاحظ أحد المراقبين البريطانيين دائرة مختلطة من القضاة والضباط والتجار تجتمع لمناقشة القضايا الأدبية والدينية فى شيراز فى بدايات القرن التاسع عشر (٢) على غرار الدوائر التى كانت تجتمع لتطبيق وممارسة الشعائر الصوفية ومطالعة اعمال شعراء الصوفية ، وكانت هذه التنظيمات الأدبية من العوامل التى كانت تهدئ من شكوك السلطات المراقبة .

---

١) ملكزاده (مهدى) : انقلاب مشروطيت ايران ، جـ١ ، ص ٢٤٥

٢) (2) Harford Jones Brydges: The Dynasty of the Kajar, London, 1883,pp. cxlvIII

نقلا عن :

Avery (Peter): Modern Iran, pp. 113

كانت الحرية السياسية فى عهد ناصر الدين شاه منعدمة فكان من العسير على الناس أن يجتمعوا لمناقشة الأمور السياسية ولم تكن هناك صحافة حرة فى داخل ايران يعبرون من خلالها عن آرائهم وهذا يعلل البطء الذى نمت به حركة التمرد والإتجاه الى تشكيل الجمعيات السرية. كان نشاط الجمعيات الوطنية فى عهد ناصر الدين شاه محدودا ويتميز بالحذر والسرية التامة، وكان القلق الفكرى والرفض السياسى — خاصة بعد عزل امير كبير — قد جعل المعايير التقدمية للنقاش سرية، فكانت هذه الجمعيات عبارة عن مجموعات محدودة لمناقشة الأوضاع السياسية تعقد إجتماعاتها السرية فى بيوت الأعضاء تحت ستار الجمعيات الأدبية. (١)

كانت الجمعية (انجمن) (٢) نظرية حديثة تفرعت فى الشكل عن التجمعات المنظمة وفى المضمون إيضاحا لحب الإيرانيين للجدل والنقاش. (٣)

وبعد عام ٨٥٢ لم بدأت هذه الجمعيات فى إتخاذ طبيعة خطيرة من حيث الهدف وبشكل مطرد فناقشت المستقبل ورثت الماضى فى بعض النواحى وامتدحته فى مقارنته بالحاضر الذى تناولته بالنقد، ويتضح مما ذكرناه فى الخلفيات التاريخية عن جهاز المخابرات السرى الذى كونه ناصر الدين شاه مدى مراعاة هذه التجمعات للسرية الشديدة.

الفراموشخانه :

ونكاد لانجد فى عهد ناصر الدين شاه إلا تنظيما سريا واحدا هو المحفل الذى أسسه ميرزا ملكم خان ناظم الدولة عام ٢٧٤ اهـ.ق/ ٨٥٧ م والذى يسمى " فراموشخانه" (٤)

---

(1) Avery (Peter): Modern Iran, pp.112 ١)

٢) انجمن : هو الإسم الذى أطلق على الإتحادات السرية أو شبه السرية لما قبل الثورة.

(3) Avery (Peter): Modern Iran, pp. 112 ٣)

٤) سمى بهذا الإسم (بيت النسيان) لأن أعضاءه كان عليهم أن ينسوا تماما مارأوه أوسمعوه فى المحفل أثناء حياتهم العادية وقد صيغت الكلمة فى تركيبها من كلمات تقترب من حيث النطق من التركيبة الانجليزية Freemason وقد اخذها الإيرانيون للمعنى ذاته : Avery (Peter): Modern Iran, pp.114
ولم تعرف الماسونية الفرنسية والانجليزية هذا الشكل من التنظيمات بشكل واضح.

وكان يظن فى البداية أنه فرع للتنظيم الماسونى الفرنسى فى تهران، وكان هذا المحفل يجتمع سرا فى منزل شاهزاده جلال الدين ميرزا بن فتحعليشاه بحى " مسجد حوض" أحد أحياء تهران الجنوبية، وكان ملكم خان قد حصل على إذن من الشاه لتأسيس هذا المحفل وأيده فى ذلك عدد من المسئولين الإيرانيين وبعض كبار علماء الدين ومنهم حاجى ميرزا هادى نجم آبادى ورهط من رجال الوزارات والأمراء وخريجى دار الفنون والطلاب الذين زاروا أوربا. (١)

كونت هذه المجموعة التى مثلت الأقلية المستنيرة مدرسة من الأحرار المنادين بالحرية وكان شعار هذا المحفل هو " إصلاح البشرية عامة وشعب ايران خاصة" ، وكان ملكم خان يديره باسم " مجتمع الإنسانية" (٢) وتآلف أعضاؤه مع الروح الأوربية عن طريق الرسائل التى كان ميرزا ملكم خان يكتبها فى إنتقاد الإوضاع فى ايران وقد أجمع أعضاء المحفل على حتمية إقرار النظام الدستورى فى ايران.

كان من المستحيل فى هذا العهد الإستبدادى أن يستمر مثل هذا التنظيم المناهض للحكم قائما فاتهم ميرزا ملكم خان بالدعوة للجمهورية وتم إلقاء القبض على مجموعة من رفاقه وهربت مجموعة أخرى الى الأماكن المقدسة، وفى ربيع الثانى ٢٧٨ اهـ.ق. نشر إعلان فى صحيفة " روزنامه دولتى " بمنع لفظ " فراموشخانه " وبهذا إنتهى التنظيم المذكور فى ايران. (٣)

ومع قرب نهاية عهد ناصر الدين شاه بدأت الجمعيات السرية فى الإنتشار فى الأقاليم الإيرانية المختلفة، وكانت أهداف هذه الجمعيات محددة بشكل رئيسى فى مناقشة

---

١) آرين پور (يحيى) : از صبا تانيما ، المجلد الاول ص ٣١٥
٢) المصدر السابق ، ص ٣١٥
٣) المصدر السابق ، ص ٣١٥

تطلع الشعب الى الحرية والخلاص من الطغيان ، ومناقشة مزايا العدل والحرية والتعليم ، وآمن أعضاؤها بضرورة التحديث .

ولم يكن هناك إرتباط بين هذه الجمعيات فكانت كل جمعية تجتمع سرا حسب مقتضيات ذلك العهد وكان أعضاء الجمعيات يتبادلون الصحف الصادرة خارج ايران والتى كانوا يحصلون عليها بصعوبة وفى الخفاء ، ولم يكن أعضاؤها يجرؤون على إظهار أنفسهم حتى لايتهموا بالإلحاد أو بالدعوة للجمهورية أو بالبابية التى إستخدمها الإستبداديون حربة ضد الوطنيين ، فكانوا يكتفون بالكتابة فى صحيفة " حبل المتين " (١) التى كانت تصدر فى كلكتا بالهند ، ونلاحظ أن عضوية هذه الجمعيات الوطنية كانت تغلب عليها الطبقة المتوسطة من علماء الدين وقد شجعت هذه الجمعيات أعضاؤها على إنشاء المدارس وقام بعضهم فعلا بذلك (٢) . وزاد تأسيس هذه الجمعيات الوطنية بعد إغتيال ناصر الدين شاه عام ١٨٩٦ م وارتبطت بالتحرك العام ، وكانت الحرية النسبية التى ميزت عهد مظفر الدين شاه فرصة للوطنيين لزيادة النشاط الوطنى . (٣)

.. .. ..

---

١) ملكزاده (مهدى) : انقلاب مشروطيت ايران ، المجلد الاول ص ٢٥٧

(2) Encyclopaedia of Islam, 1965, Vol. II p. 433 ٢)

٣) زهرا شجيعى ـ نمايندگان مجلس ص ٥٢ نقلا عن طلال مجذوب : ايران من الثورة الدستورية حتى الثورة الإسلامية ص ١١٥ .

الجمعيـــات الوطنيـة فى تهـران :

(١) انجمن أخوّت (جمعية الأخوّة) :

هى أول جمعية سرية تتشكل فى عهد مظفر الدين شاه (١٨٩٦/١٩٠٧ م) ومؤسسها هو ميرزا حسن صفى على شاه عام ١٨٩٩ م ، وكانت تعد من أولى الجمعيات السياسية على الرغم من طبيعتها الصوفية. (١)

(٢) انجمن معارف (جمعية المعارف) :

تأسست عام ١٣١٥ هـ.ق. / ١٨٩٨ م وكانت قاصرة على وجه التحديد على الجانب التعليمى الوطنى .

(٣) حوزه ترقى إسلامى (جمعية الرقى الإسلامى) :

أسسها ميرزا سيد محمد طباطبائى فى تهران عام ١٣١٩ هـ.ق./١٩٠٢ م ، وكان أعضاؤها يجتمعون فى مدرسة " صدر " الدينية، مساء كل جمعة ، وكان هدفها زيادة الوعى الدينى الصحيح ومناقشة مدى مطابقة الأوضاع السائدة لأحكام الدين . (٢)

(٤) انجمن آزاد مردان (جمعية الاحرار) :

أسسها أربعون من علماء الدين والوطنيين المصلحين عام ١٣٢٠ هـ.ق./ ١٩٠٣ م وكانت تهدف الى تقوية ونشر الشعور القومى . (٣)

وفى عام ١٩٠٣ م أصبح السخط على الحكومة أشد وضوحا واحتاج أعضاء الجمعيات السرية الى مزيد من الحرية ، وفى عام ١٩٠٤ م أجرى إتصال سرى بين الجمعيات المختلفة التى كانت تعمل حتى ذلك الوقت بصورة منفردة ، فاتفقت على العمل على إقامة دستور للقوانين وإجراء

---

١) مجذوب (طلال) : ايران منذ الثورة الدستورية حتى الثورة الاسلامية . ص ١١٥
٢) المرجع السابق ـ نفس الصفحة .
٣) المرجع السابق ـ نفس الصفحة .

العدالة ومحو الطغيان ووضعت ميثاق عمل للإتحاد يتكون من ثماني عشرة مادة وشكلت لجنة ثورية من تسعة أفراد . وكان الهدف الرئيسي لهذا الإتحاد هو نشر الفكر الحديث وإجراء إتصال دائم مع مختلف فئات الشعب الإيراني داخل ايران وخارجها ومحو الشقاق بين المعترضين على أهداف الإتحاد .

(٥) انجمن مخفي (١) : الجمعية السرية

تكونت في عام ١٩٠٥ م من أربعة وخمسين عضوا في بدايتها ، كانوا يجتمعون بمنزل أحد أعضاء الجمعية (سليمان خان ميكده) بتهران بحجة التداول بشأن فتح مكتبة عامة وبعد أن أقروا برنامج عمل الجمعية أقسموا بالقرآن الكريم وبالعلم الإيراني على حفظ أسرار الجمعية والإخلاص لأهدافها ، وعندما خشي الأعضاء من أن تثير إجتماعاتهم إنتباه الحكومة وعيونها قرروا قصر الإجتماعات على لجنة دائمة من تسعة أعضاء أسموها "كميته ء انقلاب" (لجنة الثورة) . (٢)

شكل العنصر الديني غالبية أعضاء هذه الجمعية وكان هدفها مكافحة الفساد والتدخل الأجنبي في شئون ايران ، ومن الواضح من برنامجها كما يقول ناظم الاسلام كرماني (٣) أن أعضاءها كانوا مقتنعين بأن الإستبداد والطغيان من الحكومة من ناحية وإحتمال تدخل بريطانيا وروسيا عسكريا من ناحية أخرى يمثلان تهديدا للإسلام وآمنوا بأن كل أوجه القصور في الدولة يمكن إصلاحها بنشر التعليم .

وبذل أعضاء هذه الجمعية جهودهم في توعية الناس ونشر المقالات في الخارج وتوزيع المنشورات الثورية في الداخل وتعديد مساوئ النظام الحاكم ، وكانت منشورات الثوار من

---

١) أطلق عليها هذا الإسم بسبب عدم وضع إسم لها من قبل مؤسسيها إمعانا في التكتم .
٢) مجذوب (طلال) : ايران منذ الثورة الدستورية حتى الثورة الاسلامية ، ص ١١٦ .
٣) كرماني (ناظم الاسلام) : تاريخ بيداري ايرانيان ، المجلد الثاني ، ص ٥٠ .

مختلف الإتجاهات قد بدأت توزع سرا منذ عام ١٩٠١ وبلغ من إنتشارها أنها صارت توزع في قصر الشاه نفسه. (١)

(٦) انجمن مخفى ثانوى: (الجمعية السرية الثانية)

فى عام ١٩٠٦ م بعد أن أصبح الصدام بين الشاه والإصلاحيين معلنا إنشقت مجموعة من " انجمن مخفى " وأسست جمعية أخرى هى " انجمن مخفى ثانوى " وواصلت الجمعية الأم أنشطتها حتى يونيو عام ١٩٠٦ م حيث زالت بعد إلقاء القبض على كثير من أعضائها.

تولى ناظم الإسلام كرمانى رئاسة الجمعية الفرعية " انجمن مخفى ثانوى " وكانت شديدة السرية ولما كان تأسيسها قد تم بعد تأسيس الجمعية الأم فقد إصطلح المؤرخون على تسميتها بالجمعية السرية الثانية (٢)، وزيادة فى الحيطة كلما كان عدد الأعضاء يصل الى ثلاثين كانوا ينفصلون ليشكلوا حلقة خاصة ويربطهم بالحلقات الأخرى شخص يدعى " مرشد " (٣) وبهذا كان كل عضو لايعرف إلا أعضاء حلقته فقط.

قامت هذه الجمعية بدور فى تكتيل التجار ورجال الفكر والعلماء حولها وكانت تعقد إجتماعاتها يومين فى الأسبوع وذلك بعد منتصف الليل وحتى طلوع الفجر. (٤)

(٧) جامع آدميت: (الرابطة الانسانية) :

أسس هذه الرابطة ميرزا عباس قليخان آدميت عام ١٩٠٦ م وقد تألفت من أربع مجموعات وكان يديرها إثنا عشر شخصا يسمون "أمناى آدميت "وتفرعت عنها فروع بالولايات الإيرانية المختلفة وكان أعضاؤها يسمون "برادران "وكانت جميع منشوراتها يتصدرها رقم ١٣١ ويعنى " سلام " (٥)

---

١) أميد ايران العدد ٦٧٦ اغسطس ١٩٦٧، ص ٣٦ نقلا عن مجذوب (طلال) : ايران منذ الثورة الدستورية حتى الثورة الاسلامية ص ١١٦.
٢) المرجع السابق، ص ١١٦
٣) كرمانى (ناصم الاسلام) : تاريخ بيدارى ايرانيان، المجلد الاول، ص ٦٦
٤) مجذوب (طلال) : ايران منذ الثورة الدستورية حتى الثورة الاسلامية، ص ١١٦
٥) المصدر السابق، ص ١١٦.

الجمعيات الوطنية فـــى آذربيجان :

إشتد التيار القومى فـى آذربيجان بصورة تفوق سائر الولايات الإيرانية وكان ذلـــك لعدة أسباب:

(١) تردد التجار الآذربيجانيين على الدول المتقدمة . (٢) القرب الجغرافى من روسيـا والإطلاع على الأحداث الثورية التى كانت تقع فى هذه الدولة فى السنوات الأولى مـــن القرن العشرين . (٣) تصرفات محمدعلى ميرزا ولى العهد المستبد الذى كان حاكمـا على آذربيجان فى ذلك الوقت والمظالم التى إرتكبها فى حق الشعب .

وعلى الرغم من الإستبداد المطلق الذى كان سائدا فى تبريز فى ذلك العهد فقـــد أسس بعض أنصار الفلسفة الحديثة جمعية سرية كانت هى النواة الحقيقة للثورة فى آذربيجان وكان لكل من أعضائها دور بارز فى الحركة الدستورية . (١)

وأسس هؤلاء الأحرار جريدة لنشر أفكارهم التقدمية تحت إدارة " سيد حسين خـــان عدالت " ومكتبة تحت إدارة " ميرزا محمدعلى خان تربيت " وقد ساعدت هاتان المؤسستان فـــى تنوير الرأى فى آذربيجان (٢) . وتأسست فى آذربيجان جمعية أخرى هى جمعيـــة " سوسياليست دموكرات " (الإشتراكيون الديموقراطيون) فى تبريز من صغار التجار وأصحاب الحرف ، وكانت تبدى العداء للإقطاعيين الكبار ولها ميول برجوازية ، وكانت على صلة قويـة بالجمعيات المماثلة فى القوقاز وقد شارك أعضاؤها فى حركة إعادة الدستور وإشتركـــت

---

١) من قادة هذه الجمعية السرية : سيد حسن تقى زاده ـ ميرزا سيد حسين خـــان عدالت ، ميرزا محمد عليخان تربيت ـ أبو الضياء ـ حاجى ميرزا آقافرشى ـ شريـــف زاده ـ حكاك باشى ـ مشهدى على أصغر أردوبادى .
ملكزاده (مهدى) : انقلاب مشروطيت ايران ، المجلد الاول ، ص ٢٥٣ .
٢) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٥٣ .

تشكيلا تها العسكرية فى الثورة الوطنية المسلحة (١) وكان أعضاؤها يمتازن بالطاعة لأمر قيادتهم . (٢)

الجمعيات الوطنية فى اصفهان :

سيطرت القيادات والعناصر الدينية فى اصفهان على الجمعيات السرية ، وفى نفس الوقت وجد العنصر الرجعى الدينى فى اصفهان وكان يمارس ضغطا على الوطنيين التقدميين مما دفع الجمعيات السرية التى تكونت فى أواخر عهد ناصر الدين شاه الى تشديد السرية وقد تكونت فى عهد مظفر الدين شاه وبالتحديد فى ٦ ذى القعدة ١٣٢٤ هـ.ق ١٩٠٧ م " انجمن ملى اصفهان " وكانت لها وظائف استشارية وتنفيذية وأدارها العلماء والتجار وقادة الوطنيين بالمدينة ، وبذل أعضاؤها جهودا طيبة لتنوير أفكار الشعب وإطلاعه على مساوئ جهاز الحكم القائم (٣) .

الجمعيات الوطنية فى اسلامبول :

كان توقف السيد جمال الدين الأفغانى فى ايران سببا فى ايمان بعض التجار الايرانيين بالأفكار الحديثة والإهتمام بتغيير الأوضاع السياسية فى بلادهم ، وكانوا لايتحدثون علنا ولايعلنون عن وجودهم حتى ماقبل ظهور الدستور العثمانى عام ١٨٧٦ م ، أما بعد نجاح الحركة الدستورية فقد أعلنوا إنضمامهم للمنادين بالحرية والدستورية فى ايران . (٤)

الجمعيات الوطنية فى كرمان :

تكونت فى أواخر عهد ناصر الدين شاه جمعية سرية من الأحرار فى كرمان إشترك فيها

١) سميت هذه التشكيلات باسم (مجاهدين) او (فدائيان) : طلال مجذوب : ايران منذ الثورة الدستورية حتى الثورة الاسلامية ، ص ١١٧ .
٢) ملكزاده (مهدى) : انقلاب مشروطيت ايران ، ج ١ ، ص ٢٥٤ .
٣) المرجع السابق : ص ٢٥٠ .
٤) المرجع السابق : ص ٢٥٨ .

ميرزا آقاخان كرماني ، والشيخ مهدي بحر العلوم ، والشيخ أحمد روحي ، وحاجي ميرزا أحمد كرماني ، وميرزا رضاي كرماني ، وحاجي سيدجواد وأفضل الملك حيث قاموا بنشر الأفكار التقدمية الحديثة مما عرضهم لإضطهاد السلطات وقد راح ميرزا آقاخان كرماني والشيخ أحمد روحي ضحية في سبيل أهدافهما . (١)

الجمعيات الوطنية في النجف :

شارك الطلاب الشبان المستنيرون الذين كانوا يدرسون العلوم الدينية في النجف في تقدم الحركة الدستورية ، وقد شكل عدد منهم (٢) جمعية لمناقشة الفكر الحديث ، وقد أيد قادة علماء الدين في النجف أمثال آخوند ملا كاظم خراساني ، وحاجي ميرزا حسين بن حاجي ميرزا خليل وآقاي شيخ عبدالله مازندراني الحركة الدستورية وكلفوا الشعب عن طريق الفتاوى الشرعية بمناصرة المبادئ الدستورية ، وكان تأييد هؤلاء القادة الروحيين من أهم العوامل التي ساعدت على تقدم الفكر الدستوري في ايران .

وقد نجحت الجمعيات الوطنية السرية في إعطاء صورة عامة للرأي العام المؤيد للدستور حتى فكر بعض خصومها في محاربتها بالتسلل إليها أو بتكوين جمعيات خاصة على أمل إحباط إصدار الدستور ، وكان هؤلاء هم الرجعيين الذين عملوا سرا ضد الحركة الدستورية تحت غطاء الإتحادات القومية .

.. .. ..

---

١) ملكزاده (مهدي) : انقلاب مشروطيت ايران ، ج ١ ، ص ٢٥٠

٢) من هؤلاء الطلاب : الشيخ اسدالله مقاني ـ نوري ايراوني ـ الشيخ سليم لنكراني ـ ميرزا حسن ايراوني ـ ميرزا احمد قزويني ـ ميرزا علي هيئت . وقاد هذه المجموعة الطلابية السيد اسدالله خرقاني . (مهدي ملكزاده : انقلاب مشروطيت ايران ج ١ ، ص ٢٥٤) .

الفصل الثاني

الصحافة والطباعة

الطبـــــاعة :

تمت فى أواسط القرن السابع عشر محاولة لإدخال الطباعة على يد الأرمن فى جلفـــا اصفهان إلا أنها تعطلت بعد قليل . (١)

دخلت الطباعة ايران عام ١٢٣٢ هـ.ق / ١٨١٦ م فى عهد فتحعليشاه قاجار بجهـــود عباس ميرزا نائب السلطنة الذى كان أميرا متوجا وحاكما على آذربيجان ، وأنشئت فى نفـس تلك الفترة مطبعة أخرى فى تهران تحت إشراف "ميرزا عبد الوهاب معتمد الدولة" طبعـت بها بعض الكتب منها : المصحف الشريف ، جلال العيون ، حياة القلوب ، ورسالات فـــى الفقه وعرف كل من هذه الكتب بطبعة معتمد الدولة . (٢)

وفى عام ١٢٤٠ هـ.ق / ١٨٢٤ م أوفد نائب السلطنة ميرزا جعفر التبريزى الى موسكـــو لتعلم فن الطباعة على الحجر (lithography) وإحضار المعدات اللازمة الـــى تبريز ، يقول مشهدى أسد آقا المعروف بـ "بصمه جى" أن ميرزا صالح الشيرازى محافـــظ تهران كان قد أوفد ميرزا أسد الله ـ من منطقة فارس ـ الى سان بطرسبورج لتعلم فـــن الطباعة وأنه فى عودته أسس مطبعة بالحجر فى تبريز بمساعدة آقا رضا أبى مشهدى أسد آقـــا وكان أول كتاب يطبع بهذه المطبعة هو القرآن الكريم بخط ميرزا حسين الخطاط ، ونقلت هذه المطبعة بملحقاتها بعد خمس سنوات الى تهران بناء على أمر الشاه . (٣)

وبعد تبريز وتهران دخلت الطباعة الى سائر المدن الإيرانية بترتيب زمنى : شـــيراز ، أصفهان ، مشهد ، انزلى ، رشت ، أردبيل ، همدان ، خوى ، قزوين ، كرمانشـــاه ، كرمان ، جاروس ، كاشان . (٤)

---

١) بهار (محمد تقى) : سبك شناسى ، المجلد الثالث ص ٣٤٣ و

Rypka (Jan): A history of Iranian literature, pp.337

(2) Browne (E.G.): The press and poetry of modern Iran, pp.7

٣) المصدر السابق ص ٨

٤) المصدر السابق ص ٨

رغم الأسبقية الزمنية لدخول الطباعة بالحروف الى ايران إلا أنها توقفت لمدة خمسين عاما راجت خلالها الطباعة على الحجر، وطبعت في هذه الفترة وعلى الحجر كتب عربية وفارسية عديدة وكان لدار الترجمة الحكومية دور هام في طباعة الكتب القديمة والحديثة ونشرها (١)، وبالاضافة الى الكتب كانت الصحف ايضا تطبع على الحجر في تلك الفترة.

وقد أعيد استخدام الطباعة بالحروف مرة أخرى عام ١٢٩٠ هـ.ق/ ٨٧٤ م في تهران وعام ١٣١٦ هـ.ق/ ٨٩٩ م في تبريز. (٢)

كانت الطباعة وسيلة مفيدة وحديثة إتجه فن زخرفة الكلمة إثر ورودها الى النقصان، وبدأت مرحلة تبسيط الاتصال المكتوب فأصبح أكثر مباشرة وسهولة، فقد كان ذلك العهد هو عهد المطبوعات الموزعة على نطاق واسع وإعادة إنتاج كتب التراث وترجمة الأعمال الأوربية وإحتاج الإصلاحيون في ذلك العهد الى سرعة توصيل منشوراتهم الثورية وأعمالهم القومية مما كان له دور هام في إيقاظ عقول المفكرين الناشئين وإعداد العدة للثورة المقبلة. (٣)

وجدير بالذكر أن الطباعة بالحروف العربية ونشر الكتب العربية والفارسية كان يتم في أوربا قبل رواج الطباعة في الشرق، فكان المصحف وكتب التفسير والكتب العلمية الإسلامية تطبع في أوربا لمدة طويلة، وغالبا أعيد طبعها في الشرق بعد رواج الطباعة به عن نفس الطبعات الأوربية أو عن طبعة الهند (بالنسبة للكتب الفارسية). (٤)

---

١) بهار (محمدتقي) : سبكشناسي ، المجلد الثالث ، ص ٣٤٣

٢) (2) Rypka (Jan):A history of Iranian literature pp. 337

٣) (3) Kamshad: Modern Persian Prose literature,pp.11

٤) مجلة "كاوه" ، العدد الخامس ،السنة الثانية من الدورة الجديدة بتاريخ ٢٨ آذرماه ١٢٩٠، يزدگردي — نقلا عن "لغت نامه": علي اكبر دهخدا تحت حرف (چاپ).

الصحـــــافة :

ظهرت الصحافة فى ايران كنتيجة طبيعية لدخول الطباعة ، وكانت عاملا هاما فى نهضة ايران الحديثة ومؤثرا فعالا فى تنوير أفكار الجماهير .

ظهرت الصحيفة فى ايران لأول مرة عام ٢٥٣ اهـ.ق / ٨٣٧ م وكان يقال للجريـــدة " كاغذ اخبار " ، وكانت عبارة عن نشرة شهرية قصيرة حملت شعار الدولة على صفحتها الأولى ولكن بدون عنوان وكان يحررها ميرزا صالح الشيرازى . (١)

أما الصحيفة بشكلها المعروف حاليا فقد ظهرت فى ايران لأول مرة عام ٢٦٧ اهـ . ق / ٨٥١ م بتوجيه وإشراف ميرزا تقى خان امير كبير الصدر الأعظم الذى شارك بنفسه فـــى تقديم مواد سياسية على صفحاتها وسميت هذه الصحيفة فى البداية "روزنامه" وقايع اتفاقيه " ثم تغير إسمها عام ٢٧٧ اهـ.ق / ٨٦٠ م الى "روزنامه دولت علية ايران" (٢) ثم تغـــير إسمها مرة أخرى وأصبح " روزنامه ايران " ثم " روزنامه ايران سلطانى " وكانت تصدر فـــى تهران شهريا وتطبع على الحجر (٣) وكانت هذه الصحيفة صحف رسمية وشبه رسمية عديـــدة تخصصية وإقليمية .

كانت كل الصحف التى تصدر داخل ايران فى عهد ناصر الدين شاه (١٨٤٨ ـ ١٨٩٦ م) حكومية حتى ماسمى منها ظاهريا بإسم قومى ، ولانعرف أى صحيفة غير حكومية فى ذلك العهد داخل ايران (٤) ، ومن ثم كانت تضم مدائح للأمراء والحكام وتورد اخبار الشاه ورحلاتـــه

---

(1) Kamshad (H) : Modern Persian Prose literature pp. 12 (١)

(2) Rypka (Jan): A history of Iranian literature,pp.337 (٢)

٣) مجذوب (طلال) : ايران من الثورة الدستورية حتى الثورة الاسلامية ، ص ٧٠

٤) كسروى (احمد) : تاريخ مشروطة ايران ، الجزء الاول ، ص ١٨

ومقابلاته وتصرفاته الشخصية وتؤكد على أن كل فرد يعيش فى سرور وراحة ، نشرت صحيفة " ايران " تحت عنوان " اخبار داخله " أن كل شئون الدولة تسير على مايرام وفى غاية النظام وتقول ضمن أخبار الولايات :

"الرعية فى كاشان والحمد لله تعيش فى رفاهية وراحة بفضل إهتمام حاكمها ومشغولة بالدعاء ببقاء عمر الملك ودولته ، القمح والشعير متوفران وكل البضائع رخيصة أيضا ، وكذلك اصفهان وكرمان وشيراز وقس على هذا البواقى " . (١)

كانت صحيفة " خلاصة الحوادث " أول صحيفة حقيقية يومية وصدرت لأول مرة عام ٨٩٨ لم/ ٦ ٣١ اهـ.ق . ولم تبدأ الصحف المنتظمة فى آداء مهمتها القومية إلا بين أعوام ١٩٠٦ — ١٩١١ لم أى فى سنوات الثورة حيث أصبحت شارحة للسياسة القومية الحديثة ومثلت الأدب الثورى الحقيقى المعاصر، فقد إهتزت فى تلك الفترة الأسس التعسفية للرقابة على الصحف فبدأت الصحف القومية فى الإتجاه نحو خدمة الإيديولوجيا الحديثة . (٢)

صدرت الصحف التى شاركت فى النضال الثورى فى عهد ناصر الدين شاه وخليفته مظفر الدين شاه خارج ايران ، وقد أظهرت هذه الصحف تعاطفا مع الحركة الوطنية وتقاربا مع مشاكل الإصلاح وشاركت فى توعية الشعب الإيرانى وتنويره ، وقد منعت الحكومة الإيرانية هذه الصحف من الدخول الى ايران لما كانت تحتويه من نقد للأوضاع السياسية وهجوم على أسس الحكم والحكام ، ومع ذلك كانت هذه الصحف تجد طريقها الى أيدى القراء داخل ايران بطريق غير شرعى بإخفائها فى الكتب أو ضمن الشحنات التجارية ، وكانت هذه الصحف هى التى تنشر المبادىء الدستورية والأفكار الثورية التى طغت على فكر الطبقات المتوسطة

---

١) نقلا عن " سياحتنامه ابراهيم بك " لحاجى زين العابدين المراغى ، المجلد الاول ص١٠٩

(2) Rypka (Jan): A history of Iranian literature pp. 337 ٢)

والفئـات الدينية التقدمية. (١)

وكان علماء الدين المستنيرون يحضون الناس على قراءة الصحف القومية ويوضحون لهم أهميتها ودورها الفعال في تنوير أفكار الايرانيين، وقد ورد في صحيفة " حبـل المتيـن " ضمن أحد المقالات تحت عنوان "وقايع نگـار حبل المتين مينويسد" ان حاجي شيـخ عبدالحسين اشرف الواعظين الطهراني المقيم برشت قال في إحدى خطبه بالمسجد :

(لاتبددوا وقتكم وحين تفرغون من أعمالكم إقرأوا صحف الإسلام خاصة صحيفـة " حبل المتين " وسائر الصحف الإسلامية فهي نافعة للدين والدنيا معا، رحـل مديروها عن الوطن، ولكل منهم عالم من العلم والفضل والكمال وقد إختاروا الغربـة وطنا ليرفعوا إسم الدولة والأمة في الخارج ويقوم كل منهم بإصدار صحيفة شهـيرة ويرسلها الى أطراف العالم وأكنافه، ذلك أن الوطن وحب الأمة والوطنيـة في طباعهم). (٢)

وسأتناول فيما يلي خمس من هذه الصحف كان لها ثقل سياسي وأثر فعال في الفكـر القومي الدستوري :

١) اخـتر :

كانت صحيفة أختر أولى الصحف الفارسية التي صدرت خارج ايران، وقد صدر العـدد الأول منها عام ٢٩٢ اهـ.ق./ ٨٧٥ لم. (٣) بعد أن إفتتحها مؤسسها ومحررهـا " آقـا محمد طاهر تبريزي "في اسطنبول في نفس العام، وظلت تصدر لمدة عشرين عاما وتوقفت عـن

---

(1) Rypka (Jan): A history of Iranian literature, pp. 337 (١)

(٢) صحيفة " حبل المتين " : العدد الثامن والثلاثون ١٦ ربيع الثاني ١٣١٨ هـ ١٣ اغسطس ١٩٠٠ م

(3) Browne (E.G.): The press and poetry of Modern Iran, pp. 60 (٣)

الصدور عام ٣١٣ اهـ.ق/ ٨٩٦ لم. بأمر من الحكومة العثمانية، حققت اختر شهرة واسعة فى القوقاز (١) وفارس وتركستان والهند والعراق العجمى، وكانت نقطة إلتقاء المنفيين من الوطنيين الإيرانيين وظلت على تماسكها بفضل التعاون الأدبى من جانب العلماء الوطنيين، وكان من بين محرريها "ميرزا آقا خان كرمانى" و"والشيخ احمد روحى" اللذان أعدمتهما السلطات الإيرانية لمعارضتهما للنظام الحاكم، وكان من بين محرريها أيضا "ميرزا مهدى تبريزى" (٢) و"ميرزا على محمد خان كاشانى". (٣)

وكانت اختر تنشر مقالات سياسية مؤثرة وقوية وخاصة فى المواقف الحرجة مثلما حدث إبان حركة امتياز الطباق عام ٨٩٢ لم. (٤)

٢) قانـــون:

أسس هذه الصحيفة وقام بتحريرها ميرزا ملكم خان ناظم الدولة السفير الإيرانى الأسبق فى لندن، وصدر أول أعدادها عام ٣٠٧ اهـ.ق/ ٨٩٠ لم فى لندن، وكانت تتميز بأسلوبها البسيط الواضح الغنى بالأفكار الحديثة ووعيها الدقيق بالمشكلات التى تتناولها وقد زادها ثقلا التعاون الأدبى المتقطع من السيدجمال الدين الأفغانى. (٥)

لم تكن صحيفة قانون صحيفة لنشر الوقائع السياسية فى العالم بل كانت صحيفة تبلغ أفكار ملكم خان (٦) وكان هدفها الأصلى مناصرة الأسس والمبادئ الليبرالية وتعريف الشعب

---

١) كان العامة فى بعض نواحى القوقاز يعتبرون قراءة اختر كفرا وكانوا يطلقون على الخاصة المتحمسين لقراءتها إسم "اختری مذهب". (يحيى آرين پور: ازصبا تانيما، ج ١ ص ٢٥٠.

٢) هو محرر صحيفة "حكمت" التى كانت تصدر فى القاهرة.

٣) هو محرر صحيفتى "ثريا" و"پرورش" فى القاهرة.

٤) آرين پور (يحيى): ازصبا تانيما، ج١، ص ٢٥٠.

٥) (5) Rypka (Jan): A history of Iranian literature, pp.336

٦) نورائى (فرشته): تحقيق درأفكار ميرزا ملكم خان ناظم الدولة، ص ١٨٥، تهران ١٣٥٢.

الإيرانى بالحقوق الإجتماعية ومزايا الحرية ونظم حضارات الغرب والفلسفات التى إتبعهـا الغرب مبرهنة على أن التقدم نتيجة طبيعية لسيادة القانون والمساواة الاجتماعيـة (١) ، ونشر ميرزا ملكم خان على صفحات " قانون " كل ماكان قد قام ببحثه وتدوينه فى رسالاته وكتبه فى محاولة منه لتبليغ أفكاره الى أكبر عدد ممكن من أفراد وطبقات المجتمع الإيرانى . (٢)

لم تكن "قانون " إسلامية تماما " فى نغمتها كما يقول " ادوارد براون " (٣) ، فليس معنى أن تبدأ بدعاء موجز باللغة العربية وأن تنتهى بدعاء أن يغفر الله لكل رأى يخالف أحكام الإسلام أو يناقضها هو أنها إسلامية المنحى ، بل كانت هذه الصحيفة ليبرالية فى المقام الأول وقد إختار ميرزا ملكم خان لها إسم " قانون "فى مقابل " شريعة " وهى الأحكام الإسلامية ، فكانت دعوته لإقامة وسيادة القانون دعوة لتبنى القانون الوضعى الأوربى لا الشريعة الإلهية الإسلامية ، فمن المعروف أن ميرزا ملكم خان كان داعية سياسيا ليبراليا شديد التأثر بالغرب وحضارته ، وكانت صحيفته ممثلة الجناح التقدمى الليبرالى فى ذلك العهد . كانت مقالات "قانون " غير موقعة وكان معظمها تقريبا بقلم ملكم خان إلا أنه كان أحيانا يورد موضوعات على لسان أشخاص آخرين كنماذج على آراء الطبقات المختلفة ويرى " فرشته نورائى "أن من أرقى جوانب هذه الصحيفة إهتمامها بموضوع الحقوق الإجتماعية للمرأة . (٤)

كانت " قانون " توجه فى مقالاتها إنتقادات عنيفة للعديد من مساوئ المجتمع الإيرانى فى ذلك العهد ، وكانت تركز فى نقدها على تصرفات الشاه وأمين السلطان

---

١) ملكزاده (مهدى) : انقلاب مشروطيت ايران ، جـ١ ، ص٢٤١ .
٢) نورائى (فرشته) : تحقيق درأفكار ميرزا ملكم خان ناظم الدولة ، ص ٢٠٥
٣) (3) Browne (E.G.): The Persian revolution, pp.36
٤) نورائى (فرشته) : تحقيق درأفكار ميرزا ملكم خان ، ص ١٨٧

الصدر الأعظم الذى تسبب فى تدهور الأوضاع فى ايران ، يقول ملكم خان فى العدد الأول من " قانون ":

"سيقفز الصدر الأعظم من مقعده نصف ياردة حين يرى " قانون " ، وسيلقى بقلنسوته على الأرض ويمزق ياقته وبعد عدة تشنجات تعبر عن الغضب سيهرول الى الأجانب ويقبّل أقدامهم ليرهن لديهم ماتبقى من حقوق الدولة ، وربما توضع "قانون " بعون منهم ضمن قائمة الصحف المحظورة ، ياليت ،فالصحيفة التى لاتحرّم فى ايران لاتعنى أى شيء " . (١)

وقد صورت " قانون " الأوضاع العامة فى زمنها تصويرا ماهرا ، فيقول ميرزا ملكم خان :

" إن ايران بيتنا ، وهذا البيت قد غرق فى المذلة ، أى بلية أو فضيحة وأى نوع من أنواع الفقر فى تاريخ الدنيا لم يسيطر على أرض ايران ؟ وأى قلم يمكنه أن يبين قدر ذرة من فوضى إدارتنا ؟ " . (٢)

" فى فترة الأربعين عاما التى مرت من حكم ناصر الدين شاه لم يوجه أى اهتمام الى إصلاح شئون ايران ، وبهذا الفراغ الطويل أصبحت الولايات الإيرانية اليوم أشد خرابا وشعبنا أكثر شللا وجيشنا أشد فوضى وإستقلال امتنا أقل ومتاعب العامة أكثر وأصبح خطر الإنهدام وشيكا " (٣)

" يجب تغيير هذه الأوضاع ، إننا نريد الأمن على الأموال والأرواح ، نريد أن نهيء الأسباب التى تؤدى الى وضع زمام أمور الدولة فى يد أفاضل الامة ، نريد لضرائبنا أن

---

١) نقلا عن : (1) Browne (E.G.): The Persian revolution, pp.36

٢) صحيفة " قانون " : العدد ٢ ، شعبان ١٣٠٧

٣) صحيفة "قانون " : العدد ٤ ، شوال ١٣٠٧

توجه تماما الى حفظ حقوق الأمة وأسباب العمران ، ونريد أن نقيم بايران مجلس شورى للأمة يشارك فيه أعاظم العلماء ومشاهير العقلاء فى الأمة حتى يراقبوا بشكل مستقل حقـــوق الدولة والشعب فى الحدود المقررة ". (١)

وينبه "ميرزا ملكم خان" ناصر الدين شاه الى العواقب الوخيـمة لغوض حكم أميـــن السلطان فيقول :

" ولتعلم علم اليقين أن صبر ايران قد نفذ ، ومن المحال لثورة الغضب التى نشبت هذه الأيام بين المصلحين وفى قلوب عامة الشعب أن تسكت على عار هذه الأوضاع أكثر مـن هذا ، ولايمكن لروح الحميّة الإيرانية مهما تعرضت للضربات أن تتحمل أكثر من ذلـــك أن يسرق السافل إبن الغلام .. عقل الشاه وطيب طويته .... وأن يتصور أن كل شعـــب هـذه الدولة كبش فداء له ." (٢)

" لقد أصبحت كل حقوق الأمة ألعوبة وآداة لأغراض هذا الشاب ، وقد شاع السخط بين الناس حتى أنهم يطالبون بكل أنواع الثورات ". (٣)

وينتقد ضياع الحقوق الإجتماعية والإنسانية للشعب الإيرانى ويندد بالإستبداد وكبت الحريات فى ايران ، ويرجع كل تلك المساوىء الى إنعدام القانون وحصر كل أمور الدولة فـى يد أفراد قلائل :

" إن حيوانات أزقة أوربا تعلم أنه ليس هناك من له القدرة على التعدى على حقوقهـا ونحن الذين نفخر بشرف جنسنا غير آمنين قدر ذرة على أدنى حقوق الحياة ، والآن ونحـــن

---

١) صحيفة " قانون " : العدد ٢٢ ، بدون تاريخ ، نقلا عن : تحقيق درافكـــار ميرزا ملكم خان ناظم الدولة ، فرشته نورائى ، ص ١٨٨ ، ١٩٠ .

٢) صحيفة قانون : العدد ٢ ، شعبان ١٣٠٧ ، نقلا عن " تحقيق درافكار ميرزا ملكـم ناظم الدولة : فرشته نورائى ، ص ١٩٠ .

٣) صحيفة قانون : العدد ١٤ ، بدون تاريخ ، نقلا عن فرشته نورائى ، ص ١٩٠

فى مكاننا هنا إذا تعرضت بيوتنا ومستلكاتنا وأعراضنا ودیننا وكل كياننا لكل ألوان الغظاعة بمجرد إشارة من شاب مجهول فأى ديوان وأى قانون سيهب لنجدتنا ؟ .... بأى دين وحسب أى عرف يجوز أن تقطع الألسنة والاذن وتجدع الانوف فى دولة إسلامية دون أن يجرؤ أحد على أن يسأل لماذا ؟ وبأى ذنب ؟ وبأى قانون ؟ هذا وفى مقابل كل أعاجيب التقدم فى العالم ، ... أى خادم ملكى يجب أن نسعى الى أعتابه لنحصل على إذن بالحياة ؟ ... أى طالع سوء ولدنا فيه نحن شعب ايران حتى يفرض علينا أن نكون خارجين الى هذه الدرجة عن دائرة الإنسانية ونظل محرومين من حقوق الحيوانات فى سائر الأمم ؟ ". (١)

" إن أصل عيوب إدارتنا هو إنعدام القانون أى أن مصير كل شئون الدولة مرتبط بإرادة فرد واحد وأغلبها رهن ميول الوزراء وأغراضهم ، إن رقى سائر الأمم وراحتها يكمن فى إستقرار القانون ". (٢)

" نحن نعلم بلا شك أن ملكنا عادل ولكن لامعنى إطلاقا العدالة الملك الشخصية بدون قوانين عادلة ، والمقصود بالعدالة القانونية هو ألا يجرى أى حكم على الرعية إلا بحكم القانون ، وحكم القانون لايصدر عن أية جهة سوى دواوين العدل وذلك أيضا بعد إتمام جميع شروط التحقيق والإثبات ". (٣)

ويعرض ملكم خان أثر يقظة الأمة فى الأحداث التى طرأت فى ذلك العهد وخاصة فى الحركة العامة التى قامت ضد إمتياز الطباق ومن المعروف أن صحيفة قانون قد لعبت دورا

---

١) صحيفة قانون : العدد ٣ ، رمضان ١٣٠٧ ، نقلا عن فرشته نورائى ، ص ١٩١ .
٢) صحيفة قانون : العدد ١ ، رجب ١٣٠٧ ، نقلا عن فرشته نورائى ، ص ١٩٣ .
٣) صحيفة قانون : العدد ٣ ، رمضان ١٣٠٧ ، نقلا عن فرشته نورائى ، ص ١٩٣ .

كبيرا فى إلغائـــه :

" إن هذه الحركة التى برزت من شعبنا ضد إمتياز الطباق قد عادت على ايـــران بفائدة تزيد عن فائدة مائة صدر أعظم ، فقد أدرك الصديق والعدو أن هناك شعبا فـــى ايران غير هؤلاء الوزراء العاطلين " . (١)

ويقـول فى نفس هذا الصدد فى مقالة أخرى :

" إنظروا الى تجارة الطباق التى كانت من قديم الزمان وسيلة من وسائل حياة الأمـــة بدون أية مرارة ، كم من فضائح أدت إليها وكم من خراب تسببت فيه من جديد وكل ذلك مـن جراء الجنون ، وماذا ينتظر من جهاز حكومى لايرتضى قانونا إلا الغش والخديعة والإغتصـاب والإغارة والسلاسل والجلّادين ؟ " . (٢)

ويسوق ملكم خان الموضوعات التى كانت ضمن الحملة المضادة لصدارة أمين السلطـــان على لسان تاجر تبريزى وآخر قزوينى مبينا أسلوب فكر طبقة التجار ، فيقول على لسان التاجر التبريزى :

" روحنا هائمة من إعتمال أفكار ايران ، والحقيقة أنه قد آن الآوان لكى نفتح عيوننا فـى الدنيا ونفكر فى حياتنا ..... وإمتياز الطباق ليس إلا واحد على ألف من حقوقنا الـــتى تضيعها تلك المخلوقات آكلة لحم الشعب هباء بكل سفاهة ، .... ولنفترض أنهم قد ألغـــو إمتياز الطباق ، هل لديكم شك فى أنهم سيبيعون عوضا عنه عشرين جزء من حقوقنا الأكبر بقيمة أدنى لشركائهم الأجانب " ؟ (٣)

---

١) صحيفة قانون : العدد ٢٢ ، بدون تاريخ ، نقلا عن فرشته نورائى ، ص ١٩٦
٢) صحيفة قانون : العدد ٢٠ ، بدون تاريخ ، نقلا عن فرشته نورائى ، ص ١٩٦
٣) صحيفة قانون : العدد ١٧ ، بدون تاريخ ، نقلا عن فرشته نورائى ، ص ١٩٦

ويقول على لسان التاجر القزوينى :

"أما من أحد يسأل ذلك الشاب النجيب [أمين السلطان] بأى قانون تبيع حقوقنا وإمتيازات بلادنا الى الأراذل من الأجانب ، إن التعاملات التجارية حسب الشريعة الإسلامية وطبقا لقانون أية دولة حق وملك لأهل هذه البلاد ، وهذه التعاملات وسيلة ورأسمال لحياتنا ، فبأى وقاحة تبيع وسائل حياة المسلمين للكفار ؟ هل مات شعب ايران حتى تزايد على تركته بهذا الشكل ؟" . (١)

وكان ملكم خان يرى ضرورة جذب مساندة طبقة علماء الدين للأحداث السياسية والحركة الدستورية وقد نجم هذا عن إدراكه الإجتماعى لتقليدية المجتمع الإيرانى ، فيقول فى إحدى مقالاته :

" من الواضح تماما أن الشعب الايرانى لايستطيع القيام بأى عمل إلا بهدى وزعامة المجتهدين وهناك اليوم فى هذه الطبقة شخصيات صاحبة فكر وكيانات فعالة كثيرة ، وينبغى حتما أن نبحث عن حكماء تلك الطبقة فى كل مكان يوجدون فيه لنجعل من مكانتهم وفضيلتهم دليلا للقانون وزعامة لإتحاد الشعب " . (٢)

واقترح ميرزا آقا خان كرمانى على ميرزا ملكم خان تغيير إسم قانون وإستبداله بـ"عدالة" :

" عليك أن تستبدل إسم " قانون " بكلمة "عدالة" ، لأن معظم الشعب من العامة لايفهمون كلمة قانون ، بل يظنون القانون شريعة جديدة ، أما العدالة فهى مفهومة فى كل الأذهان وسيكون لتغيير الإسم أثر طيب " . (٣)

---

١) صحيفة قانون : العدد ٦ ، ذو الحجة ١٣٠٧ ، نقلا عن فرشته نورائى ، ص ١٩٦

٢) صحيفة قانون : العدد ٧ ، بدون تاريخ ، نقلا عن فرشته نورائى ، ص ١٩٧

٣) ميرزا آقا خان كرمانى الى ملكم خان (١٣٠٨) مجموعة اسناد ملكم : نقلا عن فرشته نورائى : ص ١٩٧

وأعلن ملكم خان فى رده على إقتراح ميرزا آقاخان كرمانى كفاية الشريعة الإسلامية :

" يتصور البعض أننا نريد بهذه الصحيفة أن ننشر قوانين جديدة فى ايران ، وهذا التصور خاطىء تماما ، فليس مقصودنا وإحتياجنا هو أن نبتكر قوانين جديدة لأهل ايـــران ، فنحن نرى تلك القوانين التى علمها الله والرسول والحكماء لعلماء الإسلام كلها صحيحة تامـــا وكافية ، ورأينا انه من الواجب علينا أن نوحد حكماء ايران على موضوع إعادة تنظيم ايران " (١)

وحققت صحيفة " قانون " إنتشارا كبيرا بيـــن الإيرانيين من مختلف الطبقات بفضـــل سهولة أسلوبها وبساطة عرض الموضوعات ، ويرى ريبكا أن هذه الصحيفة " أفضل وأقـــوى صحف ماقبل الدستور " . (٢)

٣) حبـل المتيـن :

بدأ صدور صحيفة " حبل المتين " عام ١٣١١ هـ.ق / ١٨٩٣ م. فى كلكتا بالهنـــد وكانت تصدر فى عشرين صفحة تقريبا ، وقد إحتلت هذه الصحيفة مكانة هامة فى الأوساط الدينية والعلمية الى جانب ماكان لها من ثقل سياسى كبير ، وقد زاد من أهميتها تخصيصها لجـــزء من صفحاتها لنشر الكتب والترجمات الحديثة كحواشى . (٣)

محرر هذه الصحيفة هو سيد جلال الدين الكاشانى " مؤيد الإسلام " الذى شـــارك بفكرة فى إيقاظ عقول الإيرانيين وكشف المساوىء الإجتماعية والسياسية بالإضافة الى إهتمامـــه بنشر الأحداث الدينية الهامة ، وكانت صحيفة حبل المتين تنشر على صفحاتها مقالات ثوريـــة بأقلام الأحرار الإيرانيين فى داخل ايران بتوقيع متحفظ ، وكانت تحث الشعب على تأسيـس

---

١) صحيفة قانون : العدد ٦ ، ذو الحجة ١٣٠٧ ، نقلا عن فرشته نورائى ، ص ١٩٧

٢) (2) Rypka(Jan): A history of Iranian literature,pp. 365

٣) (3) Kamshad(H): Modern Persian Prose literature, pp.30

المدارس والتزود بالعلم (١) وتميزت حبل المتين بإثارتها لحس الفخار القومى فى نفس الإيرانيين. (٢)

لقيت هذه الصحيفة تأييد الأوساط الدينية وتعد ممثلة الجناح الإسلامى بين صحف ذلك العهد وفى هذا الصدد يرى "ادوارد براون" أنها "بطلة الإتجاه الإسلامى" (٣)

وكان من أسباب رواجها أن "حاجى زين العابدين تقيوف" وهو أحد التجار الإيرانيين كان قد أرسل مبلغا كبيرا من المال الى الصحيفة من أجل أن ترسل أعدادها الى العلماء بالنجف وغيرها من المدن مجانا مما دعم علاقة العلماء بالصحيفة فأخذوا فى حث الناس على قراءتها. (٤)

٤) ثريا :

وهى صحيفة أسبوعية كانت تصدر فى القاهرة منذ عام ١٣١٦ هـ ق/ ١٨٩٨ م وكان العدد الأول منها بتاريخ ١٤ جمادى الثانية ١٣١٦ هـ ق/ ٣٠ أكتوبر ١٨٩٨ م (٥) كان يحررها ميرزا على محمد خان كاشانى وكانت تنشر مقالات مؤثرة وشاركت مشاركة إيجابية فى تنوير الرأى العام فى ايران إلا أنها لم تعمر طويلا حيث إنفصل عنها محررها الكفء ميرزا على محمد خان كاشانى فقلت قيمتها وتأثيرها، وتولى تحريرها بعده سيد فرج الله كاشانى الذى أخذ يهاجم على صفحاتها صحيفة "حبل المتين" فى حديثها عن القانون والحكومة الشرعية (٦) ويتناول بالنقد والتهكم آراء المفكر جمال الدين الأفغانى (٧) وقد إستمرت

---

١) ملكزاده (مهدى) : انقلاب مشروطيت ايران، جـ ١، ص ٢٤٢.
٢) مجلة "سخن" : الدورة الخامسة والعشرون، العدد ٣، ٤، ص ٣٥٩
٣) (3) Browne(E.G.): The press and poetry of modern Iran, 73
٤) كسروى (احمد) : تاريخ مشروطه ايران، جـ ١، ص ٤٢
٥) (5) Browne (E.G.): The press and poetry of modern Iran,pp.67
٦) كسروى (احمد) : تاريخ مشروطه ايران، جـ ١، ص ٤١
٧) نور الدين آل على : مجلة المنتدى، السنة الاولى ـ العدد الثانى ١٩٧٨ م/ ١٣٥٧ هـ ش ٢٠٠

الصحيفة فى الصدور بالقاهرة بعض الوقت ثم أوقفت وعاد محررها الى تهران حيث إستأنف صدورها . (١)

٥) پـــرورش :

وهى صحيفة أسبوعية أصدرها ميرزا على محمد خان كاشانى بالقاهرة ، صدر العـــدد الأول منها بتاريخ ١٠ صفر ١٣١٨ هـ.ق/ ٩ يونيو ١٩٠٠ ، وقد حازت هذه الصحيفـــة شهرة كبيرة من حيث الكيف والأثر وكانت من أفضل الصحف الإيرانية قبل الدستور ، جـذب أسلوب محررها إنتباه الإصلاحيين والأحرار الإيرانيين الذين إهتموا بالحصول عليهـــا وقراءتها رغم حظر دخولها الى ايران ضمن الصحف الممنوعة ، وقد حظر دخولها الى ايـران بسبب حدة مقالاتها وهجومها على تخلف الأساليب الإدارية للحكومة الإيرانية وخاصـــة إنتقادها للتصرفات غير الوطنية لأمين السلطان (الصدر الأعظم) وخاصة ذلك المقـــال الذى نشر فى العدد ٢٣ والذى قارن بين كفاءات امين الدولة وأمين السلطان ، ولكنهـا إستمرت فى الدخول الى ايران عن طريق قنوات سرية ، وظهر فى عددها الأخير مقال شهـير عنوانه "زارى برشكستگى قلم ـ بأى ذنب قتلت ؟" كانت له أهمية نقديه كبيرة ، الـــى جانب تأثير الصحيفة كلها من الناحية الأدبية وتطور النثر الحديث .

وقد صدر من هذه الصحيفة ثلاثة وثلاثون عددا . (٢)

صدرت فى ايران الى جانب الصحف الفارسية صحف أجنبية كانت أولاها الصحيفـــة الفرنسية التى لم يصدر منها إلا عدد واحد بتاريخ ٥ فبراير ٨٧٦ م/ ٢٩ ١هـ.ق. ، ورأس تحريرها "بارون لوى دى نورمان" وهو بلجيكى إستدعاه ناصر الدين شاه الى تهران عـــام

---

(1) Browne (E.G.) : The press and poetry of modern Iran, pp. 67

١) المرجع السابق ، ص ٥٨

٨٧٥ لم إلا أن التلميح الى الحرية الذى يمكن إدراكه فى هذا العدد قد أغضب الشاه عليه فأمر بإيقاف الصحيفة وفصل محررها . (١)

كانت الصحف الفارسية الصادرة خارج ايران هى التى ساهمت فى اليقظة الفكرية فى العهد السابق على الدستور ، وكانت هذه الصحف وبالتحديد التى إنتمت الى المعارضة هى التى قدمت الأشكال الأدبية الجديدة الأشد ثورية وأثرت تأثيرا إيديولوجيا حقيقيا على الرأى العام فى ايران . (٢) أما سائر الصحف التى صدرت داخل ايران وبعضها أيضا صدر خارجها فكانت إما ذات ثقل سياسى ضئيل أو موالية للنظام الحاكم ، لكن هذه السلبية نفسها كانت مفيدة الى حد ما فقد كانت تتحدث عن دول اوربا وتقدمها وقوتها وعن العلوم والإختراعات الحديثة وتُطلع الناس على الجديد فى الفكر وكان هذا فى حد ذاته باعثا على التحرك واليقظة . (٣)

.. .. ..

---

(1) Browne(E.G.):The press and poetry of modern Iran,pp.16 (١)

(2) Kamshad(H): Modern Persian Porse literature,pp.29 (٢)

٣) كسروى (احمد) : تاريخ مشروطهٔ ايران ، جـ ١ ، ص ٤٤ .

واستعلامى (محمد) : ادبيات دورهٔ بيدارى ومعاصر . ص ٤

دور الصحافة فى تطور النثر :

لم يقدم الأدب الفارسى ـ فى الإتجاه السياسى البحت ـ فى فترة التحضير للثورة فى كتب أو دواوين شعرية بل قدم للقارئ فى صحف ومجلا ت ، ومن ثم فلازالت الصحافة هى أفضل مرآة أدبية لذلك العهد . (١)

وبالإضافة الى تنشيط التيار القومى قدمت هذه الصحف لنهضة أدبية حديثة ، فقد كانت الموضوعات التى تتناولها الصحف فى ذلك الوقت تتطلب أسلوبا نثريا مبسطا بعيدا عن التكلف والتعقيد ، خاصة وأن هناك بعض الصحف كانت تتناول الحياة فى ايران بالنقد من خلال الفكاهة والسخرية ، وكانت هذه المقالات الصحفية موجهة الى الإيرانى البسيط الذى يحتاج الى المعرفة فى قالب مبسط مفهوم .

كانت صحيفة " قانون " أفضل الصحف السابقة على الثورة الدستورية من ناحية الأسلوب الأدبى والتعبير ، فكان أسلوبها البسيط سببا فى شغف الناس بقراءتها ، وقد ظهرت من خلال هذه الصحيفة ألفاظ مستحدثة مثل : " قانون " ـ " تنظيمات " ـ " اصول اداره " وغيرها من الألفاظ التى دخلت الفارسية الجارية وعم إستخدامها (٢) . كانت مواد الصحف بسيطة وسهلة ، ولكن كثرت الأخطاء الإملائية واللغوية أيضا فى صحف ذلك العهد فأوردت صحيفة ثريا على سبيل المثال لفظ " نوند " وهو يعنى " حصان " بمعنى " نوان " أى "عاجز " . فأتى فى مقالة " مصاحبه "فى العدد ٢١ :

ناله وسوگوارى تا دامان آسمان بلند وسرها فكنده ونونـــد (٣)

---

(1) Rypka(Jan): A history of Iranian literature,pp. 365 (١)

(2) Browne (E.G.): The press and poetry of modern Iran, pp. 17 (٢)

٣) بهار (محمد تقى) : سبك‌شناسى ، المجلد الثالث ، ص ٤٠٢

وينبغى القول أن تقليد السابقين لم ينمح تماما من صحف ذلك العهد على الرغم من بداية ثورة نثرية فى أسلوب الكتابة فى الصحف ، وكان السبب فى الأخطاء اللغوية والإملائية هو أن الصحف الهامة مثل حبل المتين وتلك الصحف التى كانت تصدر فى طهران كانت يومية فلم يكن كتاب هذه الصحف يجدون الفرصة للدقة التامة فى التحرير. (١)

وظهرت من خلال صحف ذلك العهد ألفاظ ومصطلحات أوربية لم يكن لها مقابل فى الفارسية من قبل وكانت هذه الألفاظ تستخدم للضرورة ولتلبية إحتياجات العصر من ألفاظ مستحدثة.

.. .. ..

---

١) بهار (محمد تقى) : سبك‌شناسى ، ص ٤٠٢

الْفَصْلُ الثَّالِثُ

التَّعْلِيمُ الْحَدِيثُ وَدَارُ الْفُنُونِ

المدارس الحديثة :

كان التعليم فى ايران حتى أواخر القرن الثالث عشر ينقسم الى نوعين : (١) المدارس الدينية التى كان يدرس بها التلاميذ ليكونوا ملات. (٢) الكتاتيب التى كان الأطفال يتعلمون بها القراءة والكتاب فحسب. (١)

أما المدارس الإبتدائية فكان أول من أسسها فى ايران هو " ميرزا حسن رشديه (٢) " عام ١٣١٤ هـ.ق / ١٨٩٧ م فى تبريز ، وبذل " ميرزا حسن رشديه " جهدا كبيرا فى تربية الأطفال ووضع قواعد لتعليم اللغة الفارسية قراءة وكتابة .

وأسس أمين الدولة — الصدر الأعظم فى ذلك العهد — مدرسة باسم " رشديه " فى تهران وعهد بإدارتها الى " ميرزا حسن رشديه " ، وظلت هذه المدرسة هى المدرسة الوحيدة فى تهران حتى وقت متأخر ، لكن توالى إنشاء المدارس الأخرى بعد فترة نتيجة لإهتمام الناس .

ومن الإنجازات الموفقة فى نشر المعارف الحديثة تلك التى قام بها ميرزا سيد محمد طباطبائى الذى كان من العلماء المستنيرين والشيخ هادى نجم آبادى وهو من كبار العلماء المتفتحى الفكر ، أسس ميرزا سيد محمد طباطبائى مدرسة على الطراز الحديث باسم "مدرسة اسلام " وعهد بإدارتها الى إبنه ميرزا سيد محمد صادق طباطبائى الذى كان فى سلك علماء الدين .

---

١) كسروى (احمد) : تاريخ مشروطه ايران ، المجلد الاول ، ص ١٩

٢) كان " ميرزا حسن رشديه " من أبناء أحد ملات تبريز ، ذهب فى شبابه الى بيروت حيث رأى المدارس وإطلع على أسلوب التدريس بها وحين عاد الى تبريز عزم على إقامة مدرسة على نسق تلك التى رآها فى بيروت وقد سمى حسن رشديه " بأبى المعارف " وكان يطلق على نفسه إسم " پيرمعارف "

كان علماء الدين الإيرانيون يعتبرون الثقافة الحديثة والمدارس الجديدة مظهرا من مظاهر الكفر والتفرنج وكانوا يطلقون على أنصار المعارف إسم " بيدينان " (١) لكنهم كفّوا عن الإعتراض بعد أن أقدم هذان السيدان المستنيران على تشجيع إنشاء المدارس الحديثة وحث الناس على تدعيمها .

ومنذ ذلك الحين إتجه أنصار المعارف الى ترويج العلوم الحديثة وتأسيس المدارس فأسس " لقمان الممالك " (٢) مدرسة باسم "لقمانية" فى تبريز ، وأنشأ " ملك المتكلمين " مدرسة فى اصفهان وأخرى فى ميناء بهلوى ، وأنشأ القاضى القزوينى مدرسة إبتدائية فى قزوين ، وأنشأ سعيد العلماء مازندرانى "المدرسة القدسية " فى تهران ، وأسس مرتضى قليخان الشهير " بكماليه " المدرسة "الكمالية" فى جنوب تهران ، وأسس أرفع الدولة الذى كان سفيرا لإيران فى اسلامبول فى ذلك العهد مدرسة إبتدائية باسم "مدرسة العلم" فى تهران . (٣)

وبذل حاجى ميرزا يحيى دولت آبادى مجهودات كبيرة فى تأسيس المدارس وأنفق معظم ثروته فى سبيل هذا الهدف فأسس مدرسة " ادب "ومدرسة" سادات " ومازالت الأخيرة قائمة حتى الآن . (٤)

وأنشئت عشرات المدارس فى تهران وسائر المدن والولايات فقلما كانت هناك مدينة تخلو من مدرسة أو مدرستين حتى ظن الكثيرون أن العلاج الوحيد لما تعانية البلاد من تخلف هو المدرسة . (٥)

---

١) ملكزاده (مهدى) : انقلاب مشروطيت ايران ، المجلد الاول ص ١٥٠
٢) تلقى " لقمان الممالك "تعليمه فى فرنسا وكان من أشهر أطباء ذلك العصر .
٣) ملكزاده (مهدى) : انقلاب مشروطيت ايران ، المجلد الاول ، ص١٥٤
٤) المرجع السابق ، ص١٥٤
٥) كسروى (احمد) : تاريخ مشروطه ايران ، المجلد الاول ص٣٨

وكان أنصار المعارف والمهتمون بنشر المدارس الحديثة يقيمون المدارس على نفقتهم ومن أموالهم الخاصه دون عون من الحكومة ، وكان من لايقدر على إنشاء مدرسة يتطوع للتدريس فى هذه المدارس.(١)

المكتبة القومية :

رغم أن وجود المكتبة القومية فى كل دول العالم كان من ضروريات حياة الشعب كانت المكتبة القومية فى ايران تعد من مظاهر المناداة بالحرية والتجديد ، ولم يجرؤ محبو المعرفة على تأسيس مكتبة عامة خوفا من إتهام السلطات لهم بالتمرد حتى عام ١٣٢٢ هـ.ق / ١٩٠٤ م حيث عقد "ملك المتكلمين" و" حاجى سيد نصر الله تقوى" " وميرزا محمد عليخان نصرة السلطان" العزم على تأسيس مكتبة قومية كنواة للمكتبة القومية الحقيقية فاستأجروا عدة أدوار من عمارة فى شارع ناصرى بتهران وأوقفوا كتبهم الخاصة على هذه المؤسسة واشتروا حسب ماسمحت أوضاعهم المالية مايحتاج إليه الناس من كتب ولوازم ضرورية للمكتبة ، وأهدى عدد من محبى المعرفة أيضا كثيرا من الكتب الى هذه المؤسسة القومية ، وهكذا تأسست المكتبة العامة لأول مرة فى ايران.

أصبحت هذه المكتبة ـ بالإضافة الى دورها فى الإفادة العلمية ـ مركزا لترويج الأفكار الحديثة وقاعدة للمناداة بالحرية ومناقشة الأوضاع السياسية فى البلاد ، وتمهّد فيها لتشكيل مجمع عام للأحرار فى تهران كان مركزا للحزب الدستورى فى ايران.

وزاد إنضمام المستنيرين الى هذا المجمع الدستورى رغم أن المكتبة القومية كانت موضع سوء ظن الحكومة وكان موظفوا الأمن يراقبون المترددين على هذه المكتبة القومية .(٢)

---

١) ملكزاده (مهدى) : انقلاب مشروطيت ايران ، المجلد الاول ، ص ١٥١

٢) المرجع السابق ، ص ٢٥٩

مكتبة " تربيت " فى تبريز :

أسس "ميرزا محمد علىخان تربيت "الذى كان من كبار المنادين بالحرية فى آذربيجان مكتبة باسم "تربيت " فى تبريز بمساعدة "آقاى تقى زاده "و" ميرزا سيد حسينخان عدالت ".

دار الفنون :

أدى الشعور بالإضمحلال والتدهور فى مختلف شئون الحياة فى ايران وبضرورة أخذ العلوم الغربية الحديثة وتغيير الأسس التعليمية العتيقة الى إنشاء كلية دار الفنون عام ١٢٦٦ هـ.ق. وكان الهدف منها وضع أساس الثقافة الإيرانية الحديثة وتعليم الشباب علوم الغرب وثقافته وكان إحتياج الدولة الى وجود مثل هذه الموسسة التربوية ملموسا منذ فترة طويلة .

أنشئت هذه الكلية العلمية بجهود ميرزا تقى خان اميركبير (الذى رأس الوزارة حتى عام ٨٥٢ لم) ، ولكن حين افتتحت هذه الكلية فى الخامس من ربيع الاول ٢٦٨ (هـ.ق/ ٨٥٢ لم كان اميركبير يقضى آخر ايامه فى المنفى فى " باغ شاهى فين كاشان " وقتل بعد إفتتاحها بأسبوعين ولم ير ثمرة جهوده. (١)

شملت هذه الكلية العلوم العسكرية والميكنة والطب والعلوم الطبيعية والإنسانية (والموسيقى أيضا) فى مناهجها ،وكان المخطط أن يقدم التعليم فيها بكل جوانبه على أساس إنجازات التعليم الغربى فكان من الصعب تحقيق هذا البرنامج بدون عون المعلمين الأوربيين ، لهذا إضطر القائمون عليها الى الإستعانة بالمعلمين الأوربين المتخصصين ،

---

١) جكتاجى (محمدتقى پور) : تاريخچه كتابخانه ملى ايران. تهران ١٣٥٧ ص ٣

وكان هناك الى جانب المعلمين الأوربيين بعض المعلمين الإيرانيين المسلمين لتدريس الأدب والشريعة وعدد من أرامنة آذربيجان وجلفا اصفهان الذين كانوا يجيدون لغة أو عدة لغات أوربية وشيئا من العلوم الحديثة نتيجة للسفر أو الدراسة فى أوربا مثل ميرزا ملكم خان الذى إرتقى الى مناصب عالية فى الدولة فيما بعد . (١)

وفى إختيار المعلمين الأجانب كان يراعى ألا يكونوا من دول لها مصالح سياسية فى ايران أو لها حدود مشتركة معها حتى لايزيد إرتباط ايران بهذه الدول الأجنبية أو تنشأ أشكال جديدة من العلاقات بينها وبين ايران . (٢)

كان هذا المعهد العلمى يلقى إهتماما من ناصرالدين شاه ، فكان يزوره شخصيا أحيانا ويحضر فى فصوله ، وكان يرسل إليه يوميا تقرير عن أحوال دار الفنون ، لكن بعد فترة قصيرة ونتيجة لتصرفات ميرزا ملكم خان وخاصة تأسيسه للجمعية الماسونية أساء ناصر الدين شاه الظن بالمدرسة وقل إهتمامه بها ، ومن ثم تراجع وضع دار الفنون ولم يبق من المعلمين الأوربيين والإيرانيين والطلبة إلا عدد محدود (٣) ، وفى عهد مظفر الدين شاه الذى شهد إضطرابات ثورية كثيرة فقدت دار الفنون مكانتها وأهميتها . (٤)

وضع كل من المعلمين الأوربيين الذين كانوا يقومون بالتدريس فى هذه الكلية كل فى تخصصه أولى المراجع الفارسية وقد أدت هذه الكلية مهمتها على الوجه الأكمل وصارت من العناصر الضرورية للسعى نحو تخليص البلاد من التخلف ، وتولى رئاستها الأولى

---

١) آرين پور (يحيى) : ازصبا تانيما جـ ١ ، ص ٢٥٢

٢) صادق (عيسى) تاريخ فرهنك ايران ، ص ٣٣٤ نقلا عن لغت نامه : على أكبر دهخدا ، مجلد ١٩ .

٣) آرين پور (يحيى) : ازصبا تانيما ، جـ ١ ، ص ٢٥٢

٤) مجلة ارمغان السنة : ٥٨ الدورة الخامسة والأربعون العدد : ٧ ، ٨ ابراهيم صفائى ، مهروآبان ماه ٢٥٣٥

" رضا قلى خان هدايت "الذى كان له تأثير قوى على نشر الثقافة والعلوم بالإضافة الى كونه شاعرا . (١)

أثرت دار الفنون فى تطوير الأسس التعليمية فى ايران ولم يمض وقت طويل على إنشائها حتى ظهرت فى تهران طبقة من الأطباء والرياضيين والطبيعيين ساعدوا بترجمة المراجع وتأليفها طبقا للأسلوب العلمى الحديث فى النهضة القومية الحديثة ووضعوا أساس المصطلحات العلمية الفارسية الحديثة التى لم يكن لها وجود من قبل . (٢) وكانت الكتب الدراسية الحديثة تطبع فى المطبعة الخاصة بالمدرسة وتوزع بين الدارسين والمهتمين .

وكانت هذه المؤسسة التعليمية هى التى تخرج فيها كثير ممن أفادوا ايران من الناحية العلمية وممن قاموا بالثورة الدستورية من السياسيين الجدد . (٣)

أما من الناحية الأدبية فكانت كل الكتب التى ترجمت متونا تاريخية وجغرافية وطبية للتدريس ولم تكن لها قيمة أدبية كبيرة .

.. .. ..

---

(1) Rypka(Jan): A history of Iranian literature,pp.339 (١)

(٢) آرين پور (يحيى) : ازصباتانيما ، المجلد الأول ، ص٢٥٢

(3) Avery(Peter): Modern Iran,pp.82 (٣)

الفصل الرابع

حركة الترجمة

اذا تركنا الكتب الدراسية التى كانت تترجم وتؤلف لطلبة دار الفنون ، واتجهنا الى الترجمات الأخرى نرى أن المترجمين الإيرانيين فى أواخر القرن الثالث عشر الهجرى قد ترجموا سلسلة من الكتب التاريخية الى اللغة الفارسية من بينها مؤلفات " والتر " التاريخية مثل " تاريخ بطرس الكبير " و " شارل الثانى عشر " و " اسكندر المقدونى " وبعد ذلك " تاريخ ايران " تأليف سيرجون ملكم الإنجليزى .

وكان من أوائل المترجمين الأمير محمد طاهر حفيد عباس ميرزا الذى ترجم بناء على أمرنا صرشاه بعض روايات الكسندر دوماس : " كونت دى مونت كرستو " ، " الفرسان الثلاثة " ، " لويس الرابع عشر والخامس عشر " .

كان للأدب الفرنسى تأثير كبير على الأدب الفارسى فى أواخر القرن التاسع عشر الميلادى ، فكانت معظم الكتب التى ترجمت فى ذلك العهد باللغة الفرنسية ذلك أن المجموعات الأولى للمبعوثين الإيرانيين للدراسة فى أوربا على نفقة الحكومة ذهبت الى فرنسا .

ومن أشهر الترجمات التى نقلت عن اللغة الفرنسية فى تلك الفترة ثلاث مؤلفات ترجمها ميرزا محمد حسن خان ذكاء الملك (فروغى) رئيس دار الترجمة الحكومية وهى :

(١) حول العالم فى ثمانين يوم : تأليف جول ڤرن . (١)

(٢) الكوخ الهندى : تأليف برناردان دى سان پيير (٢)

---

(1) Jules Verne: La tour du monde en 80 jours.
(2) Bernardin De Saint Pierre : La chaumiére Indienne.

(٣) مغامرات ابن سراج : تأليف شاتوبريان [١] وعنوان ترجمتها الفارسية " عشق وعفت ".

وترجمت عن الفرنسية أيضا " جيل بلاس" تأليف لوساج [٢] وقام بترجمتها محمد كرمانشاهى . وترجمت رواية " بول والعذراء " تأليف برناردان دى سان بيير [٣] وقام بترجمتها ابراهيم نشاط، وترجم " على مقدم إعتماد السلطنة " مسرحية " طبيب رغم أنفه " لموليير. [٤]

بالإضافة الى بعض الروايات التاريخية لجورجى زيدان قام بترجمتها عبدالحسين ميرزا قاجار. [٥]

بذلت دار المطبوعات جهودا كبيرة فى ترجمة ونشر المؤلفات الأجنبية، وكان إعتماد السلطنة [٦] كوزير للمطبوعات مهتما بنشر الأعمال التاريخية والإجتماعية الأوربية المترجمة، وكانت إدارة دار الترجمة الحكومية تولى إهتماما كبيرا لنشر الفكر الحديث والرقى به، وكان يعمل بهذه الدار بعض المترجمين الأكفاء ومن بينهم رئيس الدار ميرزا محمد حسين خان ذكاء الملك (فروغى) إلا أن نشر الفكر الحديث لم يكن يتفق والمزاج

---

(1) Chateabriand: Les avéntures du abencerage. (١)

(2) A.R. Le Sage: Gil Blas. (١٧٤٧) (٢)

(3) Bernardin De Saint Pierre: Paul et virgine. (٣)

(4) Moliere : Le medicin malgré lui. (٤)

(5) Kamshad (H): Modern Persian prose literature, pp.27

٦) قام إعتماد السلطنة أيضا بتشكيل جمعية العلماء " انجمن دانشوران " لنقل الأعمال الأدبية والعلمية من اللغات الأوربية الى اللغة الفارسية. طلال مجذوب: ايران من الثورة الدستورية حتى الثورة الإسلامية، ص ٧٠.

السياسى الحاكم فى ذلك العهد خاصة أن ذلك العصر كان يشهد نمو الافكار الثوريـــة وبداية تحرك الشعب ، فكانت الرقابة الشديدة على المطبوعات توقف نشر كثير من الاعمال والترجمات وتعوق نشر الفكر الحر والعالمى .

ورغم هذا ترجمت بعض الأعمال النقدية والإجتماعية الهامة نتناول منها هنـــا ثلاثة أعمال هامة لبحثنا " سرگذ شت تلماك " ، " منطق الوحش " ، " بوســـــة عذرا " ، ولكن نظرا لعدم إستطاعتى الإطلاع على الترجمات الفارسية لهذه الروايـات فقد إضطررت الى نقل معلومات موجزة عنها من كتاب " آدميت " (١)

سرگذ شت تلماك : (٢)

(1715-1651)

مؤلف هذه الرواية هو " فنيلون " الكاتب الفرنسى الشهير، وله أعمال عديدة أخرى فى السياسة والأخلاق والتربية والفلسفة الإلهية .

جذبت هذه الرواية أنظار المستنيرين فى ايران ومصر وتركيا حيث وجدوا فيهـا إنعكاسا لواقع مجتمعاتهم من بعض النواحى فقاموا بترجمتها ، وترجمها الى الفارسيـة " ميرزا على خان ناظم العلوم " ونشرت عام ١٣٠٤هـ.ق. / ١٨٨٧م (فى ٦٧٠ صفحـة) وترجمها مرة أخرى " ميرزا آقاخان كرمانى " لكن ترجمته لها ظلت ناقصة .

تلقى " ناظـم العلوم " دراسته فى فرنسا ، وكان من أنصار الفكر الحديـــث، وكانت ترجمته لهذه الرواية يغلب عليها الأسلوب الإنشائى . (٣)

---

١) آدميت (فريدون) : إيديولوژى نهضت مشروطيت ايران من ص٥٦ الى ٨٢

٢) (2) Fénlon : Les aventures de Telemaque, Paris, 1699

٣) آدميت (فريدون) : إيديولوژى نهضت مشروطيت ايران ص ٥٦

إن أهم موضوعات " سرگذشت تلماك " من وجهة النظر الإجتماعية هو موضوع "العقل" فيورد " فنلون " تعاليمه في هذه الرواية على لسان العقل . ونقتصر في حديثنا هنا على هذا الموضوع.

إن جوهر تعاليم فنلون هو أن تكون لتلماك حكومة " تؤم للعقل والتدبر " ، وأن يحكم " بالعقل والعدل " ، ومن ثم فقد طرح فلسفته للحكم، يوضح في البداية " المقصود بالحكم " ، فيرى غاية الحكومة في " حرية الشعب ورفاهيته " وفي تأمين " المصلحة العامة " ، وهذا لايتحقق إلاحين تقوم الحكومة على أساس" العقل والعدل " ، فالحكم ليس مجرد " تسلط وقوة " فهذه الفكرة تؤدي الى تقديس القوة ، والحقيقة أن " الحكم بالقهر والباطل هو قمة التعاسة والشقاء " .

ويرحل تلماك بناء على نصح معلمه الى جزيرة " كريت " في سبيل " تربية العقل " فيجد شعب هذه الديار العامرة آمنين لايعانون " عنت الحياة " و " لايحقد أحدهم على الآخر " متساوين في الحقوق والواجبات، وكانت سعادتهم هذه نتيجة " لقوانين مينوس" وأفكاره ، ومينوس هو " أعقل "الحكام ،كان يقول : لاينبغي على الحاكم " أن يفوق الرعية في المال والجلال " بل يجب أن يفوقهم " عقلا وأن يكون معلما وقدوة للشعب " .

ومن التعاليم الطيبة التي يلقنها المعلم لتلماك أن الحكم حين يقوم على أساس سليم فإن سائر الأمور تنصلح تبعا لها ، وينبغي على الحاكم نفسه أن يكون " حارسا " للقانون وأن تصدر أحكامه عن القانون " .

وينادي فنلون في تشريحه لأسس السياسة بنظرية الحقوق الطبيعية للإنسان وبالمساواة المطلقة في الثروة ، ومحو الإمتياز الإجتماعي الإرثي ، ويؤكد على وجوب عنصر الأخلاق في السياسة . (١)

---

١) آدميت (فريدون) : إيديولوژي نهضت مشروطيت ايران ص٥٦

منطق الوحش

منطق الوحش أو " الحمار يحمل أسفارا " هى رواية إجتماعية من نوع آخر ترجمت فى نفس هذه الفترة أى فى أواخر القرن الثالث عشر الهجرى .

أصل هذه الرواية هو " خواطر الحمار " وهى من مؤلفات الكاتبة الروائية الفرنسية "كونتس دو سيجور" (١) وهى رواية ذات هدف تعليمى ، وقد أضاف إليها المترجم فصلا لاصلة له بموضوع المتن الفرنسى ، تحدث فيه عن فرض النظام الطبيعى وضرورة الحقوق الإنسانية وبعض الأمور السياسية (فى إرتباط بنظام الحكم القائم فى ايران وصدارة أمين السلطان) وتناول بعض الأمور السياسية فى ايران بالنقد والتلميح ، وهنا تكمن الأهمية الإجتماعية لمنطق الوحش.

ترجم هذه الرواية لأول مرة " ميرزا على خان أمين الدولة " بعنوان " حمارية " عن الترجمة العربية لمحمد حسين حجل المصرى ، وطبعت عام ١٣٠٠ هـ ق/ ١٨٨٣ م وترجمت مرة ثانية تحت رعاية " إعتماد السلطنه " عن المتن الفرنسى وطبعت عام ١٣٠٦ هـ ق/ ١٨٨٩م وطبعت مرة أخرى عام ١٣٢٢ هـ ق/ ١٩٠٥م.

ترجمت منطق الوحش بنثر سلس متقن إستخدمت فيه ألفاظ الحوار الجارى فى الحياة اليومية وتبدلت أسماء الشخصيات والأماكن فيها بأسماء فارسية لتقترب من ذهن القارىء وقدم لها بديباجة قصيرة قيمة .

تصف الرواية حال حمار ويدور الحديث على لسانه ، صاحبة هذا الحمار إمرأة " سليطة متسلطة على زوجها وأولادها وفاقدة للحياء " تضع على ظهر كل يوم أحمالا

---

(1) Comtesse de Ségure.

ثقيلة وتأخـذنى الى السوق، وفوق ذلك تركب على ظهرى بكل ضخامتها وأعود بضرب العصا ولا أجرؤ على الإعتراض خوفا من الضرب بالسوط" . وكلما أننت لاترحمنى هـذه المتسلطة بل يزيد عجزى واسترحامى من جبروتها وتزيد أحمالى ، وكذلك المستبـدون والظالمون كلما رأوا العجز من الطرف الآخر شددوا العسف به " وفى النهايـة " نفذ صبرى وضقت ذرعا بظلمها ، فوجهت إليها ركلات ثلاث ، بالركلة الأولـى حطمت أنفها وأسنانها ، وبالثانية هشمت ذراعها ، وبالثالثة رددتها نحو البـاب فسقطت مغشى عليها ... كذلك نحن معشر الحمر لانتمرد الا لتلافى مايوجه إلينـا مـن ضربات ، فالفرق بيننا وبين أشرف المخلوقات (الإنسان) هو أننا لانقدم الشرّ فـى مقابل النعمة أو المحبة " أما " كل شخص مستبد متسلط" يستبد بالآخرين ويتعسـف بهم فسيرى عاقبة عمله ". (١)

وأضفى أمين الدولة كثيرا من أفكاره على مضامين الرواية بعبارات توضح أحـوال ايران فى ذلك العهد وتعبر عن رأيه فى كثير من المفاهيم السياسية والفلسفية بالإضافة الى الفصل الذى أضافه إليها .

بوسة عذرا (٢)

وهى رواية تاريخية وسياسية تحكى عن نهضة تحرير الشعب التشيكى وإصلاح الدين فى بوهيميا حيث يقود القائد الحر" زتيزكا " الجيش الوطنى لقلب نظام الحكـم

---

١) نقلا عن فريدون آدميت: إيديولوژى نهضت مشروطيت ايران ص٧٠

(2) The virgin's Kiss : G. Reynolds. ٢)

الإستبدادى ويقيم نظاما جديدا ، والمصلح الدينى فيها هو " جـان هوس" وهو قس ورع يثور على فسـاد الجهاز البابوى وظلم الكنيسة الكاثوليكية .

ترجم هذه الرواية من الإنجليزية الى الفارسية "سيدحسين خان الشيرازى" وهـو من جماعة المترجمين الحكوميين وكان قد أنشأها قلم "ميرزا محمدحسين خان ذكـاء الملك" (فروغى) . وتمت ترجمتها عام ١٣٠٧هـ.ق/ ١٨٩٠م، يقول المترجم فـى المقدمة التى كتبها فيما بعد وأضافها الى الترجمة : " هذه القصة التاريخيـة السياسية قائمة على دسائس وحيل الرهبان والقساوسة وسيئات أفعال المستبدين وفضائحهم ولإيقاظ أبناء الوطن العزيز وتبصرة وإثارة روح الحماس فى أرباب التميز" . (١)

ولما كان لفظ " الجمهورية " فى ذلك العهد مرادفا للفظ " الخيانة " فقـد تبدل فى هذه القصة بلفظ " الحكومة الدستورية " و" المطالبة با لدستور" . (٢)

لم تنشر " بوسهٔ عذرا " فى حينها فقد بدأت الحركة الوطنية فى تلك الفترة وإشتدت الرقابة على المطبوعات ، ولم تسلم دار الترجمة بدورها من الضغط السياسى خاصـة وأن "ميرزا محمدحسن خان ذكاء الملك" رئيس دار الترجمة قد القيت عليه شبهة التعـاون مع صحيفة قانون وصاحبها ميرزا ملكم خان واتهم بتوزيع المنشورات السياسية ، وألقـى القبض على "سيد حسين خان الشيرازى" مترجـم " بوسهٔ عذرا " فتعطل طبعها حـتى عام ١٣٢٦هـ.ق/ ١٩٠٦م.

---

١) نقلا عن فرويدون آدميت: إيديولوژى نهضت مشروطيت ايران ص٧٧
٢) " سلطنت مشروطه " ، " مشروطه طلبى " .

دور الترجمة فى تطور النثر :

لم يلتزم مترجمو هذه المؤلفات الأجنبية بالدقة التامة فى حفظ المميزات الأدبية للمتون الأصلية بل أضافوا إليها من فكرهم وزينوها أحيانا بالأشعار الفارسية حسب عادة القصصيين الإيرانيين (١) ، ولقيت هذه الروايات ترحيبا بين القراء الإيرانيين لأنها عكست الميل الغريزى الإيرانى للحماسة والمغامرة والفكاهة والنصح الحسن ، وكانت هذه الروايات إمتدادا للملحمة الرومانسية والأدب الشعبى والسيرة التعليمية والكتابات الأخلاقية ومن ثم فقد اتفقت والذوق الإيرانى . (٢)

وبالإضافة الى ترجمة الأعمال الجيدة الكبيرة ونماذج الأدب الكلاسيكى الرفيع ترجمت مؤلفات ليست على مستوى جيد كالروايتين الفرنسيتين : " سرگذشت مدام دومنت پنسييه " ، " روكامبول " تأليف" بونسون دوتراى " ، وترجم أيضا كثير من الكتب البوليسية السوقية بل وقدم لها بديباجات وتحدث مترجموها فى مقدماتها عن ضرورة نشر المعرفة والثقافة وشيدوا برعاية الذات الملكية المقدسة التى ترجع إليها مثل هذه الأهداف السامية .

لكن الأسلوب الاصلى فى الروايات والأعمال الأوربية قد إرتقى بالأسلوب النثرى الفارسى فقد إضطر المترجمون الإيرانيون الى الإلتزام بالمعنى المحدد للعبارات ورعاية الأسلوب السهل الطبيعى غير المتكلف والحذر من إيراد العبارات

---

(١) آرين پور (يحيى) : از صبا تا نيما ، المجلد الأول ، ص٢٦٠

(2) Rypka (Jan): A history of Iranian literature,pp.341

الصنعة الملتوية ، فخرجت معظم الترجمات قريبة من لغة الحوار العام وعلى قـــــدر من الجمال النثرى الأوربى فى نفس الوقت. (١)

وكان لترجمة مسرحيات موليير أيضا تأثير كبير فى تطور فن المسرح والكتابـــــة المسرحية التى لم تكن قد عرفت حتى ذلك الوقت تقريبا فى ايران ، خاصة فى مسرحيات ميرزا فتحعلى آخوندزاده التى سنتناولها بالدراسة فيما بعد .

.. .. ..

---

١) يحيى آرين پور: از صبا تانيما المجلد الاول ص ٢٦٠

الْبَابُ الثَّالِثُ

أَقْطَابُ التَّيَّارِ الْقَوْمِيِّ فِي النَّثْرِ

مقدمة عن النثر الفارسى من العهد الصفوى حتى بداية العهد القاجارى

كان العصر الصفوى يمثل مرحلة ضعف فى الأدب الفارسى بوجه عام والنثر بوجه خاص ، فقد إنتقل مسرح الأدب الفارسى فى ذلك العهد (فى القرنين العاشر والحادى عشر الهجريين) الى الهند والدولة العثمانية ففى الهند لقى الأدباء حماية وتشجيعا فى بلاط السلاطين المغول ،وفى الدولة العثمانية وجد الأدب الفارسى المناخ مهيأ رغم العداء السياسى بين الصفويين والعثمانيين بسبب المذهب الدينى .

وقد تميز الأدب الفارسى فى الهند فى ذلك العهد بترجمة التراث الهندى فى مجال القصة الى الفارسية مثل ترجمة " الراماينا " و" المهابارتا " ، كما تميزت الكتابات التاريخية فى ذلك العهد بالتكلف والميل الى تنميق العبارات والإهتمام باللفظ الى أقصى درجة .

ولما كانت الدولة الصفوية قد أعلنت المذهب الشيعى مذهبا رسميا لإيران فقد إزدادت الموضوعات التى تدور حول المذهب الشيعى والموضوعات الدينية ، وقد كتب بعض هذا الأدب المذهبى باللغة العربية وتأثر ماكتب منه بالفارسية أيضا بالأدب العربى تأثرا كبيرا يلاحظ فى كثرة الألفاظ العربية المستخدمة (١) والتى كانت تساعد الكتاب فى ذلك العهد على تنميق عباراتهم وترتيب السجع والطباق الذى إهتموا به .

أما من حيث الأسلوب النثرى الذى إتبع فى العهد الصفوى (من بداية القرن العاشر حتى منتصف القرن الثانى عشر الهجرى) فقد إصطبغ بصبغة فنية خالصة ،فقام النثر على الصنائع اللفظية ومراعاة الجناس اللفظى والإطناب وتكرار المفردات

(1) Browne (E.G.): Persian literature in modern times, Cambridge, 1924; pp.418

والإستشهاد بأشعار العرب والفرس القدامى ، ومن ثم لايعد العصر الصفوى عصر إزدهار للنثر الفارسى رغم هذا التنوع فى المضامين

وإمتد تدهور النثر الفارسى الى عهد نادرشاه أيضا (منذ منتصف القرن الثانى عشر الهجرى) رغم كثرة الكتابات النثرية فى مختلف النواحى ، وقد زادت الكتابات التاريخية فى عهد نادرشاه زيادة كبيرة ، فقد كتب فى عهده أكثر من عشرين مؤلفا تاريخيا باللغة الفارسية فى ايران والهند ، (١) نذكر منها :

(١) تذكرة الأحوال شيخ حزين : وهو مؤلف تاريخى هام كتبه الشيخ حزين لاهيجى وصور فيه أحداث التدهور الإقتصادى فى الدولة فى الأعوام ١١٣٣ـ١١٥٣هـ .

(٢) درة نادره : من تأليف ميرزا محمد مهدى خان استرابادى ، وهو مؤلف تاريخى كبير حاز شهرة فى أوربا والشرق وترجم الى اللغات الفرنسية والإنجليزية والألمانية ، أما أسلوبه النثرى فهو أسلوب متصنع رنان أكثر من إستخدام الإستعارات والألفاظ الغامضة المعقدة ويعد من أصعب الكتابات النثرية إنشاء وأشدها إستغلاقا وإستخداما للمهجور من الألفاظ العربية .

(٣) عالم آراى نادرى : ويفوق فى أهميته سائر الكتب التاريخية التى كتبت فى عهد نادرشاه ، وكتبه محمدكاظم فى ثلاثة مجلدات ، وأسلوبه النثرى هو نفس الأسلوب المتكلف الذى كان سائدا فى كل الكتابات النثرية فى ذلك العهد .

وإمتد تدهور النثر الى عهد الأسرة الزندية ايضا ، فطغى الإنشاء المتكلف والتصنع والتعقيد فى المعانى وإيراد الغريب من الألفاظ وكثرة المترادفات وإستخدام

---

١) تاريخ ايران : ترجمة : كريم كشاورز ص ٥٦٥

السجع والموازنة والإستشهاد بالأقوال المأثورة والاشعار ، فكان كتاب النثر في العهود الصفوية والأفشارية والزندية يكثرون من هذه الصنائع الإنشائية لدرجة أن إقتربت كتاباتهم من النظم.

ولم يقتصر هذا التصنع اللفظى على الكتابات التاريخية والفلسفية والطبيعية وحدها بل إمتد الى الرسائل الحكومية التى تميزت بالإسهاب وطول المقدمات.

وحتى بعد قيام الأسرة القاجارية لم يتخلص الأسلوب النثرى من التكلف ، فكل إصلاح قام به آقا محمد شاه فى الرسائل الرسمية عوقه خليفته فتحملى شاه قاجار واهتمامه بالكتابة المنمقة (١) فإستمرت سيطرة التعبير الزاهر حتى نهاية النصف الاول من القرن التاسع عشر الميلادى.

ومع بداية النصف الثانى من القرن التاسع عشر الميلادى وبداية النصف الثانى من القرن الثالث عشر الهجرى بدأ عهد إزدهار النثر الفارسى الذى يعد ثورة أدبية لها أهميتها فى تاريخ الأدب الفارسى وهو موضوع هذا البحث ، وفى هذا الباب نورد نماذجا من الأعمال النثرية للكتاب: ميرزا ملكم خان ، وزين العابدين المراغى ، وعبدالرحيم طالبوف ، وأحمد كرمانى كعرض عام لمظاهر النثر الفارسى فى القرن الثالث عشر الهجرى.

---

(1) Kamshad (H): Modern Persian Prose literature., pp. 9

الفصل الأول

ميرزا ملكم خان ناظم الدولة

حياتـــه ودراستـــه :

كان ميرزا ملكم خان ناظم الدولة من أرامنة جلفا اصفهان ، ولد عام ١٢٤٩هـ.ق/ ١٨٣٣م. فى أسرة رجل حجار هو " يعقوب خان " الذى كان مسيحيا ثم أسلـــم، درس ملكم خان فى طفولته العلوم الأولية الإسلامية والعربية بحماس وعناية فى ثـــلاث سنوات(١) ، وذهب الى باريس فى سن العاشرة عام ١٢٥٩هـ. للدراسة ، وبعد إتمام دراسته الإبتدائية والثانوية إتجه الى دراسة الفلسفة الطبيعية والهندسة وأصـــول الفلسفة السياسية ، وبعد إتمام دراسته عاد الى ايران عام ١٢٦٨هـ.ق/ ١٨٥١م.(٢)

وبدأ ملكم خان بعد عودته الى ايران فى التدريس فى كلية دار الفنون ، وكـــان يقوم بتدريس الرياضيات والهندسة (٣) وعمل فى الوقت نفسه مترجما للأساتذة الأوربيين فى نفس الكلية ومترجما خاصا لناصر الدين شاه ، ثم عين بعد ذلك مستشارا للصـــدر الأعظم ميرزا آقاخان نورى ، وفى عام ١٢٧٣هـ. أوفد الى اسطنبول مترجما خاصا مكلفـــا فى سفارة ايران بالدولة العثمانية (٤) ، وفى فترة قصيرة أصبح موضع ثقة البلاط وتداخـــل فى الشئون العامة للدولة ، فعين فى منصب مستشار لشئون أوربا فى سفارة " فـــرخ خان أمين الملك " (٥) ، وحين سافر " فرخ خان " الى أوربا لعقد معاهدة صلـــح

---

١) كرمانى (ناظم الاسلام) : تاريخ بيدارى ايرانيان ، جـ١ ، ص ١٥٠
٢) بامـــداد (مهدى) : تاريخ رجال ايران ، جـ٤ ، ص ١٣٩
٣) نورائى (فرشتـــه) : تحقيق درافكار ميرزا ملكم خان ناظم الدولة ، ص ١٣
٤) آرين پور (يحـــيى) : از صبا تانيما ، جـ١ ، ص ٣١٤
٥) كرمانى (ناظم الاسلام) : تاريخ بيدارى ايرانيان ، جـ١ ، ص ١٥٠

عين ملكم خان مترجما خاصا ومستشارا لوفد ايران فى بلاط نابليون الثالث(١)، وبعد عودته من هذه المهمة كتب رسالة باسم " كتابچه ء غيبى " أو " دفتر تنظيمات " ضمت موضوعات فى أصول تنظيم الدولة وقدمه الى البلاط.

النزعة الانسانية فى فكر ملكم خان:

أسس ميرزا ملكم خان محفلا فى تهران عام ١٢٧٤ هـ.ق. يسمى " فراموشخانه " يشبه فى تنظيمه الجمعيات الماسونية الأوروبية، وكان هدفه من تأسيس هذا المحفل هو إقامة إتحاد كامل بين أرباب الحل والعقد ورفع الشقة التى كانت بين الشعب والحكومة والبلاط ونشر المحبة والأخوة بين الناس، إلا أنه لم يوفق فى مسعاه(٢) يقول " ظل السلطان " فى كتابه " تاريخ مسعودى ":

" حاول ملكم خان اثر عودته من أوربا أن يقتلع جذور التصدع والشقاق التى نمت فى ايران وأن يجتث جذور الإنهيار التى كانت قد بدأت تنخر فى أساس النظام ذى الأربعة آلاف السنة فأسس محفل الفراموشخانه لعل الناس يصبحون إخوة متساوية يحب بعضهم بعضا ولكنه لم يستطع ". (٣)

وأسس ميرزا ملكم خان ايضا " مجمع آدميت " الذى كانت أهدافه وأفكاره مقتبسة من أفكار " اوجست كانت " التى وردت فى كتابه " الفلسفة العملية ". (٤)

---

١) نورائى (فرشته): تحقيق درافكار ميرزا ملكم خان ناظم الدولة، ص ١٤
٢) كرمانى (ناظم الاسلام): تاريخ بيدارى ايرانيان، جـ١، ص ١٥٠.
٣) نقلا عن المرجع السابق، جـ١، ص ١٥٠
٤) (4) Auguste Comte: Course de philosophie positive.

عين ملكم خان مترجما خاصا ومستشارا لوفد ايران فى بلاط نابليون الثالث(١)، وبعد عودته من هذه المهمة كتب رسالة باسم " كتابچه غيبى " أو " دفتر تنظيمات " ضمت موضوعات فى أصول تنظيم الدولة وقدمه الى البلاط.

النزعة الانسانية فى فكر ملكم خان:

أسس ميرزا ملكم خان محفلا فى تهران عام ١٢٧٤ هـ.ق. يسمى " فراموشخانه " يشبه فى تنظيمه الجمعيات الماسونية الأوروبية، وكان هدفه من تأسيس هذا المحفل هو إقامة إتحاد كامل بين أرباب الحل والعقد ورفع الشقة التى كانت بين الشعب والحكومة والبلاط ونشر المحبة والأخوة بين الناس، إلا أنه لم يوفق فى مسعاه(٢) يقول " ظل السلطان " فى كتابه " تاريخ مسعودى ":

" حاول ملكم خان اثر عودته من أوربا أن يقتلع جذور التصدع والشقاق التى نمت فى ايران وأن يجتث جذور الإنهيار التى كانت قد بدأت تنخر فى أساس النظام ذى الأربعة آلاف السنة فأسس محفل الفراموشخانه لعل الناس يصبحون إخوة متساوية يحب بعضهم بعضا ولكنه لم يستطع ". (٣)

وأسس ميرزا ملكم خان ايضا " مجمع آدميت " الذى كانت أهدافه وأفكاره مقتبسة من أفكار " اوجست كانت " التى وردت فى كتابه " الفلسفة العملية ". (٤)

---

١) نورائى (فرشته) : تحقيق درافكار ميرزا ملكم خان ناظم الدولة، ص ١٤
٢) كرمانى (ناظم الاسلام) : تاريخ بيدارى ايرانيان، جـ١، ص ١٥٠.
٣) نقلا عن المرجع السابق، جـ١، ص ١٥٠
٤) (4) Auguste Comte: Course de philosophie positive.

وقد آمن عدد كبير من الإيرانيين بأفكاره ومبادئه التى تتسم بالنزعة الانسانية، يقول " ولفرد بلنت " فى كتابه " التاريخ السرى للإحتلال الإنجليزى لمصر "إنه إلتقى بميرزا ملكم خان فى مصرعام ١٨٨٠م. وأنه حدثه عن " مذهب الانسانية " الذى دعا إليه فى ايران ، ويقول بلنت : (١)

كان ملكم خان جادا فى دعوته للمذهب الإنسانى ، وكان يدعى أن له فى ايران ثلاثين ألفا من الاتباع " .

وقد أثارت أنشطة ملكم خان شكوك الشاه ورجال البلاط حول ملكم خان وأتباعه ومحفله ، فأمر ناصر الدين شاه بطرده هو ورفاقه أعضاء "الفراموشخانه " فذهب ملكم الى اسطنبول وانضم أثناء إقامته هناك الى المحافل الأدبية والإجتماعية الحديثة وشارك فى الدعوة الاصلاحية التى كان يحركها " كامل وفواد وعالى " وهم باشوات عثمانيون (٢) ، وكتب فى هذه الأثناء رسالتى " مبدأ ترقى "و" شيخ ووزير " .

وفى عام ١٢٨٨ هـ.ق / ١٨٧١ لم نصب " ميرزا حسين خان مشيرالدولة " رئيسا للوزراء فى ايران وبعد توليه الصدارة بمدة قصيرة إستدعى ملكم خان من اسطنبول ليعينه مستشارا لرئاسة الوزراء وحصل ملكم على لقب "ناظم الدولة " من الشاه . (٣)

إقترح ملكم خان فى ذلك الوقت تشكيل مجلس باسم " مجلس تنظيمات حسنه " ويشبه فى سلطاته وتكوينه المجالس النيابية ، وعلى الرغم من إقتناع الصدر الأعظم بإقتراحه

---

(1) Blunt (Wilfrid): Secret history of the English occupation of Egypt, pp.84, London 1907, Second ed.,

٢) آرين پور (يحيى) : از صباتانيما جـ١ ، ص ٣١٥

٣) المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٣١٦

هذا الا أن محاولات بعض رجال البلاط عطلت تنفيذ الإقتراح .(١)

وفى عام ١٢٩٥ هـ .ق. /١٨٧٨م. نصب ملكم خان وزيرا مفوضا لإيران فى بلاطات لندن وڤيينا وبرلين ، وفى أثناء رحلة ناصر الدين شاه الثانية الى أوربا كلف بتمثيل ايران فى مؤتمر برلين وبعد إنتهاء هذه المهمة حصل على تصريح باستخدام لقب " أمير "(٢) ، وفى عام ١٣٠٦هـ.ق. حين سافر ناصر الدين شاه الى أوربا للمرة الثالثة حصل ملكم على إمتياز لوتارى فى ايران من الشاه بتقديم ألف ليرة ذهبية إليه ، إلا أن " ميرزا على اصغر خان أتابك " إعترض على الإمتياز بعد عودة الشاه الى ايران وأثار الملات وعلماء الدين لتحريم اللوتارى وتكفير ملكم خان ، فأبرقت الحكومة الى لندن إضطرارا بإلغاء الإمتياز إلا أن ملكم لم يذع مرسوم الدولة وباع عقد الإمتياز لإحدى الشركات الإنجليزية بمبلغ أربعين ألف ليرة فصدر قرار بعزله من سفارة لندن وتجريده من كل مناصبه وألقابه عقابا له على تصرفه هذا .(٣)

صحيفة قانون :

أثار ملكم خان بتصرفه فى مسألة إمتياز اللوتارى الذى تحدثنا عنه ثائرة الحكومة الإيرانية فأخذت فى التشهير به فى الصحف الإنجليزية ، فأدار ملكم خان مكتبا فى لندن وبدأ عام ١٨٩٠م فى إصدار صحيفة " قانون " باللغة الفارسية ، رد على صفحاتها على تشهير الحكومة الإيرانية به وانتقد أسس الحكم الإستبدادى القائم فى

---

١) مجذوب (طلال) : ايران من الثورة الدستورية حتى الثورة الاسلامية . ص٦٧
٢) آرين پور (يحيى) : از صبا تانيما ، جـ١ ، ص٣١٦.
٣) المصدر السابق ، جـ١ ، ص٣١٦

ايران وشهر " بميرزا على أصغر خان أمين السلطان الصدر الأعظم فى ذلك الوقت (١) ، وقد تحدثنا عن الدور الهام الذى لعبته هذه الصحيفة فى التمهيد للثورة الدستورية فى الباب الثانى : الفصل الثانى ، ونضيف الى ماقلناه أن ملكم خان دافع عن فكرته ودعوته الى إجراء تعديل جذرى حديث للنظام القديم الذى سارت فيه الشريعة الإسلامية والذى تعمل على بقائه مجموعة من الملات لاينفذون الشريعة على الوجه الأكمل . (٢)

وبعد مصرع ناصر الدين شاه نصبه مظفر الدين شاه وزيرا مفوضا لإيران فى روما (٣) عام ١٣١٧هـ.ق / ١٨٩٩م ، وظل فى هذا المنصب حتى عام ١٣٢٦هـ.ق / ١٩٠٨م حيث توفى فى مدينة لوزان بسويسرا عن سبعة وسبعين عاما من الحياة الحافلة بالأحداث .

إختلاف الآراء حول شخصية ميرزا ملكم خان :

إختلفت الآراء حول شخصية ملكم خان إختلافا شديدا ، فرفعه بعض الباحثين الى مصاف عظماء الفلاسفة ، و حقره آخرون بإتهامه بالعمالة والدجل ، فيرى ناظم الإسلام كرمانى انه " أول من نشر بذور القانون فى ايران " (٤) ، ويصفه " ولفرد بلنت " الذى إلتقى به فى مصر عام ١٨٨٠م / ١٢٩٧هـ.ق . بأنه " أشد من التقى بهم تميزا وأنه من أعظم العقليات فى الشرق " . (٥)

١) آرين پور (يحيى) : از صبا تانيما ، جـ١ ، ص ٣١٦
(2) Avery (Peter): Modern Iran, pp.116 ٢)
٣) آرين پور (يحيى) : از صبا تانيما ، جـ١ ، ص ٣١٦
٤) كرمانى (ناظم الاسلام) : تاريخ بيدارى ايرانيان ، جـ١ ، ص ١٥٠
(5) Blunt(Wilfrid): The secret history of The English occupation of Egypt. pp. ٥)

وعلى النقيض من ذلك نجد من هم مثل "إعتماد السلطنة محمد حسن خـــان" الذى يصفه بأنه "الخائن الجشع عابد المال الدجال"(١) و"معتمد الدولة فرهـاد ميرزا" الذى كان من حاشية ناصر الدين شاه يقول عن ملكم خان فى رسالة بعث بها من لندن الى تهران :

"إن هذا الأرمنى الوضيع يقدم نفسه لدى الأوربيين بكل تبجح ووقاحة علـى أنه من أحفاد الملوك الاشكانيين فى أرمنستان ومنح نفسه لقب "أمير إصلاحـــى"(٢)

---

١) ساسانى ، خان ملك: سياستگران دورهٔ قاجاريه ، ص١٢٩ نقلا عن آرين پـور ، يحيى : از صبا تانيما ، ج١ ، ص٣١٧.

ويروه يحيى آرين پور أن إعتماد السلطنة قد قال فى المقالة التى كتبها حسـب توجيهات الصدر الأعظم أمين السلطان وعرضها على الشاه :

"هذا الراهب المعتكف فى لندن أولا مافضله حتى تستقبل أقواله كوحى مـن السماء؟ ثانيا أية وطنية أبداها تجاه البلاد حتى تتعاطف الآراء مع ترهاتـه ؟ إنه يؤسس محفل الفراموشخانه فى ايران ويهى الأساس الجمهورى الحتمـى للجمعية الماسونية فى ايران ويظل يلقى بذات الدولة وآلاف من الأفراد فـى المتاعب تارة ويوفد الى مصر تارة اخرى فى مهمة رسمية كقنصل عام لايران ويضـرب بشرف الدولة عرض الحائط ويتكدى من اسماعيل باشا خديو مصر عشرة آلاف تومـان كإنعام ، وحينما "يعتنق" العثمانية ويتجنس بالجنسية التركية وبعد مسألـة إمتياز "دورويتر" التى تعرقلت لا أدرى لماذا يمنح هذا المحتال الأفاق الـذى تسبب فى هذه المصائب مبلغ عشرين ألف تومان ؟ ولماذا يوفد ممثلا للدولة فـى بلاط انجلترا التى لنا معها ألف شأن ؟ إذا كانت الحكومة تخشى أن يسـئ الكتابة فى الصحف بعد عزله أجيب : وأى سيء لم يكتبه حتى الآن سواء من جانبه مباشرة أو بتحريض منه ومن زبانيته ؟ لقد ألف هذا الأفاق كتيبا لقلب النظـام الصالح أو الطالح القائم فى ايران ، ويهدد به حكومتنا لإثبات وجوده ، ويكشـف المساوئ التى تزلزل كيان ذات الحاكم وكبار رجال الدولة ، ويحق لنا أن نتسـائل : "أيها الراهب المحظوظ فى لندن ، لقد كشفت المثالب فهل لك أن كنت حكيما عالما أن تخبرنا بالعلاج !"

٢) ساسانى ، خان ملك : سياستگران دورهٔ قاجاريه ص١٣١ ، تهران ١٣٣٨

ونجد روايات كثيرة أوردها " خان ملك ساسانى " عن ميرزا ملكم خان وأساليبه فى الإحتيال وحبه للمال ، ومن أسباب كراهية ومعاداة البعض لميرزا ملكم خان هو أنه كان على إتصال بالشركات الأجنبية صاحبة النفوذ فى ايران وأنه كان يبذل جهده للحصول على إمتيازات للإنجليز فى ايران كان أهمها إمتياز " بارون دو رويتر " الذى لم يتم تنفيذه ولكنه أعطى الفرصة لخصوم ملكم لغمط كل قيمة أو أهمية لخدماته فى طريق إيقاظ الفكر الايرانى ونشر مبادئ الحرية والقانون ، والحقيقة أن ملكم خان رغم جشعه ولهثه وراء الجاه والمال إلا أنه كان ذكيا عالما لعب دورا كبيرا فى جمع أرباب الفكر والمستنيرين الإيرانيين وفى نشر أفكار سيادة القانون والدستور .

محاولة ميرزا ملكم خان لإصلاح الخط :

كان ميرزا ملكم خان ـ بالإضافة الى آرائه السياسية والإجتماعية ـ داعية لإصلاح الخط الفارسى ، ويعد من بين المروجين لهذه الفكرة منذ إقامته بالأراضى العثمانية (١) ، كان ملكم خان يرى فى نقص الأبجدية العربية سببا فى تخلف المسلمين عن الحضارة الأوروبية وإستنتج أن إنعدام الحرية والحقوق الفردية وإنعدام الأمن على الأموال والأرواح وإنتشار الظلم والإستبداد كلها من التأثيرات الإجتماعية لنقص الأبجدية وأنه لايمكن للمسلمين أن يكتسبوا الحضارة الحديثة إلا بإصلاح الخط (٢).

---

١) نورائى (فرشته) : تحقيق در أفكار ميرزا ملكم خان ناظم الدولة ، تهران ١٣٥٢، ص ١٠٥.

٢) المرجع السابق ، ص١٠٥

وكان إقتراحه فى إصلاح الخط هو أن تُفكك الأحرف العربية (١) حتى يسهل طبعها وأن تكون على نسق واحد بمعنى أنه ينبغى أن تقوم زوايا الأحرف بحيث تكون كل زوايا الأحرف قائمة وأن تقوم دوائرها أيضا وتكتمل إستدارتها قدر الإمكان (٢).

وقد إبتكر ملكم خان بالفعل أبجدية جديدة مبسطة على ضوء الأحرف اللاتينية (٣) وتقوم أساسا على تفكيك الأحرف العربية، وكتب بأبجديته هذه رسالتين له هما : " مبدأ ترقى " و" شيخ ووزير" وطبع بها أيضا عام ١٣٠٢ هـ.ق./ ١٨٨٥ م. كتابين أحدهما " گلستان سعدى " والآخر "أقوال حضرت ملا" ، ويشير ميرزا ملكم خان فى مقدمته للگلستان الى أنه تعب فى إبتكار أبجديته لمدة خمسة وعشرين عاما (٤).

وقد فشلت محاولة ملكم خان لإصلاح الخط كغيرها من المحاولات التى تمت فى تلك الفترة ورمت الى تغيير الخط أو تعديله.

كتابات ميرزا ملكم خان :

ذكرنا من قبل أن ميرزا ملكم خان كان قد تعلم الفلسفة الطبيعية ودرس الحقوق السياسية فى باريس وأنه قد إطلع أثناء اقامته بها على مؤلفات الفلاسفة الأوروبيين ورواد الثورة الفرنسية ، وإنكب فى مدة إقامته فى لندن على قراءة مؤلفات الكتاب

---

(1) Rypka(Jan): A History of Iranian literature,pp.336 (١)

٢) نورائى (فرشته) : تحقيق در افكار ميرزا ملكم خان ناظم الدولة، ص١٠١

(3) Rypka(Jan): A History of Iranian literature,pp.336 (٣)

٤) بامداد (مهدى) : تاريخ رجال ايران، جـ١ ، ص١٤٠ ، تهران ١٣٤٧

والعلماء الانجليز ، وكان معجبا على وجه الخصوص بأفكار وآراء الفيلسوف الإنجليزى "ستيورات ميل" (١٨٠٦ ـ ١٨٧٣) ، وترجم فقرات من كتابه "فى الحرية" الى الفارسية ، وكانت حصيلة إطلاعاته هذه التى دامت سنوات هى تلك الأفكار التى إنعكست فى مقالات ميرزا ملكم خان فى صحيفته " قانون "ومؤلفاته الأخرى ، ويمكن تقسيم مؤلفاته الى عدة أقسام :

(١) الرسالات : دفتر تنظيمات ، مجلس تنظيمات ، أصول ترقى ، دفتر قانون ، دستگاه قانون ، بوليتيك ايران چيست ، مرو وتركمان ، روشنائى ، فرقه كج بينان ، صراط المستقيم ، مداخل ومخارج ، فراموشخانه ، اصول آدميت ، إشتهار نامهٔ آدميت ، ندای عدالت ، توفيق امانت ، كلام ، حجت ، مفتاح ، مذهب ديوانيان (١) .

(٢) ثلاث مناظرات إنتقادية وهى حسب تاريخ كتابتها : رفيق ووزير ، شيخ ووزير ، شيخ وحقير ، الأولى فى شرح دفتر التنظيمات وكتبها ملكم خان حوالى عام ٢٧٦ اهـ . والثانية عن إصلاح الأبجدية وكتبها فى اسلامبول حوالى عام ٢٨٥ اهـ . ، والثالثة فى الدفاع عن صدارة ميرزا حسين خان مشير الدولة وكتبها حوالى عام ٢٩٠ اهـ .

---

١) يقول يحيى آرين پور فى كتابه " از صبا تانيما " أن أعنف إنتقادات ميرزا ملكم خان لسلوك وتصرفات كبار رجال الدولة والبلاط وردت فى مقالته "مذهب ديوانيان" وهى المقالة التى كتبها ملكم خان فى فترة عزله ، وقد عبر فيها عن كل ماشاء قوله بكل وخرج بعض الشيء عن نطاق عفة الكلام ، وللأسف لم يتيسر لى الإطلاع عليها لعدم وجودها فى متناول يدى .
(از صبا تانيما : ج١ ، حاشية ص٣١٩) .

(٣) كتيباته الرسمية التى كتبها عن الموضوعات الشخصية وهى فى الحقيقة جزء من التقارير الحكومية التى أرسلها من سفارة ايران فى لندن وروما فى مدة خدمته، وهى غير تقاريره الرسمية العادية وكتبه الخاصة. (١)

تناول ميرزا ملكم خان فى كتاباته (٢) هذه المشكلات والموضوعات السياسية والإجتماعية التى كانت مطروحة فى ايران فى ذلك العهد، فتحدث عن الحرية والقانون وإصلاح نظام الحكم وحقوق الافراد وأصول السياسة الخارجية ووضع القوانين التى تنظم شئون الدولة وعلاقات الحكام بالمحكومين وإقتباس الحضارة الغربية والإنعاش الإقتصادى وجذب رؤوس الاموال الأجنبية ومكافحة الفساد والخرافات وإصلاح الخط وأسلوب الكتابة.

ونورد فى بحثنا هذا أجزاء من رسالته " وزير ورفيق " كنموذج على كتاباته النثرية كتب ملكم خان هذه الرسالة — كمعظم رسالاته الأخرى — بأسلوب الحوار والجدل أى السؤال والجواب تناول فيها حوارا بين الوزير وصديقه، وينتقد على لسان الصديق تكالب رجال الدولة على منصب الصدارة العظمى طمعا فى الجاه والشهرة فيقول :

" هاقدعدت الى منصب الصدارة العظمى، فما الفائدة من هذه الصدارة حتى تطمح فى طلبها بهذا القدر ؟ إذا كان من أجل أن تقوم بخدمة الدولة أو أن تحقق

---

١) نورائى (فرشته) : تحقيق در أفكار ميرزا ملكم خان ناظم الدولة، ص٢٨، ٢٩

٢) جمع " هاشم ربيع زاده " بعض هذه الكتابات وطبعها تحت عنوان " كليات ملكم " فى تهران عام ١٣٢٥ ش، ومع أن هذه الطبعة تضم أخطاء كثيرة إلا أنه كان لها قراء كثيرون فى فترة صدر الدستور وطبع محمد محيط طباطبائى بعد ذلك أيضا الجزء الأول من " مجموعة آثار ملكم " بمقدمة وحواش عام ١٣٢٧ ش.
(ازصبا تانيما : جـ١، حاشية ص ٣١٩).

لنفسك الشهرة والراحة فيكون لك منصب وجاه أو إذا كان هدفك هو أن تصبح "ميرزا آقاخان"(١) إذن أخبرني أولا أي نوع من اللذة تتصوره في تلك الذلة؟ ولماذا تحرص على خراب بيتك ؟ إذكر لي أي وزير من وزراء ايران لم يشعر بخيبة الأمل مع آخر أنفاسه ؟ ولماذا تصر على ألا تأخذ من مصير السالفين عبرة ؟ ورغم أنك رأيت بعيني رأسك عشرين مرة ما أدى إليه حرص الوزراء وطمعهم تعود وتستميت في جمع الأموال وطو المناصب"(٢) ؟ وينتقد بأسلوب ساخر الأوضاع السيئة في الدولة وقلة الموارد المالية فيقول :

"إننا حين نركب عربة متهالكة عتيقة تجرها الجياد ونجمع حولنا عددا من الفرسان الجوعى نتصور أننا حققنا كل مراتب العظمة وقمة درجات الإستقلال."

ويوضح ميرزا ملكم خان مايجب أن يقوم به الصدر الأعظم ومايجب أن تكون عليه الوزارة فيقول على لسان الصديق أيضا :

"إن اللذة الكبرى لن يشعر بها في ايران إلا ذلك الوزير الذي يمكنه أن يعلن : أنا مددت الخطوط الحديدية بإيران ، أنا ضممت الأماكن المقدسة ، أنا ضممت أفغانستان ، أنا نقضت معاهدة تركمانجاي ، أنا فتحت الطريق للسيطرة على آسيا ، إن لذة الوزارة تكمن في هذه الأعمال ، وأنا لا أفهم حتى الآن

---

١) ميرزا آقاخان هو الصدر الاعظم الذي تولى الصدارة بعد مقتل "امير كبير" وقد وقعت في عهده نكبات عديدة عزل على اثرها بسيرة سيئة .

٢) نظرا لعدم توفر أعمال ميرزا ملكم خان فقد نقلت عن كتاب " سبك شناسي " محمد تقي بهار ، ج٣ ، ص ٣٧٥ ـ ٣٨١ .

كيف يمكن لأحد صدور ايران أن يتنازل عن هذه اللذات المبهجة ويضيع عمره أمـــلا في ألعاب شخصية تافهة؟

ويضرب الصديق مثلا للوزير بلورد " بالمرستون " رئيس وزراء بريطانيا في عهـد الملكة فيكتوريا لحثه على شحذ همته لإصلاح الأوضاع. يقول الصديق :

"لقد ظل لورد " بالمرستون" على رأس الوزارة أربعين عاما ، وكان مدينا دائما ، ولم يكن له طوال حياته تابع أو خادم ، وهو الآن معزول عن الصدارة العظمى ومع ذلك يفخر أصحاب الملايين بأن يتحدثوا معه دقيقتين ، فإذا كنت أهلا للـــوزارة فلتصرف همتك الى هذا النوع من الوزارة ، فإنك لو عرفت التغييرات الكبيرة الـــتي تحتاج إليها حكومة ايران وإذا تصورت المعجزات العظيمة التي تظهر في الدولـــة بقليل من همتك فإنك ستفضل واحدة منها على كل آمالك" (١)

ويشير ميرزا ملكم خان على لسان الصديق الى ماتناوله من مبادئ إصلاحية فـــي رسالته "كتابچه غيبي" إلا أن الوزير يتناولها بالسخرية ويعتبرها أحلاما كاذبة فيقول :

"عجبا وهل هيأت أسباب المعجزة ؟ بماذا تفيد هذه الوريقات غير المترابطـــة ؟ وماحاصل الحلم الكاذب ؟ أقسم لك أنه هو نفسه "كاتب الرسالة" لايفهم ماكتبـــه ، مامعنى الضرائب غير المباشرة ؟ وماعلاقة مجلس التنظيمات بما نحن فيه ؟ وماالعيب في أن نأتي الآن ونقلد الفرنجة ، لننشئ مجلسا للتنظيمات ولندير الوزارة ولنضيـــع الوقت في هذه الكلمات المزخرفة ، كل هذا كلام ، فلا يمكن ضم الهند بالقانـــون ، إن تنظيم الوزارة لايتم إلا بالسيف وإنفاق الأموال" (٢)

---

١) نقلا عن سبك‌شناسي : محمد تقي بهار ، ج٣ ، ص٣٧٦.
٢) نقلا عن المصدر السابق ، ص٣٧٧

فيجيبه الصديق بحديث عن عجز العقل الفطرى إذا لم يدعمه العلم الكسبى ، وينتقد إستخفاف وزراء وحكام ايران بأصول التنظيم وعجزهم عن إدراك مفاهيمه وما أدى اليه من ذلة ايران فيقول: فى بداية دراستى تناولت البرلمان الإنجليزى بالبحث فكنت متحيرا : ماعلاقة هذه الموضوعات بتنظيم الحكومة وعلمت شيئا فشيئا فيما بعد أن بنيان قوة بريطانيا قائم على هذه الموضوعات التى لم أفهمها ، وحالتكم اليوم مع وصف كمال العقل والفكر لاتستطيع أن تدرك أصول التنظيم بسبب عدم حيازة العلم ، وتبدو الحقائق الكبرى التى أصبحت أساس قوة الدول فى نظركم تافهة بلا معنى ، وحين تتزلزل عدة كتائب انجليزية (١) أركان دولة بأكملها تتخيلون أن تقدم نظمها مرتبط بقائد معين وتتوقف على حركة ما ، ولاتستطيعون تصور أن أصل قوة هذه الدولة وهذه الكتائب منوط بتقسيم نوعى إختيار الدولة وقد أدى عجزكم عن إدراك أصول التنظيم الى ذلة ايران " !

وينتقد على لسان الصديق تخبط وزراء ايران فى تدبير شئون الدولة ، يتطرق بالحديث الى بعض محاولات ناصر الدين شاه الإصلاحية التى أتت بنتائج معكوسة يقول الصديق :

" إن مالا أفهمه هو أنه لم يظهر من وزراء ايران حتى الآن أى علم أو تفهم لأصول التنظيم ، كل مافعلتموه فى تدبير شئون الدولة إما خبطا عشوائيا أو تفريعا بلا معنى .

---

١) إشارة الى قضية هرات وحملة الكتائب الأربعة على عبادان وبوشهر والتى استولوا فيها على هرات . سبك شناسى : بهار جـ٣ ، ص ٣٧٨ .

مضت ستون سنة (١) ورجال الدولة فى ايران يعملون على إقتباس التنظيمات الأوربية ويوجهون منتهى إهتمامهم وهمتهم الى إجراء هذه التنظيمات فى شئون الجيش بوجه خاص ، فجلبوا عددا من المعلمين من مختلف الدول ، وتحملوا النفقات التى لاطائل من ورائها على أنواع التجارب والمحاولات لتشجيع الشعب ولم يحنثوا فى أيمانهم قط ولم يهربوا من أى مشقة .... لكن رغم كل هذا الكفاح والإهتمام ورغم بذل كل هذه الهمة والنفقات فإنى أستطيع أن أقسم بكل ثقة على أن هذه المشقات والتدبيرات على مدى خمسين عاما لم تعد على ايران بقدر ذرة فى الطريق الحقيقى الى التقدم ، بل إن قوى الدولة فى هذه الأعوام الخمسين تدهورت ، ماهذه النتيجة المعكوسة ، والأدهى أن حكام الدولة حين هموا بإقتباس تنظيمات أوربا لم يروا أصول التنظيم بل حصروا أنفسهم فى تقليد الفروع وكلما زاد إهتمامهم بإقتباس الفروع زاد إبتعادهم عن أصول التنظيم " .

ويستطرد فى وصف خراب ايران وإبتعاد حكامها عن جوهر الإصلاح فيقول :

"إننا كمن له بيت أساسه خرب تماما وبدلا من أن يفكر فى تثبيت وإحكام الأساس يأخذ فى الرسم دائما على جدرانه المهدمة ونتناول الرسام من ناحية أخرى بالبحث ونبحث عن ألوان أخرى ، إن وزراءنا يرسمون دائما على خرابة ايران ويصرخون دائما إن ايران لاتقيم التنظيمات " .

وينتقد ميرزا ملكم خان على لسان الصديق أيضا سطحية الإصلاحات فى الدولة دون مساس الجوهر وترك الوزراء وعمال الدولة دون رادع يلزمهم بإلتزام حدودهم :

---

١) من هذه العبارة يمكننا أن نعرف أن هذه الرسالة كانت قد كتبت فى أوائل القرن الرابع عشر الهجرى وفى أواخر العهد الناصرى . سبك شناسى ، ج٣ ، ص٣٧٩ .

" من البديهى أن ايران لاتنتظم باللعب ، إنكم تغيرون زى الجنود وتريدون أن ينتظم الجيش ، وتنصبون خيمة للدراويش وتريدون ألا يتجاوز الوزراء حدودهم ، وتقيمون مصنعا للحبال وتريدون للتجارة أن تزدهر ، هذه الألعاب التافهة ماعلاقتها بالتنظيم ، إمتلكوا أولا أساس التنظيم ثم قولوا إن ايران ليس بها تنظيم ، أقسم بالله أنه لو وُجه واحد على ألف من إهتمام حكام ايران وهمتهم على مدى الخمسين سنة الى الأصول لكانت ايران الآن صاحبة كل آسيا ، ولكن ماالفائدة فمن حظ ايران أن ينكر وزراؤنا النظم أو يضيعون وقتهم فى الفروع العقيمة ، وأعتقد أن أحد أسباب تخبط وزرائنا هو تصورهم أن إقتباس أصول التنظيم فى هذه الحالة التى تعيشها الدولة الآن سيكون صعبا وضد طبع الشعب ، ويقولون مرارا وتكرارا هذه ايران ، يجب أن يتم التقدم شيئا فشيئا ، وينبغى الإبتداء بالجزئيات ، نعم يجب ولاشك أن يتم التحرك تدريجيا ولكن الإبتداء بالجزئيات هو التخبط بعينه ، أنتم لم تفهموا أن صعوبة تنفيذ الفروع أكثر ألف مرة من تنفيذ الأصول ، إعلموا فقط أن مابذلتموه من جهد وهمة فى بعض الفروع الجزئية لن يكون ضروريا على الإطلاق لأى من الأصول ، إن الصعوبة الرئيسية هى أنهم لم يجدوا أصول التنظيم لذا فإن جميع تدابيرهم ستصبح بلا جدوى وسيضيع عمر الدولة فى تقليد الفروع " . (١)

هكذا وجه ميرزا ملكم خان إهتمامه الى وضع النظم والقوانين التى تنظم شئون الدولة وتحد من إنتشار الفوضى فى البلاد ، وإنتقد حكام ايران والقائمين عليها وأوضح نقاط قصورهم وإهمالهم لأشد الإصلاحات ضرورية وإهتمامهم بجمع الأموال وطلب المناصب .

---

١) نقلا عن سبك‌شناسى : محمد تقى بهار جـ٣ ، ص٣٨٠

وينتقد ميرزاملكم خان فى رسالته " فرقه كجبينان "فرقة معوجى الرؤية" تعقيد الأساليب الشعرية والنثرية وتفشى الجهل بين العامة والإعتقاد فى التنجيم ، ووصف هذه المجموعة من معوجى الرؤية فى بداية الرسالة هكذا :

" أخذنى صديقى الى عدد من أفراد مجموعة غريبة الأطوار كلهم من طائفة معوجى الرؤية (١) ولكن إختص كل منهم بنوع من أنواع الخبل ، يريد بعضهم أن يعالج أمراض البدن بأحكام علم التنجيم بالأرقام (الجفر) (٢) ، ويريد بعض آخر أن يطلع على أقدار الناس من إقتران الكواكب ، ويعتقد جمع منهم أن اللغة ليست من أجل بيان الغرض ، بل من أجل نظم السجع وتضييع الوقت " (٣)

ثم يبدأ فى إنتقاد الشعراء و الكتّاب الذين يهتمون بالسجع والقافية دون المعنى فيقول :

" ومخبولو النوع الآخر هم الذين إشتهروا فى أفواه الناس بالمثرثرين أى الشعراء ، وحسب عقيدتهم فإنهم لايهدفون الى المعنى أبدا سواء فى أحاديثهم أو كتاباتهم ، ويعتبرون إستغلاق الكلام أعلى درجات الفضل ، ويضيعون جل عمرهم فى جمع الألفاظ المغلقة وحين يستمعون الى حديث شخص فهم لايقصدون معرفة مايقول بل التربص بما يخرج من فمه من ألفاظ مغلقة جديدة "

ثم ينتقد القوالب اللغوية الجامدة التى يصب الشعراء و الكتاب كل إهتمامهم عليها :

" ولما كانوا يعتبرون السجع أفضل صنائع الإنشاء فإنهم لايهدفون فى كتاباتهم إلا الى ترتيب القافية ، وغالبا ماينظمون عدة أسطر من الهذيان فى سبيل قافية ،

---

١) كج بين : من لايرى الأمور فى أوضاعها الصحيحة .

٢) هو علم حساب الأرقام ويمكن عن طريقه كشف المجهول ويقال أن هناك فردا واحدا فى الأرض يلم إلماما تاما بهذا العلم .

٣) نقلا عن كتاب (ازصباتانيما) : يحيى آرين پور جـ١ ، ص٣٢٠

فحيثما ورد فى إنشائهم لفظ " واصل " فلا بد أن يعقبه لفظ " حاصل "، وكل "وجود" هو "ذى جود"، وكل "فراج" "هو" وهاج "، ولم أرلفظ "ضمير" لم يسجع بلفظ "منير"، ومامن تعيس يوصف "بالقرين" الا وتصحبه دائما وأبدا صفة "همنشـــين"، و" دروغ" لاتصح بدون " فروغ "، و" صورت" لاتليق بدون "رفعت "، وكل من لـه مقام" عالى "فمن المستحيل ألا يكون له مكان "متعالى" ومن كان " رفيعا "يجر فـى إثره "منيعا" ".

وقد ورثوا من هذا القبيل عدة كلمات معينة يسجلها كل الهاذين ويستخدمونها فى كل مراسلاتهم بلا تفاوت، حتى فى أوقات الأزمة يقولون فى كتاباتهم " وصلـت الرسالة الكريمة فى أفضل الأزمنة" وليس هناك من يسأله : أيها الظالم الهاذى أ أفضل الأزمنة هو زمن الوباء؟ إذن متى يكون أشقاها ؟ ". (١)

وينتقد الأسلوب المعقد الغامض والصور الوصفية المكررة والمبالغات الفجة فى كل القصائد:

" ووضعوا كتبا حين يقرأها شخص عشر مرات يظل متحيرا فى إدراك المعـنى كأول مرة، وقد قرأت مائة مجلد من مؤلفاتهم ولم أخرج بموضوع جديد، فتلتقى العين فـى كل ورقة منها "بيوسف وقد ضل فى خال الحسن "وبفراشة القلب التى تحترق فى نـار الحب "، و" الحية التى تلتف حول وجه الحبيب "، ورأيت قصائد كثيرة كلها علـى منوال واحد ونهج واحد تبدأ بالربيع وتسرع من الجبل الى الصحراء ومن الأرض الى السماء حتى تصل فى النهاية وبعد مشقة بالغة الى شخص الممدوح، وحينئذ يبدأ فى المديـح إبتداء من أهداب " سلطان الأرض والزمان حتى ذيل جواده فى نفس واحد وقافية واحدة

---

١) نقلا عن (ازصبا تانيما) : يحيى آرين پور جـ١ ، ص٣٢ ، ٣٢١

وكل ظالم يمتد جنونه فلابد فى ظل ميامن عدله أن يآخى الذئب الحمل ، ومن سطوة غضبه لايعتدى المغناطيس على القشة الضعيفة ، وفى مدح كل حقير يسردون الأكاذيب وينسجون المبالغات التى لايجرؤ أى مخبول على تكرارها " . (١)

ثم يوضح ميرزا ملكم خان وجهة نظره فى فصاحة القول وحسن الإنشاء موجها حديثه الى الشعراء والكتاب الذين يرون البلاغة وقوة البيان فى تعقيد المعانى والعبارات : " الى متى تعقدون الفكر الإنسانى بألفاظ لامعنى لها ؟ كم ينزعج الناس حتى يفهموا ماأردتم قوله فى هذيانكم هذا ! لماذا لاتعبرون عن الموضوعات بطريقة تفهمون بها أنتم أنفسكم شيئا مما تقولون وتضيفون الى علم المستمع أو القارىء معلومة؟ ماالجمال الذى ترونه فى تعقيد الألفاظ وكثرة السجع حتى تبذلوا فى إكتسابه ذلك الجهد والفخار ؟ إن كل مبتدىء يتعمق فى اللغة قليلا يمكنه أن يقول كلاما مغلقا مبهما لاطاقة لأى ذهن على فهمه ولكن فصاحة البيان ليست وراء إغلاق اللفظ ، وحسن الإنشاء فى صفاء الأفكار وفى سهولة فهم الموضوع لا فى زيادة تعسر العبارة " (٢)

ويتضح من الفقرة السابقة أن ملكم خان كان يتحاشى تعقيدالمعانى وينتقد أسلوب الكتاب السابقين والمعاصرين له لبعدهم عن المعنى الحقيقى للبلاغة وحسن البيان .

الأسلوب النثرى فى كتابات ملكم خان :

نكرر فى حديثنا عن أسلوب كتابة ملكم خان أنه قام منذ بداية عمله — بترجمة محاضرات المعلمين الأجانب فى دار الفنون من اللغة الفرنسية الى الفارسية ، وعمل

---

١) نقلا عن (ازصباتانيما) : يحيى آرين پور جـ١ ، ص٣٢١

٢) نقلا عن المصدر السابق ، جـ١، ص٣٢١ — ٣٢٢

بالترجمة فى جهاز البلاط الملكى ، ونظرا لتكلف العبارات وإنغلاق أسلوب الكتابة الذى كان يستخدم فى الرسائل الحكومية والذى كان ملكم خان ينتقده ، فقد تحرى ملكم دقة بالغة فى إختياره للألفاظ ومراعاته لإنسجام العبارات ،وسهولة البيان فى ترجمته للمتون الأجنبية الى الفارسية وفى كتاباته النثرية سواء فى الرسالات النقدية أو فى المقالات الصحفية . وقد رأينا فى رسالته " فرقة كج بينان " إنتقاده للأسلوب المتكلف والقوالب اللغوية المكررة وتعقيد العبارات فأقدم ملكم على الكتابة بأسلوب سهل يقترب من لغة الحوار العام ، وقد تأثر ملكم خان فى أسلوب كتابته للمقالات والرسالات ذات الأهمية السياسية والإجتماعية بأسلوب الكتابة النثرية الأوربية أكثر من تأثره بكتابات كتاب النثر الإيرانيين القدامى ، وكان الجدل وإثارته خاصية جوهرية من خصائص كتاباته ، وقد بدا هذا الأسلوب للجيل التالى له نظرية أدبية حديثة . (١)

ويقول " ريبكا " أن النشرات السياسية التى كتبها ميرزا ملكم خان كانت مقدمة الى القارئ المثقف فحسب (٢) ، وذلك لأن ملكم خان كان يتناول فيها المسائل الفلسفية والإيديولوجية الصعبة الفهم على العوام إلا أنها سرعان ماإنتشرت فى أرجاء ايران وأقبل الناس على قراءتها ومحاولة فهمها لبساطة أسلوبه وسهولته وتعبيره عن ضمير الأمة ، فكانت بساطة أسلوبه وجدة مضامينه من عوامل جذب القراء الى قراءة مقالاته ، ولم تقتصر فعالية كتاباته على دفع التحرك القومى الدستورى فحسب بل إمتدت الى إقرار النهج للكتاب الشبان الذين جاءوا بعده ، وبعد إنتصار الدستور نظرت مجموعة من

---

(1) Kamshad (H): Modern Persian Prose literature,pp.16 (١)

(2) Rypka(Jan): A history of Iranian literature, pp.336 (٢)

الكتاب الناشئين والصحفيين على وجه الخصوص الى أسلوب ميرزا ملكم خان كطـــــراز للكتابه الفعالة (١) ، وأطلق محمد تقى بهار على أسلوب ملكم خان النثرى إســـم " مدرسة ملكم "(٢) .

ومن الخدمات التى أداها ملكم خان للغة الفارسية تلك الألفاظ الحديثة الـــتى إستخدمها فى كتاباته ووجدت طريقها من كتاباته الى اللغة الجارية وشاع إستخدامهـــا كلفظ "قانون" الذى كان أول من إستخدمه فى اللغة الفارسية ، كما استخدم لفظ " ملت" بمعنى "الشعب" لأول مرة وكان يستخدم قبل ذلك بمعنى " الشريعة " أو "أتبـــــاع الشريعة " . (٣)

ويرى " فرشته نورائى " أن أسلوب ميرزا ملكم خان يقع تحت تأثير الآداب الأوربيـة (٤) وربما كان هذا نتيجة لكثرة إطلاعه على الأعمال الأوربية التى كتبها كبار الفلاسفة والكتاب الأوربيين ، وقد كان ميرزا ملكم خان قادرا على التعبير وترجمة الألفاظ والمفاهيم الأوربية الجديدة الى اللغة الفارسية ، وكان أحيانا يستخدم نفس الألفاظ الأجنبية ويرفقهـــا بإيضاح لها .

وكما إختلفت آراء النقاد حول شخصية ميرزا ملكم خان فقد إختلفوا كذلك فى حكمهم على أعماله الأدبية وكتاباته النثرية ، فكانوا بين كاره مبغض ومؤيد متعصب .

---

(1) Kamshad (H):Modern Persian Prose literature,pp. 16 (١)

وآرين پور ، يحيى : از صبا تانيما ، جـ١ ، ص ٣١٩

٢) بهار (محمد تقى) : سبكشناسى ، جـ٣ ، ص ٣٧٥

٣) المرجع السابق ، حاشية ص ٣٧٩

٤) نورائى (فرشته) : تحقيق در أفكار ميرزا ملكم خان ناظم الدولة ، ص ٣٠ ـ ٣١

يرى آقا إبراهيم بدايع نگار " أن ملكم خان تنقصه " قريحة العلم والأدب "[1] ويرى مخبر السلطنة هدايت أن " ماكان ملكم يكتبه موجود فى الگلستان والبوستان بعبـــارة أخرى "[2]

فى حين أننا نجد ناظم الإسلام كرمانى يقول فى وصفه لمكانة ملكم خان :

" إن مكانة ملكم خان فى ايران تضارع مكانة "ولتر" و" جان جاك روسو" و"ڤيكتور هوجـو" فى فرنسا "[3] ويعتبره "ظل السلطان " الذى تعلم الفرنسية على يديه " الفيلســوف والمعلم الأول والند لأرسطو وأفلاطون فى العصر الحديث "[4]

والحقيقة أن وصف ملكم خان بأنه ند لأرسطو وأفلاطون وروسو وصف مبالغ فيـــه وبعد إطراء لاتقييما وكذلك وصفه بأنه تنقصه قريحة العلم والأدب هو وصف مبخس لقيمته وخدماته أيضا ، فكتاباته وأسلوبه النثرى ينمان عن نضج أدبى وسياسى واضح ولم تكـن آراؤه وأفكاره إلا نتاج عمل وكفاح دؤوب وإطلاع واسع على فكر فلاسفة الغرب وعلمائـــه ، أما مادفع البعض الى إنكار علمه وفضله وحدى بالبعض الآخر الى مدحه ورفع مكانته الى أعلى الدرجات فهو شخصيته المتعددة الجوانب وأنشطته السياسية والأدبيـــــة المختلفة التى هاجمها البعض وأثنى عليها البعض الآخر حسب إختلاف الرؤية .

وعموما كان ملكم خان مدركا لأوضاع بلاده ومتفهما لسياسة الدول الأوروبية فـــى آسيا ولاشك أنه قد كافح فى سبيل إيقاظ الفكر الإيرانى وتنويره وإعداده للثورة .

---

١) نقلا عن : آرين پور (يحيى) : از صبا تانيما ، ج ١ ، ص ٣١٩
٢) نقلا عن المصدر السابق
٣) كرمانى (ناظم الاسلام) : تاريخ بيدارى ايرانيان ، ج ١ ، ص ١٥٠
٤) ظل السلطان (تاريخ مسعودى) : نقلا عن يحيى آرين پور : ازصباتا نيمـــا ، ج ١ ، ص ٣١٧

الفصل الثاني

الترجمة الفارسية لرواية : حاجي بابا اصفهاني

نبذة عن مؤلف الرواية :

ظهرت رواية " مغامرات حاجى بابا اصفهانى "[١] بالإنجليزية لأول مرة عام ١٢٣٩ اهـ.ق/ ١٨٢٤ م.[٢] من تأليف "جيمس موريه" سكرتير أول السفارة البريطانية فى ايران فى عهد فتحعليشاه قاجار، وكان جيمس موريه من أقدر وأمهر الكتاب الإنجليز فى ذلك العهد ، وكان فرنسى الأصل وتجنس بالجنسية البريطانية ، ولد فى إزمير حيث تعرف على التقاليد الشرقية وتعلم اللغتين التركية والفارسية والحقة أبوه — الذى كان قنصلا لإنجلترا فى اسطنبول — بوزارة الخارجية البريطانية وأتى الى ايران عام ١٢٢٣ هـ.ق/ ١٨٠٨ م. كسكرتير للسفارة البريطانية[٣] ، وقد وقف موريه خلال فترة إقامته فى ايران على طبائع الإيرانيين وعاداتهم وتقاليدهم من خلال علاقاته بكبار رجال الدولة ومسئوليها .

إنتقد جيمس موريه فى هذه الرواية أخلاق الإيرانيين وعاداتهم وتقاليدهم وأبرز النواحى السيئة فى طبائعهم ، وكانت هذه الرواية مصدرا لتضارب الآراء وكثرة الجدل حين نشرت ، وذلك بسبب الصورة التى رسمها موريه — وهو أجنبى — للشخصية الإيرانية ووصفه لبعض دقائق الحياة الإيرانية ودار الجدل حول ما إذا كان " حاجى بابا " بطل الرواية شخصية حقيقية أم بطلا خياليا إبتكره الكاتب ، وهل كتب موريه العمل بنفسه أم عاونه بعض أصدقائه الإيرانيين ، ولكن هذه النقاط لاتهمنا فى بحثنا هذا حيث ينصب إهتمامنا الرئيسى على الترجمة الفارسية للرواية .

---

(1) The Adventures of Haji Baba of Isphahan: Moriere. ١)

(2) Kamshad(H): Modern Persian Prose literature,pp. 21 ٢)

٣) آرين پور (يحيى) : ازصبا تانيما ، جـ ١ ، ص ٣٩٥

إختلاف آراء النقاد حول مترجم الرواية :

وإذا تناولنا الترجمة الفارسية لـ " مغامرات حاجى بابا " نجدها أيضا لاتخلو من شكوك وتضارب فى الآراء حول حقيقة المترجم ، هل هو الشيخ أحمد روحى كرمانى المعارض الليبرالى لناصرالدين شاه أم هو ميرزا حبيب اصفهانى الكاتب المعروف فى ذلك الوقت ؟ (١) وقد إختلفت آراء النقاد بين هذين المترجمين ، فيؤكد بهار أن المترجم هو الشيخ أحمد روحى كرمانى ويؤيده فى ذلك إدوارد براون فى هذا الرأى فيقول أن مترجم هذه الرواية الى الفارسية هو " الموهوب التعيس حاجى شيخ أحمد روحى كرمانى " (٢) ، ولكننا نرى إدوارد براون نفسه لم يعلق فى ترجمته لكتاب " تاريخ الصحافة فى ايران " على قول المؤلف (تربيت) بأن ترجمة هذه الرواية قد تمت على يد "الشيخ أحمد روحى وميرزا حبيب اصفهانى معا " (٣) ، ويعارض كامشاد " الرأى القائل بأن المترجم هو " أحمد روحى كرمانى " مستندا الى رسالة يقول أن الشيخ أحمد روحى كان قد أرسلها الى " إدوارد براون " عام ٨٩٢ لم٠ أكد فيها صراحة أن ميرزا حبيب اصفهانى ترجم رواية حاجى بابا من "الفرنسية الى الفارسية" (٤) ، ومن المعروف أن هذه الرواية قد ترجمت من الإنجليزية لا الفرنسية كما جاء فى الرسالة ، ويرى كامشاد أنه لو كانت هذه الإشارة الخاطئة الى الفرنسية زلة قلم من الشيخ أحمد روحى فهى دليل على أنه لم يكن هو المترجم بل صديقه " ميرزا حبيب اصفهانى " ،

---

١) بهار (محمد تقى) : سبك شناسى ، جـ٣ ، ص٣٦٧

٢) Browne(E.G.): A literory history of Persia, Vol.4,pp.468

٣) Browne(E.G.): The press and poetry of modern Iran,pp. 22

٤) Kamshad (H): Modern Persian prose literature,pp.21-23

ويتعجب كامشاد من إنكار براون لما جاء فى الرسالة ويستنكر إعترافه بأحمد روحى كمترجم للرواية ويرجع ذلك الى تقدمه فى السن والى إعتلال صحته ونسيانه للرسالة التى تسلمها من أحمد روحى . (١)

ويرى كل من آرين پور (٢) ومحمد استعلامى (٣) أن المترجم هو "ميرزا حبيب اصفهانى" دون جدال أو مناقشة للآراء التى إختلفت حول حقيقة المترجم .

وعلى أية حال نشر الكولونيل فيلوت (٤) الترجمة الفارسية لرواية مغامرات حاجى بابا اصفهانى فى كلكتا عام ١٩٠٥ م . وعليها إسم الشيخ أحمد روحى كرمانى مترجما ، و نشر صورته داخل الكتاب بطبعاته الثلاث وكلها مطبوعة فى كلكتا بالهند .

— وأورد كامشاد جزءا من الرسالة المذكورة ، وقال أنها موجودة فى مقدمة براون لطبعة عام ١٨٩٢ م . للمتن الإنجليزى لـ " مغامرات حاجى بابا " ويقول فيها : ذلك الكاتب الفاضل ميرزا حبيب اصفهانى ترجم كتاب " حاجى بابا " من الفرنسية الى الفارسية حرفيا مع الحفاظ على الخصائص والمميزات المحلية التى تميز بها حديث أهل اصفهانى وسائر المدن الإيرانية ، وهكذا فهى تعطى تمثيلا حيا لعادات الفرس وكان ميرزا حبيب يتمنى أن يقوم بطبعها فى اسطنبول إلا أن مراقب المطبوعات لم يكن ليسمح بذلك ، فاذا أعجبتك (الحديث موجه الى براون) أرسلت اليك نسخة منها ، وإذا إستطعت أن تطبعها فى لندن فستجد لها قراء ومشترين كثيرين فى ايران وسيتنازل ميرزا حبيب عن كل حقوقه لك . "

١) Kamshad(H):Modern Persian Prose literature,pp.23

٢) آرين پور (يحيى) : از صبا تانيما ، ج ١ ، ص ٣٩٩

٣) استعلامى (محمد) : ادبيات دوره بيدارى ومعاصر ، ص ٣٨

٤) Phillott (D.C.): The adventures of Haji Baba of Isphahan Calcutta.

وذكر بهار فى الجزء الثالث من كتابه "سبك شناسى" ص ٣٦٧ أن هذا الكتاب طبع أيضا فى مجلدين بتاريخ (ربيع الثانى ١٣٢٤ هـ) فى كلكتا بالرصاص .

كشفت هذه الرواية عن الفساد الذى إنتشر فى ايران فى العهد القاجارى وأبرزت المساوىء الأخلاقية والإجتماعية من إستبداد ورشوة وجهل وتملق ونفاق، وكأن ترجمتها موجهة الى المستنيرين الإيرانيين الذين شوقتهم كراهيتهم للأوضاع القائمة الى بينة جديدة على جهل حكام الدولة وأتباعهم (١).

وفى ترجمة هذه الرواية أضفى المترجم عليها طابعا محليا إيرانيا فخرجت وكأنها عمل أصلى، وكانت هذه الترجمة جزءا من الإعداد الأدبى للثورة اللاحقة، فقد ساعدت على إيقاظ المستنيرين الإيرانيين على سوء الحالة التى تعيشها البلاد وأثارت غضب الوطنيين المتحمسين بنقدها للأوضاع الإجتماعية السيئة ووصفها للمساوىء الموجودة بالفعل فى الواقع الإجتماعى فى ايران.

تدور أحداث هذه الرواية حول إبن حلاق من أهل اصفهان يسمى " حاجى بابا " رحل من اصفهان الى مشهد برفقة قافلة تجارية، ويأسره التركمان ضمن من أسروا من أفراد القافلة ويعيش بينهم ويشاركهم أعمالهم الإجرامية، ويعمل فى أثناء سفره بضرب الرمل والدجل ويعمل راويا وكاتبا للأدعيةوبائعا للترجيل والتبغ، ويفر الى اسطنبول بحيله ومكره ويعمل بالتجارة ثم يعلو نجمه رغم جهله فيصبح من أتباع ميرزا فيروز سفير ايران فى الدولة العثمانية ثم يصبح موضع رعاية الصدر الأعظم الذى أوكل إليه أعمالا هامة ويترك له تدبير شئون الحكومة وفى النهاية يسافر الى لندن (٢) مع مبعوث الشاه فى مهمة رسمية.

---

(١) Avery (Peter): Modern Iran, pp.109

٢) وبعد أربع سنوات من نشر رواية " حاجى بابا " نشر موريه مجلدا آخر كملحق للكتاب الأول تحت عنوان " حاجى بابا فى انجلترا " وهو فى قالب قصصى أيضا وليس به جانب تاريخى على الإطلاق.
دهخدا (على اكبر) : لغت نامه.

وتدور كل أحداث الرواية فى قالب ساخر مركزة على إنتقاد الأوضاع السلبية فى المجتمع الإيرانى ومبرزة للسمات الرئيسية للواقع الإجتماعى فى ايران فى العهد القاجارى .

تبدأ الرواية بحديث عن نشأة " حاجى بابا " فى اصفهان وعمله فى دكان أبيه الحلاق ، وقد أورد الكاتب حديثه على لسان " حاجى بابا " فى لغة تقترب من اللغة الجارية وبأوصاف جريئة ودقيقة للأحداث والشخصيات التى يعايشها "حاجى بابا " ، وبعد بلوغ " حاجى بابا " سن الشباب ينوى السفر الى مشهد بصحبة قافلة تجارية ضمت شخصيات مختلفة ، ويغير التركمان على القافلة ويأسروا أفرادها وبينهم " حاجى بابا " ، و" يستجوب "أرسلان سلطان" قاطع الطريق التركمان أفراد القافلة ، وفى سؤاله للملا عن إسمه وعمله يصف " أرسلان سلطان "الملات بالإحتيال والفساد والتظاهر بالدين فيقول :

" إن الملات جميعهم أغنياء ، كلهم يأكلون أموال الناس، لو كانت له قيمة لما كان ملا ، ملا يعنى مفسد ولا دين له ، لو كان يهم الناس لأتوا يبحثون عنه وإلا قالوا " فليذهب الى الجحيم " ، يبدو أننا صدنا خنزيرا " (١)

وحين يصل " حاجى بابا "الى مدينة مشهد يغريه البغال على العمل بسقاية الزوار ، ويحدثه عن سذاجة الزوار وضيق أفقهم فيقول :

" إنهم يأتون للزيارة وينفقون الأموال بلا حساب ، ومع أمثال هؤلاء يمكن عمل كل شئ ، يمكن خداعهم جميعا وبسهولة ، إن عقولهم فى عيونهم ، وعيونهم تغطيها غشاوة الغباء ، ماذا يرون حتى يفهموا " ؟ (٢)

---

١) مغامرات حاجى بابا اصفهانى : طبعة فيلوت الثانية ١٩٢٤ كلكتا ص ٤٠

٢) المصدر نفسه ص ٦٠

ثم يكشف " سفر " الدرويش لحاجى بابا عن حقيقة الدراويش ويبين له أنها تظاهر بالقدرة على عمل المعجزات للإستيلاء على أموال الناس ولاتحتاج إلا الى شيء من الوقاحة واللاحياء :

" أيها الصديق إن ظنك فيما يتعلق بالدراويش أكثر مما هم عليه ، فالدرويش لايلزمه رأسمال كثير ، فرأس المال الأصلى لنا هو الوقاحة وعدم الحياء ، بواحد على خمسين (١/٥٠) ممالكمن مهارة وفنون ، أقسم برقبتى أنك يمكن أن تصبح مرشدا عاما ومالكا لأموال كل الناس إذا أضفت إليه شيئا من الوقاحة والتبجح ، أنا مثلاكم فعلمته بوقاحتى وتبجحى ، إدعيت النبوة ، إدعيت المعجزات ، أحييت الموتى ، لم أترك شيئا من المتع الدنيوية وفى ظل الوقاحة والتبجح فإن أمثالكمن لايعرفون حقيقتى يعملون لى حسابا ويخافون منى ويعتبرونى من كبار الدراويش ومن "الأبدال " و" الأوتاد " (١)

وعندما يقرر حاجى بابا أن يعمل مع " سفر " الدرويش بالدجل والشعوذة يوضع الكاتب على لسان حاجى بابا مايقوم به الدجالون من إحتيال على الناس الغرقى فى الجهل والخرافات ، بل وكان أعضاء الحاشية الملكية والمقربون الى الشاه يتعاملون مع هذا الدجال لكسب محبة الشاه ، فيوضع الكاتب فيما يلى جهل رجال الدولة والمحيطين بالشاه :

" بمجرد وصولنا الى طهران هرول إلينا من يريدون الحجاب والدواء من كل صوب ، فهذه أم تريد لولدها حجابا للعين الصابة بداء من الأدواء ، وهذه ،

---

١) الأبدال : هم أشخاص معينون يُبقى الله من أجلهم العالم قائماً ، وعددهم سبعون .
الأوتاد : مصطلح صوفى يطلق على الأولياء الأربعة الذين تستند عليهم أركان العالم الأربعة .
المصدر : فيلوت : مغامرات حاجى بابا اصفهانى ، الطبعة الثانية ، ص٦٩

إمرأة تريد حجابا لعقد لسان زوجها ، وفتوات يريدون حرزا للوقاية من حد السيف وفتيات يرون أحجبة لحل العقد، وورثة يبحثون عن حجاب لموت المورثين ،أما العملاء الثابتون الكرماء والمفضلون لدى الدرويش فكانوا مقربى الملك الذين كانوا يريدون جميعا أن يقصروا محبة الشاه فى أنفسهم بقوة السحر، وكانت صيدلية الدرويش تتكون من عضو أنثى الضبع ، وشعر الذئب ،ودهن الذئب ،وعظام البوم ، وأجنحة الهدهد وريشه وغير ذلك ،فهناك إمرأة عجوز من المقربات الى الشاه تود أن ترتقى على كل النساء مقاما فيعطيها كبد القرد ، وأخرى لم تحظ بنظرة من الشاه رغم جدها واجتهادها فيعطيها طبخة من رماد القرد المحروق لتسقيه له كالقهوة فى ليلة الجمعة. (١)

ويتحدث الكاتب فى نقده للخرافات والجهل عن مقاومة الجهلة من الشعب الإيرانى للتحديث ومحاولتهم الإبقاء على الخرافات والدجل حرصا على منفعتهم الخاصة دون إهتمام بتقدم البلاد أو تأخرها فيقول على لسان " ميرزا أحمق "الذى يدعى الطب :

" حاجى ، هل تعلم أن هناك مبعوثا أتى من انجلترا الى ايران هذه الأيام ومرفقته طبيب ، وبدأ هذا الكافر (الطبيب) بشهرته وذيع صيته فى معالجة المرضى بأسلوب خاص ،فجلب معه صندوقا به أدوية لانعرف إسم أى منها ،ويدعى إدعاءات لم يسمع بها أحد فى ايران حتى الآن ، فخلافا لرأى جالينوس وابن سينا ، لايعترف بالحرارة والبرودة والرطوبة والجفاف لا فى الطبائع ولا فى الأدوية ، ويستخدم الزئبق كمبرد ، وفى علاجه للإستسقاء الزقى والطبلى يشق البطن ويخرج الماء والهواء ،والأدهى

---

١) فيلوت: مغامرات حاجى بابا اصفهانى ، الطبعة الثانية ، ص ٧٥

والأمر أنه يستخدم الغدة التى تستخرج من كبد الثور فى التطعيم ضد الجدرى قائلا : " إن هذه من إبتكار أحد أطبائنا " ، هل سمعت ياحاجى أن الانسان يطعم ضد الجدرى بالثور ؟ نحن منذ سنوات نرتزق من الجدرى ، ويأتى هذا الكافر ـ ولأنه أفرنجى ـ ويجعلنا حُمُرًا ، ويريد أن يأخذ اللقمة من فمنا " . (١)

ويبرز الكاتب النفاق والتملق وحب الإستبداد فى لغة ساخرة ، ويبين نفاق المحكومين للحاكم وإعتبار أن كل مايقوله الشاه حق بدعوى أن "كلام الملوك ملوك الكلام" بل ليس كلاما وإنما "معجزات وكرامات" و"كل عيب يعجب السلطان فهو فضيلة " . (٢)

ويتضح الغرور الإيرانى على لسان الشاه حين يقول : " من المعلوم أن كل الناس ـ فيما عدانا ـ "حيوانات " (٣) وفى قول حاجى بابا عن الروس : يمكننى القول ـ وأنا المتمكن ـ أن إيرانيا واحدا يمكنه قتل عشرة من الروس دون أن يستل سيفه" (٤)

ويصور الكاتب مدى إيمان العامة من الإيرانيين بالخرافات والخزعبلات وإرجاع كل ظاهرة طبيعية الى الغيبيات وخوارق العادات :

"قال أحدهم : "إنه الغول الصحراوى ، فهذه الساعة هى ساعة الغيلان حيث يخرجون ويأكلون الموتى ، لعلها الآن تأكل ميتا هناك ."

" أنا أيضا كنت أرى شيئا لكنى لم أكن أستطيع تمييزه ، فوقفنا عند طرف الجسر وركزنا عيوننا على الجانب المظلم ، كان الجميع يعتقدون أنه شيء خارج عن الطبيعة .

---

١) مغامرات حاجى بابا اصفهانى : طبعة فيلوت الثانية ١٩٢٤ ، ص ١١٧
٢) المصدر نفسه ص ١٧١
٣) المصدر نفسه ص ١٧٢
٤) المصدر نفسه ص ٢٢٩

والمألوف فاستعاذوا بالنبي والإمام ، ولم يكن أحد يجرؤ على التقدم ، فكان كل واحد يتلو آية وتعزيمة من أجل دفع بإبعاد الغول ،فقال شيخ عراقي : " عليكم بحل أربطة سراويلكم ليخرج ،لقد جربنا هذه الطريقة في اصفهان ، إنها طريقة مجربة" وقال شاب تركي : "إن تجربة حل أربطة السراويل تختص بإبعاد الغول الاصفهاني ، اما غول آذربيجان فلا تطرده هذه الأشياء ، عليكم أن ترفعوا سراويلكم حتى الركبة وتطاردوه " (١)

ويتهكم الكاتب بصورة لاذعة على العنجهية الإيرانية وحب الإيرانيين للفخار والمباهاة دون أساس ، وحين يذهب بعض الجنود الإيرانيين الى الحدود لمواجهة الروس يقول على لسان حاجي بابا :

" وبينما كنا نتحدث أطلقت رصاصة على ركاب رئيس الديوان ، فأصابه الهلع وبدأ في صب أقذع الشتائم على البنادق والبارود والروس ، وصاح قائلا : "اللعنة على آبائهم ، هل هناك كلب ينبح في رؤوس آبائهم ... أهكذا تكون الحرب ؟ ... يقتلون الإنسان كالخنزير ، يالهم من كائنات ، إنهم لايفرون مهما فعلت إنهم أسوأ من الحيوانات ، بل الحيوان على الأقل له شعور أما هؤلاء فلا يشعرون ، يارب إنك تعلم أنه لولا الموت لكان الإيرانيون محاربين شجعان " (٢)

وحين يعود حاجي بابا يسأله الصدر الأعظم عن أخبار المعركة وينادي أحد كتبته ليسجل هذا الفتح العظيم ، فيقول حاجي بابا :

---

١) مغامرات حاجي بابا اصفهاني : طبعة فيلوت الثانية ، ١٩٢٤ ، ص٢١٣

٢) المصدر نفسه : ص ٢٣٥ ، ٢٣٦

" واتجه الكاتب الىّ وقال : " حسنا وكم كان عدد أفراد العدو " ؟

فقلت: (وقد ترددت فيما أقول حتى يوافق هواه) : كثير كثير .

الوزير : (متئدا فى نظراته) : " إكتب خمسين ألفا "

الكاتب : كم قتل منهم ؟

الوزير : إكتب عشرة أو خمسة عشر ألفا منهم ، وإنتبه الى أن تسجيل هذا الفتح يذهب بعيدا ، فعظمة الملك تكمن فى تخضب يده بدم خمسة أو ستة آلاف بل عشرة آلاف من الأعداء ، وهل الملك أقل شأنا من رستم وأفراسياب ؟ لالا فما لم يعد الملك سفاكا للدماء وقاهرا للأعداء لايعمل رعاياه البعيدون له حسابا " . (١)

إن الكاتب يسخر من سفك الدماء والقتل كسمة من سمات الملك التى ترهب الرعايا ، فالحكم الإستبدادى قائم أساسا على القوة ومطلقية الحكم ويرتكز على ما للملك من سطوة وجبروت ومن ثم فالشاه هو المتحكم فى مصير الشعب بكل أفراده وبيده مقاليد الأمور يقول الكاتب على لسان حاجا بابا :

" إن مصير كل الشعب فى ايران بيد شخص واحد ، يصب اليوم جام غضبه على أحد الاشخاص ويغدق عليه غدا النعم . " (٢)

ويتحدث الكاتب عما كان للملات فى العهد القاجارى من سطوة ونفوذ قويين بين الشعب الإيرانى ، وكان ملوك آل قاجار يرهبونهم فى الباطن ويظهرون لهم المودة تجنبا للإصطدام بنفوذهم القوى يقول حاجى باباحين كان الشاه فى زيارة لمدينة قم :

---

١) مغامرات حاجى بابا اصفهانى : طبعة فيلوت الثانية ١٩٢٤ ، ص ٢٣٩ ، ٢٤٠

٢) المصدر نفسه : ص ٣٧٢

"كانت سياسة الشاه تقوم على حسن معاملة ملاتقم، فقد كان يرهبهم في الباطن، لهذا فقد أظهر الإخلاص للملا ..... (١) فذهب إليه سيرا على الأقدام وأجلسه في جواره وكان هذا الإهتمام يوجه الى أصغر ملا، وكان الشاه يسير في المدينة على قدميه خلال أيام مجاورته، وكان يكثر الصدقات للفقراء ولاسيما السادات، وكان رفاقه أيضا يتمثلون الزهد والتقوى بحكم أن "الناس على دين ملوكهم"، ولما كنت أراهم مثلى في الرياء فقد سعدت، وفي أيام "المظلمة" (٢) سمعت أن الشاه صوفي ومتساهل في الباطن ومتبع للشرع ومتزمت في الظاهر، وكنت أعرف واحدا من الكبار ممن لادين لهم لم يكن أقل من "يزيد" (٣) بأي حال رأيته هو أيضا يرتدي ثوب الإيمان الظاهري". (٤)

وينتقد الكاتب صراع القوى الأجنبية على ايران في العهد القاجاري، فقد كان الإنجليز والفرنسيون يسلكون شتى السبل لمد نفوذهم في ايران سياسيا واقتصاديا، وكان الشاه يخضع لهم نظير مايحصل عليه من أموال:

"الإنجليز: لم تأت فرنسا الى ايران إلا لتزاحمنا وتكدر صفونا، يجب عليكم ألا تعطوهم تسهيلات.

الشاه: ماذا أفعل؟ هذا المطلب يخالف قاعدة إكرام الضيف.

الإنجليز: نحن نقول إما نحن وإما فرنسا: فالصدر الواحد لايتسع لبطيختين." (٥)

---

١) وردت بعض أسماء الشخصيات الإيرانية المعروفة في الترجمة الفارسية وحذفها فيلوت وقال إنه سئل ألا يذكرها.

٢) ظلمگی: يفسرها فيلوت بمعنى "الوظيفة الحكومية" وكلمة "أهل ظلمة" اسم أطلقه الملا على موظفي الحكومة.

٣) هو يزيد بن معاوية الذي امر بقتل "الإمام الحسين بن علي" في معركة كربلاء وتولى بعد وفاة معاوية عام ٦٠هـ.

٤) مغامرات حاجي بابا اصفهاني: طبعة فيلوت الثانية ١٩٢٤، ص٢٩٢

٥) دو هند وانه دريك بغل نگنجد. ص٤٤٧

الشاه : أنتم وفرنسا أيضا ، لماذا نخلق أعداء لنا ؟ إننا أصدقاء للجميع .

الإنجليز : لكننا نساعدكم ، نجعلكم قادرين ، نمدكم بالمال .

الشاه : آه ! هذا كلام آخر ، حددوا المبلغ وبعد ذلك نفكر "(١)

وحين يلقى السفير البريطانى لدى ايران خطبة فى حضور الشاه ويكون حديثه فيها مبسطا غير متكلف يعيب عليه الحاضرون عدم تكلف عباراته وخلو حديثه من الصنعة البديعية :

" ألقى السفير خطبة عامية متبسطة بألفاظ عارية من الفصاحة والبلاغة والصنعة البديعية وكأنه جمّال أو بقّال يتحدث ، ولم يقل للشاه " يامالك ملوك الشرق والغرب ويا قبلة العالمين " .(٢)

ويوضح الكاتب بأسلوبه الساخر إهتمام الحاشية الملكية بما لاقيمة له ، فقد رأى عدد منهم أن تبسّط السفير فى حديثه يعد عيبا وتخلفا ، يقول حاجى بابا :

" إذا أردت أن أدون الفروق فى الأوضاع والأطوار الباطنة والظاهرة بينهم وبيننا (الإيرانيين والأوربيين) فإنى أحتاج الى قلم ودواة أبدية ، وقد إستنتج عدد من عقلائنا بحكمتهم أنه " لابد أن كل هذا الإختلاف ناجم عن تأثير مناخ إقليمهم فهو مظلم ومشبع بالرطوبة والبخار كيف يمكن عقد مقارنة بين قومين أحدهما يحيطه الماء ولايرى وجه الشمس وآخر يحترق من الشروق حتى الغروب فى الشمس ؟

أما علماء الدين المراؤون فيرون أن هذا الإختلاف يعود الى كفر الأوربيين وزندقتهم :

---

١) مغامرات حاجى بابا اصفهانى : طبعة فيلوت الثانية ١٩٢٤ ، ص ٤٤٦ ـ ٤٤٧

٢) نفس المصدر ، ص ٤٥٢

"أما العلماء فقد أولوا الفرق بطريقة أبسط وأقرب الى العقل ، فقالوا : "هـذا الفارق يرجع الى تديننا وإلحادهم ، فلا يشع فى وجوههم نور الإيمان وقلوبهم معتمة بعتمة الإلحاد والزندقة ، ونحن ولله الحمد وجوهنا مضيئة بنور الإيمان وقلوبنا مطهرة من لوث الكفر ، فلو أعلن هذا السفير ومن معه وكل الشعب الإنجليزى إسلامهم لرفعت عنهم كل دلائل وسمات القذارة والنجس وربما رفعوا من درك الجحيم الى أعلى درجات الجنة معنا" . (١)

ويتطرق الكاتب الى موضوع إنتشار الرشوة فى ايران إبتداء من الصدر الأعظم حتى أدنى عمال الدولة ،يقول حاجى بابا :

" ولما كانت أعظم أمراض الصدر الأعظم هى الرشوة فقد إتخذتها قبلتى المقصودة" (٢)

ويتضح فيما يلى إهمال حكام الدولة لأهم الشئون السياسية والإقتصادية وتركها للجهلة ولمن لا دراية لهم ،فقد إرتقى حاجى بابا الذى عمل حلاقا وكاتب أدعية ودجالا وقاطع طريق الى منصب وكيل الصدر الأعظم وتركت له ـ رغم جهلة ـ الأمور وإبرام المعاهدات ، يقول حاجى بابا :

" كانت هناك معاهدات تعقد بين الدولتين (انجلترا وايران) ، فالصدر الأعظم موكل من طرف الشاه وأنا موكل من طرف الصدر الأعظم فكنت وكيلا مطلقا ، وأنا لجهلى بمثل هذه الأمور فقد وقعت فى الحيرة بينهم (ككلب يفكر فى عظمة فى حفل عرس)" . (٣)

---

١) مغامرات حاجى بابا اصفهانى : طبعة فيلوت الثانية ١٩٢٤ ، ص٤٥٢
٢) المصدر نفسه ص٤٥٤
٣) المصدر نفسه ص٤٥٤

وكان منطق حكام الدولة فى ذلك العهد هو السلب والنهب دونما مراعاة لحق الشعب والوطن فيقول الكاتب على لسان الصدر الأعظم الذى يكشف بنفسه عن خسة أصله أمام حاجى بابا :

"أنا أيضا كنت مثلكيوما كنت أجرى هنا وهناك ، فأنا أقدر خدماتك لى ،فلا تحيد عن طريقك ، الأوربيون هم خير أبواب عملك ، فافعل كل ماتهواه ، مسموح لك ، فلديهم المال الكثير وهم فى حاجة إلينا أيضا ، إن شعب ايران كالأرض الزراعية ، لايثمر دون رشوة ، فقبل الإثمار يجب إلقاء البذور ،يقول الفرنجة هدفنا خير بلادكم نحسب ، لكن هذا الكلام عندنا نحن أهل ايران لاقيمة له ، إن كل خدمة نفعلها سواء أنا أو الشاه سيطويها النسيان غدا بمجرد أن نموت وتضيع هباء ، ويأتى ولى العهد ويخرب كل مابنيناه ليبنى نفسه ، الحقيقة أن الشاه نفسه له حق ، فليأخذه ، لكن الوزير أيضا له حق ، لماذا لايأخذه ؟". (١)

البناء الأدبى لترجمة "حاجى بابا اصفهانى"

ذكرنا من قبل أن الترجمة الفارسية لرواية " حاجى بابا " قد تضمنت زيادات وتغييرات كثيرة عن الأصل الإنجليزى وخرجت وكأنها عمل أصلى لاترجمة ، فالأصل الإنجليزى يجسم عيوب المجتمع الإيرانى ويبرز الجوانب القبيحة فقط من الحياة الإيرانية وقد فاق المترجم المؤلف فى هذه الناحية نظرا لأهدافه السياسية والإجتماعية ، فقد كان هدفه الأول هو إنتقاد الأوضاع السياسية والإجتماعية ومهاجمة الكهنوت الدينى ومحاولة الملات ورجال الدين الايرانيين إعاقة تيار التحديث والتقدم .

---

١) مغامرات حاجى بابا اصفهانى : طبعة فيلوت الثانية ١٩٢٤ ص ٤٥٥ ـ ٤٥٦

يتميز الأسلوب النثرى الذى كتبت به الترجمة بقربه من لغة الحوار وحليته الشديدة التى تقرب الأحداث الى ذهن القارىء فى لغة مبسطة غير متكلفة ويأتى المترجم أحيانا بتعبيرات وألفاظ عامية من واقع الحياة الإيرانية مما أضفى على الترجمة طابعا فارسيا مميزا .

يقول بهار فى نقده للترجمة : "إن الأسلوب النثرى الذى إستخدم فى ترجمة رواية "حاجى بابا" يحاكى نثر گلستان سعدى أحيانا فى السلاسة والإتقان والإنسجام ويشبه فى تجسيده للأحداث وفى تحريكه للمشاعر والإثارة لدى القارىء الكتابات النثرية الأوربية ، فهو بسيط من ناحية وفنى من ناحية أخرى ، ويوافق القواعد القديمة لأساتذة النثر من ناحية ويواكب الأسلوب الحديث والطراز النثرى الجديد من ناحية أخرى ، وهو عموما يعد واحدا من الأعمال الفذة للقرن الثالث عشر الهجرى ."(١)

ويقول "فيلوت" فى مقدمته للطبعة الثانية للترجمة الفارسية لهذه الرواية :(٢)

"يجب أن ينظر الى "حاجى بابا" فى الحقيقة كتاريخ جاد لاكتهكم أو هزل ، وحين وصلت النسخة الخطية من ترجمة الشيخ أحمد الى مدينته لأول مرة إعتبرت عملا أصليا ، فنسخت بشغف وقرئت بحماس وفى شيراز واصفهان قوبلت بالترحاب أيضا ، ألم تكن أول رواية تكتب بالفارسية ؟ والفرس وهم على قدر من المرح وحب الفكاهة يساوى ما هم عليه من غرور لايعترضون على أن يكونوا موضع تهكم من قبل أحد بنى جلدتهم فالمهارة التى صورها ابن وطنهم بعض الخصائص البارزة والمميزات الملحوظة ملأتهم فخرا

---

١) بهار (محمد تقى) : سبك شناسى جـ٣ ، ص٣٦٧

٢) Phillott (D.C.): The adventures of Haji Baba of Isphahan, second ed., Calcutta, 1924, pp. IX

بل ورفضوا حتى أن يسلموا بأن الترجمة تضم أخطاء نحوية ولغوية ، وقالوا " إنها مكتوبة بلغة الحوار التى نتحدثها " .

وسنتحدث عما يقصده فيلوت " بالأخطاء النحوية واللغوية " فى موضع لاحق.

من الخصائص التى تميزت بها الترجمة الفارسية تلك الأشعار المأثورة التى توائمت فى مواضعها ، بالإضافة الى الأقوال الشعبية المأثورة والآيات القرآنية مما يبين عن إتقان المترجم للغته الفارسية ودرايته بدقائقها ووقوفه على خصائص الحياة الإجتماعية الإيرانية .

وفى الترجمة الفارسية هناك بعض الإختلاف عن المتن الإنجليزى فقد إضطر المترجم فى بعض المواضع أن يضيف قطعة كاملة أو يحذف فقرة أو يختصر فقرة أخرى ، فعلى سبيل المثال إحتل فصل " حكاية يوسف الأرمنى وامرأته " أربعا وثلاثين صفحة فى الأصل الإنجليزى بينما إختصر فى الترجمة الفارسية الى خمس صفحات من ٢١٥ الى ٢١٩ والسبب هو أن هذا الفصل قد جعل أساسا للحديث عن إحتفالات عرس الأرمن وعاداتهم مما لايمد القارىء الإيرانى بأى دافع إجتماعى إلا نادرا . (١)

وهناك بعض العيوب النحوية أخذها " بهار " (٢) على مترجم هذه الرواية منها أنه ركب الأسلوب القديم والأسلوب الحديث معا فى الأفعال الإنشائية وا نسلّ من القاعدة والتقليد ، إذ كان من المعتاد فى الأسلوب القديم أن تلحق " ياء المجهول " بنهاية الأفعال الخبرية أو الإستمرارية ، وفى الأسلوب الحديث توضع " مى "

---

(١) Kamshad (H.): Modern Persion Prose literature, pp. 25

(٢) بهار (محمدتقى) : سبك شناسى جـ٣ ، ص٣٦٨

الإستمرارية فى أول الفعل ، فجمع مترجم "حاجى بابا" هاتين العلامتين معا فى الفعل الواحد مما يعد خروجا عن القاعدة والمألوف ، مثل :

" اگرهركس پرده ازكار خود بر ميداشتى وچنانچه هست مى نمودى ، آنوقت معلوم شدى كه دنيا چيست وأهلش كه ؟" (١)

أما الأخطاء اللغوية والنحوية التى يقصدها فيلوت فهى كثرة الأفعال محذوفة النهايات مع إضافتها الى الفعل الأخير مثل :

" از سمنان بيرون آمدم ، درآن دم بهبودى پذيرفته ، جوانى وجمال بجا ، بيست تومان بس انداز مشهد . درجيب ، هنرهاى دوخته در بغل ، آهنك آن راشتم كه چون بطهران برسم كسوت درويشى رابراندازم . (٢)"

وأحيانا تحذف نهايات الأفعال فى حين يكون لكل فعل فاعل مختلف مثل :

"انشاء الله درتربيت فرزندى نور چشمى دقت وتعليم نشست ومرخاست بامردم مواظبت نموده ، البته نماز وروزه راترك نكرده است ". (٣)

نلاحظ أن فعل "نموده" يعود على المعلم ، وفعل "نكرده است" يعود على الإبن . (٤)

وقد شرح فيلوت فى طبعاته الثلاث لهذه الترجمة كثيرا من الألفاظ والتعبيرات الفارسية وقدم تعليقات مفيدة على بعض العبارات الفارسية العامية ولكنه أخفق فى إدراك معانى بعض الألفاظ والكلمات الفارسية والتركية والعربية مثل :

---

١) مغامرات حاجى بابا اصفهانى : طبعة فيلوت الثانية ١٩٢٤ ص ٢٤٦
٢) المصدر نفسه ، ص ٩٧ السطر ١ـ٣
٣) المصدر نفسه ص ٩٩ السطر ٩ ـ ١٠
٤) المصدر نفسه مقدمة فيلوت ص المقدمة

(١) كلمة پايمردى [١] ترجمها فيلوت بمعنى " الصداقة الوطيدة " فى حين أنها تعنى " المساعدة " "الشفاعة" ، " الوساطة " .

(٢) وردت فى الترجمة كلمة " پاافراز [٢] " بمعنى " الخُف " ولكن ترتيب الحروف خطأ والترتيب الصحيح هو " پاافزار " ، وقد ترجمها فيلوت بمعناها الصحيح ولكن بنفس الترتيب الخطأ للحروف.

(٣) ووردت بعض الالفاظ الفارسية وضع فيلوت عليها علامة إستفهام ، مثل لفظ " دژمان " [٣] (بكسر الدال أو ضمها) ومعناها " نادم " أو " متحسر ".

(٤) ومن الألفاظ العربية التى لم يدرك فيلوت معناها الدقيق كلمة " ميقات " فترجمها "مكان محدد " ، صحيح أن هذه الكلمة قد تعنى المكانية ولكن فى الموضع المذكور يجب أن تكون بمعنى " الموعد المحدد " ونص العبارة التى وردت فى الترجمة هو : به پشت بام بميقات معهود رفتم "[٤] فيكون معناها " صعدت الى سطح المنزل فى الموعد المعهود ".

(٥) ترجم فيلوت كلمة " قحبه " بمعناها الصحيح ولكنه قال أنها من الفعل " To Cough " وهذا خطأ بالطبع "[٥]

وكذلك فى تعليقه على كلمة " مربى " كتبها فيلوت بالحروف اللاتينية بكسر الباء أى فى صيغة إسم الفاعل ، فى حين أن المترجم شكلها تشكيلا صحيحا وقصدها إسم

---

١) مغامرات حاجى بابا اصفهانى : طبعة فيلوت الثانية ١٩٢٤ ، ص٧٠ حاشية (٣) .
٢) المصدر نفسه ص٣٨٨ حاشية (٦) ويقال أيضا " پااوزار " و " پايزار ".
٣) المصدر نفسه ص ٤٢١ حاشية (١)
٤) المصدر نفسه ص ١٧٧ حاشية (٥)
٥) المصدر نفسه ص ١٨٠ حاشية (٢)
ربما اختلط عليه التشابه بين لفظى (قحبه)و(ان يكح) .

المفعول أى بفتح الباء (١).

(٦) وردت فى الترجمة كلمة " مين باشى " (٢) بمعنى رئيس الألف فى اللغة التركية ، ولكن كلمة "مين" خطأ والصحيح هو "بيك" أى بالباء والنون الخيشومية ، وقد علق فيلوت عليها وكتبها بالحروف اللاتينية بنفس حرف الميم الذى ورد فى الترجمة دون أن يصححه .

(٧) وترجم فيلوت بعض التعبيرات الفارسية ترجمة حرفية تختلف عن معناها الصحيح ، فترجم عبارة (اين دخترك بدقماش نيست (٣)) بمعنى (هذه البنت ليست قطعة قماش رديئة) ، ولكن لفظ " قماش" فى العامية الفارسية معناه " طبيعة " أو " نوع " ومن ثم فالمقصود بهذه العبارة هو (هذه البنت ليست سيئة النوع) .

وهناك غير ذلك من الألفاظ والتعبيرات التى أخطأ فيلوت فى تفسيرها وترجمتها بدقة ولكن المجال لايتسع لحصرها .

وإذا ماتنا سينا هذه التفاصيل الدقيقة ونظرنا الى رواية " حاجى بابا "الفارسية بوجه عام سنجد أنها قد أثرت تأثيرا سياسيا وإجتماعيا كبيرا بإيقاظ الشعب ودفع التيار القومى والثورة ، ومن الناحية الأدبية أيضا كانت واحدة من أنجح التجارب فى الإتجاه الحديث للكتابة النثرية وصارت فى أسلوبها المبسط نموذجا يحتذيه كتاب النثر المحدثون ، ويمكن لدارس الشئون الإيرانية أن يتعرف من خلالها على أدق عادات وتقاليد الشعب الإيرانى . (٤)

---

١) مغامرات حاجى بابا اصفهانى : طبعة فيلوت الثانية ١٩٢٤ ص ٤٥١ حاشية (١)
٢) المصدر نفسه ص ٢١١ حاشية (٤)
٣) المصدر نفسه ص ١٨٠ حاشية (١)
٤) Avery (Peter): Modern Iran, pp. 108

الفصل الثالث

سياحتنامهٔ إبراهيم بگ

تأليف : حاجي زين العابدين المراغي

حياة زين العابدين المراغى وإتجاهه القومى :

ولد حاجى زين العابدين المراغى فى مراغه عام ٢٥٥ اهـ.ق / ٨٣٧ لم. (١) وهو من أصل كردى وكان على المذهب السنى كأجداده " خوانين ساوجبلاغ " وإعتنق التشيع موخرا (٢) ، وكان أجداده من أثرياء مراغه ، إلتحق زين العابدين فى طفولته بالكتاب لكنه لم يكن موفقا فى الدراسة ، وفى السادسة عشرة من عمره إتجه الى التجارة ولما أفلس هو وأخوه رحلا الى القوقاز ، وكانت رحلته هذه من نقاط التحول فى حياته . فقد ربحت تجارته هناك وعين نائبا للقنصل فى كوتيس ، وأصبح فى منصبه هذا خادما محسنا للرعايا الإيرانيين فى تلك النواحى ، فقد أقرضهم أمواله وفشل فى سداد ديونه ووجد نفسه مرة أخرى مفلسا ، فرحل الى كريميا حيث فتح متجرا فى "يالتا" وإنتعشت تجارته مرة أخرى وحصل على الجنسية الروسية لكنه لم يكن راضيا عن نفسه بقبوله تغيير جنسيته حتى إستعاد جنسيته الإيرانية بعد خمسة عشر عاما فى مقابل تخليه عن كل ممتلكاته للسلطات الروسية ، وترك "يالتا" ورحل الى اسطنبول التى إختارها لنفسه مقاما (٣) حتى توفى عام ١٣٢٨ اهـ.ق / ١٩١٠ م. وهو يناهز الستين .

كان فى اسطنبول فى ذلك العهد عدد كبير من التجار الإيرانيين من أهل العلم والفكر ، فتكونت من هذه العناصر التقدمية من التجار "جالية" تعاونت مع من إعتنقوا نفس الأفكار التقدمية داخل ايران (٤) ، فإنضم حاجى زين العابدين التاجر التقدمى

---

١) آرين پور (يحيى) : از صبا تانيما ، ج ١ ، ص ٣٠٤

٢) Kamshad (H.): Modern Persian Prose literature, pp. 18

٣) آدميت (فريدون) : ايديولوژى نهضت مشروطيت ايران ، ص ٨٦

٤) المرجع السابق ، ص ٨٦

المستنير ذو العقلية الإجتماعية الفعالة الى تلك الطائفة من التجار التقدميين وعمل على خدمة وطنه عن طريق العلم والنضال السياسى .

رواية " سياحتنامه ابراهيم بك " :

صدرت الرواية الإجتماعية "سياحتنامه ابراهيم بك" فى ثلاثة أجزاء ، وظهر كل مجلد منها فى مكان بالخارج حتى يبعد الناشر عن التساؤل ورقابة المطبوعات . (١)

طبع الجزء الأول فى القاهرة بدون تاريخ ودون ذكر إسم المؤلف عليه ، وظهر فى اسطنبول عام ٨٨٨ لم/ ٣٠٥ اهـ.ق . (٢) وصدر المجلد الثانى عام ٩٠٧ لم/ ١٣٢٥ هـ.ق . (٣) فى كلكتا بالهند دون ذكر لإسم المؤلف عليه أيضا ، ولم يعرف الشعب الإيرانى إسم مؤلفه إلا بعد بضع سنوات حين ظهر المجلد الثالث فى اسطنبول عام ١٩٠٩م/ ٣٢٧ اهـ.ق . وعليه إسم المؤلف :

حاجى زين العابدين مراغه اى : تاجر ايرانى مقيم فى اسطنبول .

كان عدم ذكر إسم المؤلف على المجلدين الأول والثانى سببا فى أن ينسب بعض الكتاب تأليفهما الى نفسه بالكناية والتلميح ، وقبضت الحكومية الإيرانية على عدد من الأشخاص بتهمة تأليفه وعاقبتهم مما أحزن المؤلف ، حتى ظهر إسم المؤلف فى مقدمة المجلد الثالث بعد إقرار الدستور . (٤)

---

(١) Kamshad(H.):Modern Persian Prose literature,pp. 17

(٢) طبع الجزء الأول للمرة الثانية فى كلكتا عام ٨٩٠ لم ، وللمرة الثالثة فى بومباى عام ١٩٠٥ ـ ٦ ، وللمرة الرابعة فى كلكتا ١٩١٠ م ، وترجم الى الألمانية عام ١٩٠٣ م والى الروسية عام ٩٦٣ لم .

(٣) Kamshad(H.) : Modern Persian Prose literature,pp. 17
وآدميت (فريدون) : ايديولوژى نهضت مشروطيت ايران ص٨٦

(٤) آرين پور (يحيى) : ازصباتانيما جـ١ ، ص٣٠٦

المجلد الأول وأهميته :

يعد الجزء الأول أهم أجزاء هذه الرواية الإجتماعية ، وتكمن أهميته فيما إحتواه من نقد مرير لمواطن الفساد فى الدولة ، وقد غرمت الحكومة الإيرانية كل من كان يقتنى هذا الكتاب فى محاولة لمنع تداوله لكن هذه الإجراءات لم تكن ذات جدوى ، فقد حقق الكتاب شعبية كبيرة بين الشعب الإيرانى وزاد شغف الناس بقراءته وإستمر تداوله خفية على الرغم من أن مؤلفه لم يكن معروفا فى ذلك الوقت .

يحكى الجزء الأول عن إبن تاجر تبريزى ولد وتربى فى مصر ، وتشرب عن أبيه الوطنية والتعصب فى حب بلاده وحضارتها القديمة ، ويعزم إبراهيم بك على القيام برحلة الى ايران بناء على وصية أبيه بصحبة وصيه ومربيه " يوسف عمو " ولكنه يجد ايران التى طالما وصفها والده بالجنة تعيش فى بؤس وفقر وظلم وتخلف ، فيسجل إبراهيم بك كل مايراه فى رحلته الى المدن الإيرانية على صفحات يومياته بسخط حانق لوطنى خاب أمله ، مدونا وشارحا لكل أوجه التخلف والفساد فى ايران من غياب القانون والعدالة وتدهور حال التعليم بوجه عام . ونقص الخدمات الصحية وإدمان الأفيون وكساد التجارة بل وإنتقد أيضا الكتابات المنمقة المتكلفة ، ويلتقى فى سياحته هذه بوزراء الداخلية والخارجية والحربية فيعطيه ذلك فرصة إطلاع القارئ على المهام الحقيقية لهؤلاء الوزراء وواجباتهم ويذكّر قراءه بأمجاد ايران القديمة ليوقظهم على ماوصلت الأوضاع فيها .

الأفكار النقدية فى المجلد الأول :

ونحاول هنا أن نعرض لأهم الأفكار الإنتقادية التى وردت فى المجلد الأول كنموذج لأسلوبه فى النقد الإجتماعى والسياسى .

يرحل البطل من مصر قاصدا بلاده بصحبة مربيه ووصيه "يوسف عمو" ويتجه أولا الى اسطنبول ومنها الى باطوم وتفليس وباكو وأنزلى (مينا" بهلوى الحالية) وسارى ومشهدسر (بابلسر الحالية) وأوزون اداً وعشق آباد حيث يرى الإيرانيين فى هذه المدن يعملون فى أدنى الأعمال ويعانون الفاقة والمذلة فرارا من ظلم عمال الدولة فى ايران ، فيتحدث الكاتب على لسان " على لنكرانى "الذى إلتقى به " ابراهيم بك" فى باطوم عن الإيرانيين الذين هاجروا من بلادهم وأسباب هجرتهم فيقول :

" أولا ليس فى ايران أمن ،ولاعمل ولاخبز ، فماذا يفعل هؤلاء المساكين ، فرّ بعضهم من تعدى الحكام وبعضهم من ظلم عين الأعيان والعسس والعمدة ، هجر الناس وطنهم وساحوا فى بلاد الروم والهند والروس وملأوها ". (١)

ولم يلق هؤلاء المهاجرون الراحة من الظلم فى هجرتهم بل وقعوا فى أيدى السفراء والقناصل الإيرانيين الذين فرضوا عليهم إتاوة جبرية :

" وهناك أيضا لم يسلموا من أيدى سفرائهم وقناصلهم آكلى لحم الموتى ، إنك ترى هؤلاء المساكين الحفاة يعملون هنا طوال النهار من الصباح حتى المساء فعلة وحمالين للتراب تحت وهج الشمس ، وفى حين يشتغل الكافرون على حالهم يسلخهم هؤلاء السفراء والقناصل والموظفون رغم مرتباتهم وأجورهم بمنتهى القسوة ، ويأخذون من كل فرد منهم أربعة منات كل عام باسم " ضريبة تذكرة السفر " (٢)

---

١) سياحتنامهٔ ابراهيم بك : زين العابدين المراغى ، المجلد الاول ، القاهرة بدون تاريخ ، ص ٢٢

٢) المصدر السابق : ص ٢٣

وفى مدينة (شاهرود بسطام) ينتقد إبراهيم بك حاكم الولاية الذى يسير فى الشوارع ممتطيا جواده ، وحراسه يضربون الناس لإخلاء الطريق ، ويبين فساد عمال الدولة فى ايران ، فيقول " حاجى إسماعيل آقا " عن تحكم عمال الدولة فى مصير الناس وشئونهم :

"إن هذه التعاسة منحصرة فى ايران والإيرانيين ، فالحكام فى أى بقعة على وجه الأرض لايمارسون مثل هذه التحكمات "فمهام الحاكم وواجبات المحكوم معلومة ومحددة فى كل مكان ، إلا فى ايران ، فنحن التعساء أسرى حكم هذه الحفنة من الطغاة المتجبرين ، وكل مايفعلونه بمالنا وأروا حنا وأعراضنا نافذ ، ولايؤاخذون ولايسألون ، وصرخاتنا المتظلمة لامجيب لها . (١)"

ويقارن إبراهيم بك بين حال حاكم " لندن " وحاكم (شاهرود بسطام) ، ويعرف من حديث آقا رضا أن حراس الحاكم وعماله يعيشون على الإتاوات التى يجبرون الناس على دفعها :

" إن حاكم مدينة مثل "لندن" التى يسكنها سبعة ملايين نسمة يمشى فى كل مكان بمفرده ولايعيره أحد إلتفاتا ، أما حاكم ولايتنا الصغيرة فلديه ماشاء الله قدر كبير من الجلال والحاشية ، هكذا يكون الحكم ،قلت : ياآقا رضا من أين للحاكم برواتب وأجور كل هؤلاء (المحيطين به) قال : هؤلاء لايتقاضون رواتب ،إنهم يمرون فى الأزقة والأسواق صباح مساء ، وحيثما تشاجر شخصان يأخذونهما الى رئيس العمال ، ومهما كان الشجار تافها لايتركوهما إلا إذا أخذوا تومانين لرئيس العمال وخمسة قرانات

---

١) سياحتنامه ابراهيم بك : زين العابدين المراغى ، المجلد الأول ، ص ٤٧

للنائب وقرانين أو ثلاثة لهؤلاء العمال ، وإذا جاء شخص له تظلم أو شكوى من القرى النائية يصدر الأمر لواحد أو إثنين من هؤلاء الفرسان بأن يهاجموها وإذا إتسع الشجار بعض الشيء يقوم بالمهمة أحد الخدم أو كبير الحوذية أو شيخ الخفر أو الساقى . ويأخذون مائة تومان أو خمسين تومانا من أجل الأمير وعشرة أو عشرين تومانا لأنفسهم كغرامة أو هدية " (١)

وينتقد الكاتب الرشوة بين عمال الدولة وموظفيها وإنعدام الضوابط والقوانين التى تحدد علاقة موظفى الدولة بالشعب ، وينتقد الإضطراب الذى أصاب كل أفرع الحياة فى البلاد :

" فى أثناء هذه الرحلة حيث رأيت بعضا من مدن ايران حزن قلبى ، ففى كل مكان الحكم مضطرب ، والأمة مضطربة ، التجارة مضطربة ، والفكر مضطرب والعقائد مضطربة " المدينة مضطربة والحاكم مضطرب " ، يارب ماهذا الإضطراب والتدهور ، إنى لفى عجب : ماضرورة كل هذا العدد من الوزراء مع كل هذا التدهور " (٢)

ويورد الكاتب قائمة من الألقاب التى كانت تمنح وتشترى بالهدايا والتملق وينتقد كثرة هذه الألقاب بلا داعى . (٣)

ويعزم إبراهيم بك على مقابلة وزير الداخلية ، فيصل إليه بالرشوة ، وحين يقابله يسأله عن أسباب خراب البلاد ونقص المرافق وتدهور التجارة ويعرض من خلال حديثه معه واجبات وزير الداخلية ومهامه ، يقول إبراهيم بك :

---

١) سياحتنامه ابراهيم بك : زين العابدين المراغى ، المجلد الأول ، ص ٤٥.
٢) المصدر السابق ص ٦٩
٣) المصدر السابق ص ٦١ ـ ٦٢

" إن حضرة السيد الأجل الذى يتولى منصب وزارة الداخلية يجب أن يكـــون على علم بكل الشئون الداخلية للدولة حسب مايقتضيه ذلك المنصب العالى وأن يقضى وقته ليل نهار فى إصلاح البلاد وتهيئة أسباب زيادة رقى الدولة وراحة الناس.

والآن أخبرنى : فى أى مدينة من مدن ايران الواسعة بنيت مستشفى أو أقمـــت دارا للمعوقين أو ملجأ للأيتام أو أنشأت دارا للتأهيل المهنى لتربية الأطفال المشردين وفى أى بقعة من بقاع الوطن عبدت الطرقات لتسهيل الإنتقال أو هيأت أسباب تقـــدم وتسهيل الزراعة والفلاحة التى تعد أساسا لحياة الدولة والشعب." (١)

ثم يسأل وزير الداخلية عن سبب إعتماد الشعب فى كل صغيرة وكبيرة على الـدول الأخرى، وهجرة الإيرانيين الى الدول المجاورة وإضطرارهم الى قبول أدنى الأعمـــال والعيش فى أدنـى مستويات الحياة، يقول إبراهيم بك :

" لماذا لاتحققون فى أسباب تشرد الشعب وتشتته ماهو السبب فى هجرة عـدة آلاف من أفراد الشعب الإيرانى سنويا لديارهم ووطنهم ويسيحون فى الأراضـــى العثمانية والروسية والهند ويعيشون فى بلاد الغربة عند الصديق والعدو فى مذلـة وشقاء، ألم يحن الوقت لينتوقف وزراء ايران عن بيع الشعب للحكام والحكام للنـــواب والنواب للأعيان والأعيان للعسس وهؤلاء للعمد وأولئك لرئيس العمال والنائب." (٢)

ويستمر إبراهيم بك فى نقده للأوضاع السيئة التى يتباهون وزير الداخلية فى إصلاحها فينتقد نقص الصناعات وإهمال شئون الرعية وعدم وضع تعريفة جمركية موحدة ونقص الخدمة الصحية، فيجيبه الوزير بسلبية واضحة :

---

١) سياحتنامة إبراهيم بك : زين العابدين المراغى ، المجلد الأول ، ص٦٦
٢) المصدر السابق : ص ٦٧

"هل إنتهيت من ثرثرتك ، أم ليس بعد ، لم تعد لى طاقة على الإستمـــــاع لترهاتك ، أيها الحقير الأحمق من علّمك هذا الفضول ؟ ، هل أنا نبى آخر الزمان حتى أقول " واأمتاه " ، إن كل فرد لديه آلامه وفكره الخاص به " (١)

ويتجه إبراهيم بك الى بيت وزير الخارجية ويعلم أن النائب الأول للسفارة الروسيـة فى مكتب " ميرزا كاظم بيك " وزير الخارجية فيبين فى حديثه مع نفسه الصراع بين روسيـــا وانجلترا على زيادة نفوذهما فى ايران ويوضح تنافس الدول الأجنبية فى الحصول علـى الإمتيازات الإقتصادية فى ايران فيقول :

" النائب الأول للسفارة الروسية فى مقابلة مع الوزير وقد إنفردا ببعضهما ، فكـرت قليلا ، بحصول الإنجليز على إمتياز ما تقلق السفارة الروسية ، والحديث والخلوة لهـذا السبب فإما يهدموا الإمتياز الإنجليزى أو يحصلون هم أيضا على إمتياز مثله . " (٢)

يتحدث مع أحد الإيرانيين عن العلاقات الإيرانية بالدول الأجنبية التى تقـوم على الإستغلال الإقتصادى الأجنبى لموارد ايران ، وكانت هذه الدول تحصل علـــى الإمتيازات عن طريق رشوة الصدر الأعظم والشاه يقول الكاتب على لسان الإيرانى :

" هذا الشخص موظف بشركة إنجليزية أتى الى تهران للحصول على إمتيـــازات تشغيل المناجم من حكومة ايران ، وكان يقول الآن أن مهمته قد نجحت وأنه حصل على الإمتياز ، وقد أعطى لجناب الصدر الأعظم مايقرب من ثلاثين ألف تومان كإكراميـــة ، أما نصيب الذات الملكية فغير معلوم . " (٣)

---

١) سياحتنامـــه ، إبراهيم بك : زين العابدين المراغى ، المجلد الأول ، ص ٧٠
٢) المصدر السابق : ص ٧١
٣) المصدر السابق : ص ٤٩

ويلتقى ابراهيم بك بوزير الخارجية ويبدأ فى عد المساوىء التى رآها فى البلاد الغريبة بين الرعايا الإيرانيين والجرائم التى يقترفها قناصل ايران من بيع جوازات السفر التى تمثل الجنسية الإيرانية للأجانب واللصوص الذين يرتكبون باسم الجنسية الإيرانية أقبح الأعمال ، فيقول :

" الى متى ستظل براءة شرفنا القومى تباع كورق اللعب فى أماكن متعددة، وبأسعار متفاوتة ، ففى تهران مثلا بخمسة قرانات ، وفى تبريز بتومان واحد ، وعلى ضفاف نهر " ارس " بتومان ونصف ، وفى القوقاز بأربع منات ونصف ، وفى الدولة العثمانية بخمسة وسبعين قرشا ، بالإضافة الى ذلك يبيع موظفوكم هذه الجوازات فى كل مكان لكل لص وقاطع طريق ومتشرد من الأجانب مقابل عدة قروش ليرتكبوا جرائم السرقة ومختلف أنواع الفضائح باسم التبعية الإيرانية فى كل البلاد العثمانية والروسية حتى فى انجلترا وفرنسا بين إثنين وسبعين دولة . (١)"

ويطرده وزير الخارجية فيذهب الى وزير الحربية ولايقابله إلا بعد رشوة معاونيه وموظفى مكتبه ، ويبدأ حديثه معه بإنتقاد إهمال حدود البلاد وتركها بلا جنود يحرسونها ، وكثرة إعداد الضباط وقد كانت القوات المسلحة الإيرانية فى ذلك العهد ضعيفة ولاتقوى على الدفاع عن البلاد :

" لم أر على طول الطريق من مشهد المقدسة حتى هنا حيث العاصمة أثرا لحرس الحدود الحامية للبلاد ولا أثر للمدفعية أو الأسلحة أو الحصون أو القلاع أو الأبراج

---

١) سياحتنامه ابراهيم بك: زين العابدين المراغى ، المجلد الأول ، ص ٧١ ، ٧٢

رأيت فى مدينة مشهد فقط بعض الجنود فى زى العمالة والفعلة وليتنى ما رأيتهم ، والآن أسألك وأنت وزير الحربية فى هذه الدولة القديمة ، إن وضع ايران لايخلو من شقين :

إذا كانت ايران فى سلام مع كل جيرانها وتطمئنون الى أن الحرب لن تنشب ، فى هذه الحالة لا داعى لكل هؤلاء القادة والضباط وأمراء الجيش والقائد الأكرم والقائد الأعظم والقائد الأفخم وجهاز وزارة الحربية وكتابة إسم مائتى ألف جندى على الورق ، يكفى لحماية " ارك " المبارك فوجان أو ثلاثة أفواج ، وتسلمون كل مدينة لحاكم واحد .

نأتى الى الشق الآخر : حين يرد إحتمال إن يبرز لايران عدو وتصبح الحرب حتمية فأين جيشكم المدرب حسب متطلبات العصر وأين الأسلحة والمؤن وأدوات الدفاع من بنادق ومدافع ؟ ، أين مخزن الذخيرة وثياب الجند ؟ كم يبلغ عدد كتائب معسكرات الحدود ؟ ، وفى أى نقاط الحدود الهامة يعسكرون ؟ أين مستشفياتكم العسكرية ؟ ، من هم أطباء وجراحو المعسكرات ؟ بأية وسائل ستنقلون جرحى وشهداء الوطن والأمة من ميدان القتال الى داخل البلاد ؟ وأين شيدتم القلاع الحصينة والأبراج المتينة لصد هجمات العدو والتى تستخدم حين الضرورة ؟ هل بالجنود البالغة أعمارهم ستين عاما وبالقادة ذوى العشرين سنة يمكن صد كل هؤلاء الأعداء الذين يتربصون بوطننا من جوانبه الأربعة ؟ وما الخدمة التى أداها للدولة والأمة كل هؤلاء القادة ذوى العشرين سنة حتى إستحقوا عنها السيف والرتب القيادية ؟ " (١)

---

١) سياحتنامه ، ابراهيم بك : زين العابدين المراغى ، المجلد الاول ، ص ٧٦

وينتقد الكاتب وزراء ايران فى ذلك العهد ويندد بجهلهم بشئون وزاراتهم " فهؤلاء الوزراء لايعلمون عن أوضاع زمانهم شيئا ولايعرفون إلا نهب الدولة وخيانة الوطن والأمة" (١)

ثم يلتقى بطل الرواية بالوزير الإصلاحى (الوجود المحترم) الذى يقول فريدون آدميت أنه " أمين الدولة " الوزير المستنير الذى رأس الوزارة فى عهد مظفر الدين شاه (٢) ، ويفضى إبراهيم بك بكل ماأحزنه من فساد الأوضاع فى ايران لذلك (الوجود المحترم) الذى يبدى تفهما كبيرا لآراء إبراهيم بك ، ومن خلال حديثهما يعرض الكاتب وجهات نظره عن القانون فيقول :

" فى حالة وجود القانون فإن الحقوق التى يتطلع الشعب الى أن يتضمنها هذا عبارة عن حقوق أربعة :

(١) الحق المتعلق بذات الوطن وكيانه .

(٢) الحق المتعلق بأبناء الوطن .

(٣) الحق المتعلق بالهيئة العامة للمواطنين .

(٤) الحق المتعلق بشئون ادارة الوطن .

هذه الحقوق الأربعة التى هى بمنزلة العناصر الأربعة لجسم الوطن تمتزج ببعضها بكل فروعها وجزئياتها ، وتسمى كلياتها بإسم "الحقوق الوطنية" ويسميها أهل التفصيل والتنظيم " القانون " ، وتنطبق أحكامها على كل فرد دون إستثناء . " (٣)

---

١) سياحتنامه ابراهيم بك: زين العابدين المراغى ، المجلد الأول ، ص ٧٩

٢) ويرى فريدون آدميت أيضا أن " حاجى زين العابدين المراغى " لم يكن يعرف" امين الدولة" شخصيا ولكنه ـ حسب رأى فريدون آدميت ـ سمع حديثه وآراءه من شخص يعرف " أمين الدولة "جيدا .

ـ آدميت (فريدون) : ايديولوژى مشروطيت ايران ، ص٨٧ .

٣) سياحتنامهٔ ابراهيم بك : زين العابدين المراغى ، المجلد الأول ، ص ٨٢ ، ٨٣

ويؤكد الكاتب على ضرورة سيادة القانون وسريانه على كل المواطنين بما فيهم الحاكم فيقول :

" إن الحاكم سواء كان صالحا أو طالحا لايدوم ، ومادام الحكام لايتبعون ميثاقا أو قانونا ولايعتبرون أنفسهم خاضعين لأحكامه ومكلفين بتنفيذه ولايأملون فى الثواب نظيرأعمالهم الحسنة ، ولايخشون العقاب جزاء سوء أفعالهم فما الخير الذى يرجى منهم .

لابد أن يكون للحكام "قانون " أو " كتيب " أو " ميثاق" أو " دستور تعليمات " أو أى شيئ منظم ومكتوب وثابت لايتغير يتعاملون مع الشعب فى الأمور المتعلقة بالمخالفات والجرائم والحقوق بناء على مواده المدرجة حتى تستقيم الأمور وتنصلح "(١)

ويوحد الكاتب بين معنى أو مفهوم "الدولة "و" الحكومة" ويرى أن إتحاد هذين العنصرين يتيح فرصة التغلب على المشكلات التى تواجه البلاد :

"وحين يوضع فى الإعتبار أن الشعب نفسه من الحكومة والحكومة نفسها من الشعب ويفهم أنهما لازمان غير منفصلين إلا لفظا ، أماذالمعنى فهما شئ واحد ، حينئذ يمكن تنفيذ أصعب المهام ، ومن جلال ونعمة إتحاد هذين العنصرين العزيزين للوطن لن تصمد أمامنا أية مشكلة ." (٢)

والقانون وأهميته من النقاط الهامة التى ركز عليها الكاتب فى حديثه السياسى فى هذه الرواية فيرى أن الشعب الكامن وراء التخلف الذى تعانيه ايران هو إنعدام القانون :

" إن سبب إضطراب ايران فى العهود الأخيرة وسبب عدم إستقرار الحكم فى

---

١) سياحتنامه ابراهيم بك: زين العابدين المراغى ، المجلد الأول ، ص ١٢٢
٢) المصدر السابق ص ٦٩

أسرة حاكمة واحدة وكأنها خاتم يوضع كل يوم فى أصبع هو الجهل وإنعدام القانـــون ولاشىء غيرهما والأسباب الرئيسية لذلك الخراب هى المظالم وجذر هذا الخـــراب هو الجهل ." (١)

ويطلع إبراهيم بك على صحيفة من الصحف الحكومية التى كانت تمثل البـــلاط والحكومة وهى صحيفة "ايران "الأسبوعية ، ويقرأ تحت عنوان " الأخبار الداخليـــة" بعد تفصيل مراسم تشريف الموكب الملكى لمكان الصيد والدعاء للذات الملكيـــــة ذات الصفات الهمايونية :

" ينعقد مجلس بلاط الدولة ثلاثة أيام فى الأسبوع فى البناية المباركة "خورشـــيد برئاسة "فلان " . (٢)

وضمن أخبار الولايات أيضا تقول (الصحيفة) مثلا :

" كاشان والحمد لله رعيتها مرفهة سعيدة بفضل الإهتمامات الكافية للحاكـــــم " فلان "ومشغولة بالدعاء ببقاء العمر والدولة الملكية ، الذرة والشعير متوفران وباقـــى السلع أيضا رخيصة الثمن ، اصفهان أيضا ،كرمان أيضا ، شيراز أيضا ، وقس على هـــذا البواقى .

وفى ضمن الأخبار الخارجية تتحدث عن جغرافية جزيرة "كوبا " (٣)

وبعد إطلاعه على الصحيفة ومابها من أخبار كاذبة فى الداخل وأخبار بعيـــدة عما يهم الناس فى الخارج يقول إبراهيم بك :

---

١) سياحتنامه ابراهيم بك : زين العابدين المراغى ، المجلد الأول ، ص ١٠٣
٢) المصدر السابق ص ١٠٨

" إن صراخ الناس في كل ولايات ايران من الظلم يصل الى السماء ، ويشهد هذا الظالم على عدالتهم ، أليس هناك أحد من المسلمين يسأل هذا الكاتب الصحفي الذى لا دين له : في حين لا يوجد في ايران كلها خمسة أشخاص يعرفون جغرافية وطنهم ويعلمون حدود وثغور البلاد الإيرانية ، فما الفائدة التى تعود عليهم من قراءة جغرافية " كوبا " وعدم فهمها ؟ بدلا من هذه الموضوعات العقيمة إكتب مقالات مفيدة شجع الرعية فيها على طاعة الملك وحث الملك على حب الرعية ، إكتب عن فضائل العدل ومفاسد الظلم . " (١)

والكاتب يقصد هنا الصحف الحكومية التى كانت تصدر داخل ايران ولا تضم إلا أخبار البلاط ورحلات الشاه للصيد ، أما الصحف القومية التى كانت تصدر خارج ايران فكانت تكتب عن الناس وتحاول تنويرهم وإيقاظهم على مقاومة الظلم .

ويكتب إبراهيم بك تفاصيل ما رآه في كل مدينة يزورها بإيجاز تحت عنوان "وهذا هو إجمال ذلك التفصيل " ، فيقول في مذكراته عن مدينة تهران :

"سلك الدولة أمامه تقويم ايران يبحث عن ساعة السعد في أى يوم للخروج للصيد ، كل الوزراء والأمراء والأعيان والموظفين يفكرون في الحصول على ألقاب جديدة لأنفسهم . فئة التجار أيضا لا تفكر أصلا في رقى التجارة وتوسيع دائرتها . " (٢)

ويختتم ابراهيم بك كل مذكرة يكتبها بعبارة " أموات ولكنهم أحياء ، أحياء ولكنهم أموات " . وحتى المساجد لم تسلم من الفوضى والإهمال ، مظهرها من الخارج يدل على

---

١) سياحتنامه ابراهيم بك : زين العابدين المراغى ، المجلد الأول ، ص ١٠٩
٢) المصدر نفسه ص ١١٩

الجلال ولكنها من الداخل تعانى الإهمال وعدم النظافة يقول إبراهيم بك :

" وذهبت الى " مسجد شاه " ، كان المسجد فى الحقيقة سامقا ، ولكن ما الفائدة وهو يبدو من الخارج عظيما وفى الداخل مضطرب أى إضطراب ، الحُصر فى كل مكان ممزقة ، و وضع حجران فى ركن منه ، وشخصان يكسران الجوز ويقشرون لبه ، وفى الناحية الأخرى جلس عدد من الأشخاص يأكلون الرمان ، وفى الركن الآخر يأكلون البطيخ ويلقون بقشره ولبه بشكل والعياذ بالله لايمكن لأى مسلم غيور أن يراه ويرى أوضاعه غير المقبولة ويمنع نفسه عن البكاء . وقلت لنفسى : يارب ، إن هنا معبد المسلمين ، هؤلاء الذين لايشعرون لماذا لايرعون حرمته ؟ إن هذا بيتك ، ويجب أن ينتشر شرف الإسلام من هنا ، وقد رأينا فى مصر واسلامبول مساجد وجوامع كلها مفروشة بالبسط الثمينة وتتصاعد من أرجائها الروائح الطيبة ، ويقوم عليها مؤذن وخدم كثيرون ، وفى الأوقات الخمسة يرتفع صوت الآذان المحمدى من كل المساجد ، فكيف تسمى المساجد هنا مسجدا ومعبدا أمام هذه ؟ " (١)

ويستمع ابراهيم بك الى قصيدة شعرية نظمها " شمس الشعراء " فى مدح أمير من الأمراء فيبدى ابراهيم بك رأيه فى الشعر وتملق الشعراء ونفاقهم وينتقد إستمرارهم فى التغنى بالبلبل والوردة والسروة ، " بدلا من خال الشفاه يجب التحدث عن الفحم المعدنى ، قصر الحديث عن القامة التى تشبه السرو والبقس وتحدث عن أشجار الجوز والصنوبر فى غابة مازندران ، تحدث عن معادن الفضة والحديد ، إطو بساط اللهو وأكثر من آلة نسج البسط ، إن اليوم هو حين الإنصات لصوت " صفير " القطار لاصوت عندليب الروضة ، دع الخمر المذهبة للعقل للساقى البذىء ، إنظم الشعر فى إنشاء مصنع للشمع الكافورى " . (٢)

---

١) سياحتنامه ابراهيم بك: زين العابدين المراغى ، المجلد الأول ، ص ١٢٠ ـ ١٢١

٢) المصدر نفسه ص ١٢٤

وفى إجماله لما رآه فى رحلته الى قزوين وماعرفه عن أهلها يقول :

" يشيع الحزن والغم فى كل أرجاء المدينة ، أهلها لاعلم لهم بالحياة الإنسانية من شدة ماإستقرت الخرافات والأوهام فى عروقهم وأعصابهم أصبحوا غافلين تماما عن أحوال زمانهم ، وضلوا عن كل عالم من عوالم التحضر ، لايحرص أحد منهم على زيادة الثروة العامة للوطن ولا علم لديهم بحب الوطن ، تجمد الدم فى عروقهم " أحياء لكنهم موتى موتى لكنهم أحياء ". (١)

ويرثى إبراهيم بك الشاه عباس الصفوى ويذكر بإنجازاته وإصلاحاته وماآلت إليه البلاد بعده من خراب وإنحطاط ، ويمتدح ميرزا تقى خان امير كبير الذى سعى سعيا جادا لإصلاح الدولة فيقول فى محاولة لتذكير الإيرانيين بأمجادهم القديمة ولإيقاظهم وحثهم على النهوض :

"أى نائب السلطنة عباس ميرزا ، لقد أحببت ايران ، أيها السيد الغيور العارف بالجميل لوطنك ، لم تنس ولن تنسى ، كنت تعيش عمرك على سرج جواد ، ولكن بعدك لم يتبع أحد أهدافك المقدسة ، لقد دفنت معك الغيرة والحمية وحب الوطن بموتك فصم ظهر ايران كقلوب الإيرانيين ، نحن والوطن كلانا شقينا ، ومامن أحد بعدك ضحى بروحه فداء لخدمة الوطن سوى خادمك ميرزا تقى خان ، أراد أن يصلح ماإنكسر فقيّد الخونة يديه وغسلوه غسل التوبة فى " حمام كاشان "(٢) ليخرس لسانه عن الحديث

---

١) سياحتنامه ابراهيم بك : زين العابدين المراغى ، المجلد الأول ، ص ١٢٧

٢) سجن يعذب فيه المعارضون والمتمردون فى العهد القاجارى وقد قتل فيه ميرزا تقى خان امير كبير ، الصدر الأعظم فى عهد ناصر الدين شاه .

عن تقدم ايران ويغمض عينيه عن كل شيء ، فتمت بذلك تعاسه ايران والإيرانيين" . (١)

ويذهب ابراهيم بك لزيارة مدينة " مراغه " فيرى مرضى الجذام فى الشـــوارع يتسولون بمرضهم المعدى دونما رعايـة أو معالجة أو إيواء :

"رأيت خمسة أو ستة أشخاص على رأس الطريق يتسولون ولكن عيونهـــــم وأفواههم كلهم معوجة وأفواههم وشفاههم متساقطة بشكل ـ والعياذ بالله ـ لايستطيـع الإنسان معه أن ينظر الى وجوههم ، فأعطيناهم شيئا ، وسألت الدليل من هـــؤلاء ؟ وماذا يفعلون هنا ؟ قال : إنهم مصابون بمرض الجذام طردوا من مساكنهم بسبب مرضهم حتى لايعدوا الآخرين وأسكنوهم هنا ، وأشار الى سفح تل فرأيت قرية صغيرة ، قال : كل السكان فيها مرضى بالجذام ، وبينهم من هم أغنياء وأصحاب أملاك أيضا ، أمـــا الفقراء منهم فيتناوب كل يوم خمسة أو ستة منهم الجلوس هنا ويطلبون الصدقة مـــن المسافرين" (٢)

وينتقد إبراهيم بك إدمان الأهالى فى " مراغه "للأفيون وإنتشاره بين الناس :

" والأسوأ من كل هذه الجهالات إنتشار المرض المستعصى " إدمان الأفيـــون" بين أهالى هذه الناحية ، فقد إبتلى عدد كبير من كل الطبقات بذلك المرض الصعـــب العلاج ." (٣)

ويبدى الكاتب رأيه هنا فى المذهب" البابى " و" الباب " صاحب الدعوة وقـــد تحدثنا عن الحركة البابية والمذبحة التى أقيمت لهم فى الباب الأول من هذا البحث،

---

١) سياحتنامه ابراهيم بك : زين العابدين المراغى ، جـ١ ، ص ١٣١
٢) المصدر نفسه ، ص ١٤٢.
٣) المصـــدر نفسه ، ص ١٤٨.

يقول إبراهيم بك :

" وكلما أمعن شخص النظر فى كتبه المذهبية لايجد إلا عدة ألفاظ مغلقة مبهمة عربية وفارسية مثل : أمر أعظم ، قلم عز ، جمال قدم ، هياكل مقدسة ، أغصان ، أفنان ، غصن أعظم ، وغيرها ، وفى شرائعهم أيضا على الرغم من أنهم أدركوا فسادها عدة مرات حتى الآن وغيروها إلا أننا نرى حتى اليوم أنها مزيج من شرائع " زرادشت " و" النصارى " و" مزدك " والملحدين ، تلك الشرائع التى تقوم أساسا على طلب الجاه والإلحاد والإباحية .

وهذا السيد أى زعيم البابيين قد إتخذ لنفسه هذا اللقب الرنان وإستقر فى ركن من بلاد غريبة وإتجه الى تخريب وطنه وسفك دماء أبناء وطنه ، وكل يوم يستولى على أموال مواطنيه السذج بكل مكر وتحايل بإسم الصدقات والنذور . " (١)

وينتقد الكاتب تلك الخرافات والمآسى التى تحدث فى " التعزية " الشيعية من ضرب الصدور والظهور بالسلاسل الحديدية والطعن بالمدى ويتساءل إبراهيم بك عن سبب عدم تدخل الحكومة لوقف هذه المراسم العنيفة فيجيبه أحد المدركين للأوضاع الفاسدة فى البلاد بأن الحكومة تسعد بتطاحن الشعب وإنشغاله بتوافه الأعمال والعادات :

" قلت : لماذا لاتتدخل الحكومة ؟ ، قال : رحم الله والديك ، إن الحكومة تدعوا لله ببقاء هذا الوضع لمجرد أن تشغل الأمة بنفسها ، وسياسة الحكومة تقتضى أن تظل الرعية فى صراع وتطاحن فلا تجد الفرصة للإتجاه إليها (٢) ولاتطلع على أوضاع عصرها ومتطلباته " .

---

١) سياحتنامه ابراهيم بك : زين العابدين المراغى ، المجلد الأول ، ص١٤٩

٢) المصدر نفسه ص ١٥٩

وكان فهم حاجى زين العابدين المراغى للأوضاع الإقتصادية من أهم النقاط الواردة فى الكتاب ، فهو يرى أن الإقتصاد الصناعى هو العنصر الفنى الحديث الذى يؤدى الى التقدم والإستقلال ويركز على أهمية إستخدام وإستثمار رأس المال الوطنى فى إقامة صناعة إنتاجية لدعم الإقتصاد القومى وصد النفوذ الإقتصادى الإستعمارى ، وكانت هذه المفاهيم ـ فى الحقيقة ـ موضع تأكيد من جانب كل التقدميين والمفكرين الإقتصاديين فى ذلك العهد ، يقول الكاتب على لسان إبراهيم بك :

" ماداموا يمتلكون الثروة لماذا لايشتركون ويقيمون مصنعا للنسيج فى وطنهم ليكفنوا موتاهم . أو ينشئون مصنعا لنسج الأقطان ، أو يصنعون الشمع الكافورى أو آلة صناعة السكر القوالب ، تلك الأشياء التى يستفيد منها أكثر من عشر قرى وأمثالها " . (١)

وينتقد الكاتب تجاهل الحكومة للإصلاحات الضرورية وعدم تقصى أسباب الإضطراب العام فيقول :

" ومما يدعوللأسف أنه ليس هناك أحد يبحث فى أسباب هذا الإضطراب ، إن ايران حين كان بها علم وفن وحضارة لم يكن لسكان الغرب أى نصيب من الحضارة والإنسانية إذن ماذا جرى الآن حتى إنقلبت الأوضاع ؟ ، وماالتعاسة التى حلت بهذه الأمة القديمة النجيبة حتى تحتاج فى كل حياتها الى الخارج وتصبح هدفا لضربات التسلط الأجنبى " . (٢)

ولايرى إبراهيم بك فى نهاية سياحته فى المدن الإيرانية إلا أربعة أشياء حسنة فقط : أولها : الروضة المطهرة لحضرة الإمام رضا (عليه السلام) ، وثانيها : منازل

---

١) سياحتنامه ابراهيم بك : زين العابدين المراغى ، المجلد الأول ، ص ١٧١

٢) المصدر السابق ص ١٩٦

القوافل وبعض الطرق المعبدة التى مدها الملك المغفور له شاه عباس الصفوى طيب الله ثراه ، وثالثها : وجود شخص عظيم عالم با لأمور مثل "الوجود المحترم" فى طهران ورابعها : دار الفنون ناصرى فى طهران والسلام." (١)

.. .. ..

---

١) سياحتنامه ابراهيم بك : زين العابدين المراغى ، المجلد ا لأول ، ص ٢٢٣

المجلدان الآخران من رواية " سياحتنامه ابراهيم بك " :

يختلف المجلدان الثانى والثالث من هذه الرواية إختلافا ملحوظا عن المجلد الأول ، ففى المجلد الثانى يختفى الأسلوب الإنتقادى التهكمى الذى تميز به المجلد الأول ، ويحل محله الحديث عن قصة الحب التى مر بها " إبراهيم بك " بطل الرواية و قصة مرضه الذى أصيب به إثر "ورطة ايران "فألقى الحزن ظلاله على كل المجلد الثانى . (١)

أما المجلد الثالث فيصبح الغرض الأصلى فيه ذا أهمية ثانوية ويتحول الكتاب الى مزيج من الحكم والأمثال ومبادىء الإمام على تليها قائمة من الأقوال المأثورة والأمثال الإيرانية ، وخمسون قاعدة للدولة ومقتطفات من الصحف الشهيرة فى ذلك الوقت ، وفى آخر الكتاب يورد فصلا مفصلا عن اليابان ونهضتها المفاجئة وخطاب من خطب الميكاد ويوضح هذا الفصل إهتمام الإيرانيين بإيقاظ بلادهم فى القرن التاسع عشر مقارنين تلك النهضة التى كان يمكن ـ فى ظنهم ـ أن تتحقق فى ايران بتلك التى تمت فى اليابان . (٢)

وعلى الرغم من أن هذا المجلد الثالث كان قد ظهر بعد قيام الثورة الدستورية التى إستطاعت أن تهىء مناخا مثاليا يمكن فيه مد الهدف الأصلى للرواية بل وتصعيد إتجاهها النقدى إلا أنه لم يصل حتى الى مستوى المجلد الأول .

.. .. ..

---

١) آرين پور (يحيى) : ازصبا تانيما ، جـ١ ، ص٣٠٨

٢) Kamshad (H.) : Modern Persian Prose literature,pp.19

البناء الأدبى لرواية "سياحتنامه إبراهيم بك" :

إن رواية " سياحتنامه إبراهيم بك " نقد مرير لمختلف مناحى الحياة فى ايران فى أواخر القرن التاسع عشر الميلادى ،وتعد صورة قاتمة لإيران فى ذلك العهد وقد تعمد الكاتب ذلك بهدف إثارة السخط ضد الفساد وإيقاظ الإيرانيين على الحقائق السيئة التى يعانى منها مجتمعهم ودفعهم الى القيام بالإصلاح .

وكانت إنتقادات المؤلف واقعية ومفهومة كما برهنت على الشعبية التى حققها العمل حين ظهوره ، بالإضافة الى رصانة الأسلوب الذى إستخدمه المؤلف فى كتابته ، وإقتراب لغته من لغة الحوار الجارى ، يقول "براون" عن الأسلوب المبسط السلس الذى إستخدمه زين العابدين المراغى فى كتابة هذه القصة :

" وكتب " سياحتنامه ابراهيم بك "برصانة وإجادة فى أسلوب بسيط لكنه قوى ولاأعرف كتابا أفضل منه لإفادة الدارس الذى يريد الحصول على معرفة تامة بالحديث الجارى وعلى فكرة عامة وإن كانت كئيبة بعض الشىء عن ايران " . (١)

وتعد هذه أول رواية إجتماعية أصيلة على الطراز الاوربى فى الفارسية شرحت حياة شعب ايران والأوضاع التى كانت قائمة فى ايران فى ذلك الوقت بصدق ودقة ، وإحتلت الشخصيات فى هذا العمل الدرجة الثانية من الأهمية إذ كان الهدف الأصلى للكاتب هو عرض وتصوير مشاهد من حياة الإيرانيين ومعارضة كل النواحى السيئة التى رآها البطل (٢) فى سياحته فى المدن الإيرانية . ولايعرف قيمة هذا الكتاب إلا من

---

(١) Browne(E.G.) : A literary history of Persia, Vol.4, pp. 480

(٢) آرين پور (يحيى) : از صبا تانيما ، جـ١ ، ص ٣١٠

قراءه فى عصره وأدرك الهزة التى أحدثها فى نفوس الإيرانيين. (١)

أثر الأسلوب البسيط القوى الذى إستخدمه المؤلف فى الجزء الأول على الجيل الحديث لكتاب النثر فى ايران ،فقد كان المؤلف من أوائل الكتاب الإيرانيين الذين إخترقوا الأسلوب التقليدى القديم وكتبوا باللغة الجارية وإستخدموا التعبير المحلى (٢) ، بالإضافة الى الجرأة التى تميزت بها الأفكار والموضوعات المطروحة بالكتاب يقول فريدون آدميت "إن قصة أبراهيم بك" تتجاوز حدود فكر تاجر تقدمى وتصل فى بعض المسائل (وبعض المسائل فقط) الى درجة الفكر الراديكالى". (٣)

ولكن يؤخذ على المجلدين الآخرين من هذه الرواية الإطناب وبطء الأحداث بالنسبة للجزء الأول ويختلف الأسلوب بين المجلدين الثانى والثالث وبين المجلد الأول حتى قال بعض الناس إن الجزء الأول لايمكن أن يكون نتاج قلم تاجر بسيط وزعموا أن الجزء الأول كتبه "ميرزا مهديخان" (وهو أحد محررى صحيفة اختر (٤)) وطبعه ،وبعد وفاته كتب حاجى زين العابدين المراغى جزئيه الثانى والثالث وسماه كله بإسمه والدليل الذى يوردونه لزعمهم هذا هو أن أسلوب الجزء الأول يشبه أسلوب مقالات "اختر" الى حد كبير، لكن هذه المزاعم مرفوضة - فى رأى كسروى - فإذا كان هناك إختلاف بين الجزء الأول والجزئين الآخرين فإنه يحدث فى كثير من الكتب ألا تخرج كل الأجزاء على وتيرة واحدة ومايمكن قوله هو أنه ربما ساعد المؤلف فى كتابة

---

١) كسروى (احمد) : تاريخ مشروطه ايران جـ١ ، ص٤٥

٢) Kamshad (H.): Modern Persian Prose literature, pp.19

٣) آدميت (فريدون) : ايديولوژى نهضت مشروطيت ايران ، ص٨٥

٤) كسروى (احمد) : تاريخ مشروطه ايران جـ١ ، ص ٤٥

الجزء الأول ميرزا مهديخان أو كاتب آخر ، وهذا لايقلل من قيمة مجهودات حاجي زين العابدين ، فلو إعتبرنا أن طبع هذا الكتاب ونشره قد تم على يد حاجي زين العابدين فعلينا أن نقدره حق قدره ، فطبع مثل هذا الكتاب في ذلك العهد كان يمكن أن يودي بحياة الناشر . (١)

ويقال أن كتابات "زين العابدين" النثرية تعاني من تأثير تركي يرجع الى طول إقامته في الدولة العثمانية (٢) ويرى كل من "استعلامي" و"آرين پور" أن هذه الرواية تشبه رواية "النفوس الميتة" تأليف "نيكو لاجو جول" الكاتب الروسي الشهير ، وأنه لايمكن تصور أن حاجي زين العابدين كان قد إطلع على مسودة الكاتب الروسي لكن المؤكد أن المؤلفات الروسية قد أثرت الى حد بعيد ولها دخل كبير في تأليف هذا الكتاب وتعلم الكاتب منها أسلوب إنتقاد الحياة القومية وإظهار عيوب المجتمع وتصوير أوضاع العصر (٣) ، على كل حال فقد وفق "حاجي زين العابدين" في تصوير السلبيات التي كانت موجودة في مجتمع ايران بالفعل وكان لكتابه تأثير قوي على الأحداث اللاحقة في البلاد ويمكن القول أنه كان من عوامل قيام الثورة الدستورية .

.. .. ..

---

١) كسروي (احمد) : تاريخ مشروطه ايران جـ١ ، ص ٤٦

٢) آرين پور (يحيى) : از صبا تانيما جـ١ ص ٣١١ و
Kamshad(H.): Modern Persian Prose literature, pp.19

٣) آرين پور (يحيى) : از صبا تانيما جـ١ ، ص ٣١٠
واستعلامي (محمد) : ادبيات دوره بيداري ومعاصر ص ٦٣

الفصل الرابع

حاجي عبد الرحيم طالبوف

نبذة عن حياة عبد الرحيم تبريزى (طالبـزاده) :

ولد عبدالرحيم بن أبى طالب نجارزاده الشهير " بطالبوف " فى حى " سرخاب " بمدينة تبريز عام ٢٥٠ اهـ.ق/٨٣٣ م [١] من أب يسمى " أبو طالب " وهو نجـار تبريزى فقير ، وفى سن السادسة عشرة رحل من تبريز الى تفليس التى كانت ملاذ اللاجئين فى ذلك الوقت ، وعمل بالتجارة ودرس اللغة الروسية وآدابها واطلع من خلال اللغـة الروسية على العلوم الطبيعية الحديثة وإنجازات الحضارة الأوربية الحديثة [٢] ، وفـى ذلك الوقت كان هناك عدد كبير من المهاجرين الإيرانيين فى القوقاز ، واشتهـر عبدالرحيم تبريزى فيما بينهم بإسم " حاجى عبد الرحيم طالبوف " [٣] . وعرف لـدى حكام روسيا وعلمائها بالإخلاص والصدق . [٤]

وبعد فترة من الزمن رحل حاجى عبد الرحيم من تفليس الى " ولاد يقفقـاز " وأقام فى "تميرخان شورا " [٥] مركز حكومة داغستان ، وعاش فيها حتى توفى عـام ٣٢٨ اهـ.ق/٩١٠ م ، وكان القوميون والمستنيرون الإيرانيون فى أواسط عهـد

---

١) آرين پور (يحيى) : از صبا تانيما جـ١ ، ص ٢٨٧

٢) Kamshad (H.): Modern Persian Prose literature, pp.14

٣) "اوف" فى اللغة الروسية لاحقة تعنى " ابن " وقد إستبدلها طالبوف فى أواخـر حياته باللاحقة الفارسية " زاده " وأصبح إسمه طالبزاده .

٤) آرين پور (يحيى) : از صبا تانيما ، جـ١ ، ص ٢٨٧

٥) تميرخان شورا : هى "بونياكسك " الحالية داخل الأراضى السوفيتية .

ناصر الدين شاه قدهبوا من أجل إقرار الدستور والحرية داخل ايران وخارجهـــا وشارك طالبوف الذى كان قد تثقف بالثقافة الروسية وأصبح له أسلوب إنشائى جيد فى التمهيد للثورة وإيقاظ الشعب عن طريق القلم وأخذ فى تعريف الشعب بمساوىء الحكم الإستبدادى وتخلف ايران وضرورة إقرار الدستور. (١)

وبعد إقرار الدستور وإفتتاح أول "مجلس" إنتخبه أهالى تبريز لتمثيلهم فـــى هذا المجلس إلا أنه لم يذهب الى تهران (٢) رغم موافقته على تمثيل أهالى تبريـــز، وهناك آراء مختلفة فى صدد عدم ذهاب طالبزاده (كما سمى نفسه مؤخرا) لنيابـة المجلس فيرى "إسماعيل يكانى" أنه لما كانت له صداقة وطيدة بميرزا علـى أصغر خـان الأتابك الذى كان هدفا لسخط القوميين وخاصة ممثلى آذربيجان فقد أحجم طالبـــزاده عن الذهب الى تهران حتى لايشارك فى حملة العداء ضد الأتابك، ويرى كل من "صـادق صادق مستشار الدولة" و"تقى زاده" أن سبب عدم حضور طالبزاده الى تهران لتمثيل أهالى تبريز فى أول مجلس هو ضعف صحته وشيخوخته وضعف بصره (٣)، ويرى آرين پور أن طالبزاده رغم أنه كان تحرريا ثوريا كان يرى أن الدستور والحرية ضرورتان لايران إلا أنه لم يكن راضيا عن الصراع بين الشاه والمجلس والإضطرابات التى سادت بيـــن الوطنيين وقادة الأمة إبان الثورة الدستورية. (٤)

---

١) ملكزاده (مهدى): انقلاب مشروطيت ايران جـ١، ص ٢٣٥، وآريـــن پور: ازصبا تانيما، جـ١، ص ٢٨٧.

٢) Rypka (Jan): A history of Iranian literature, pp. 343

٣) نقلت هذه الآراء عن كتاب "ازصبا تانيما": يحيى آرين پور، جـ١، ص ٢٨٧

٤) آرين پور (يحيى): ازصبا تانيما، جـ ١، ص ٢٨٨

أدان بعض الملات طالبزاده ومنعوا الناس من قراءة مؤلفاته ، فكفره "حاجى شيخ فضل الله" الذى كان على رأس جماعة الملات المناهضين للدستور واتهمه بالإلحاد وأعلن أن مؤلفاته مخالفة للشرع الإسلامى (١) ، ورغم ذلك وجدت مؤلفات طالبزاده شعبية كبيرة بين الإيرانيين (٢) ، وساهمت فى تعريفهم بمزايا الحرية والقانون .

لم يكن طالبزاده يؤمن بالخرافات التى علقت بالدين الإسلامى (٣) ، وقد أعلن ذلك فى كتاباته صراحة وتلميحا ، ومن المرجح أن هؤلاء الملات المناهضين للدستور قد أساءوا فهم آرائه وهاجموه ورموه بالإلحاد دون تفهم لما يقصده ، فكان عبدالرحيم طالبزاده - كما يرى آرين پور وكسروى (٤) ، مسلما وأدى فريضة الحج ولم يكن ملحدا .

رأى طالبزاده فى الدستور والحرية :

جاهد حاجى عبدالرحيم طالبزاده فى سبيل إيقاظ الشعب الإيرانى على مزايا الحرية والدستور وكان يرى أن الحرية والدستور ضروريان لإيران ولكن بشرط ألا تكون هذه الحرية مطلقة بلا حدود بحيث تفرز مشاكل جديدة أخرى ، وقد دوّن نظرياته فى الحرية ومفهومها وفى الحكم الدستورى فى رسالته "ايضاحات در خصوص آزادى "

---

١) كسروى (احمد) : تاريخ مشروطه ايران جـ١ ، ص٤٤ ، وملكزاده (مهدى) : انقلاب مشروطيت ايران ، جـ١ ، ص ٢٣٥

٢) Kamshad(H.): Modern Persian Prose literature,pp.14

٣) كسروى (احمد) : تاريخ مشروطه ايران جـ١ ، ص٤٤ ، وملكزاده (مهدى) : انقلاب مشروطيت ايران ، جـ١ ، ص٢٣٥ .

٤) ارين پور (يحيى) : از صبا تانيما ، جـ١ ، ص٢٨٨ ، وأحمد كسروى : تاريخ مشروطه ايران جـ١ ، ص٤٤

وفى كتابه " مسائل الحيات" الذى سنتناوله فيما بعد ، وكان يركز فى كتاباته القومية على التنبيه الى أن الحرية المطلقة لاتفيد .

جاهد طالبزاده أيضا من أجل تأسيس المدارس الحديثة التى إعتبرها من أسس إيقاظ الشعب وتنويره ، وقد أسس طالبزاده مدرسة لتعليم الإيرانيين فى " بادكوبه " عام ١٣١٩ هـ.ق / ١٩٠٣ م بمساعدة " ملك المتكلمين " حين كان فى طريقه من بادكوبه الى أوربا . (١)

مؤلفات طالبزاده :

كتب عبدالرحيم طالبزاده مؤلفات عديدة باللغة الفارسية ناقش فيها الموضوعات الإجتماعية والسياسية والعلمية . وكان أول من قدم العلم الحديث للإيرانيين فى نثر فارسى بسيط سلس وفى لغة يفهمها الأطفال ، ومؤلفاته هى :

(١) مسالك المحسنين : وهو كتاب رحلات خيالية مزود بالصور وطبع عام ١٣٢٣ هـ/ ١٩٠٥ م بالقاهرة ، يصف هذا الكتاب رحلة قامت بها مجموعة من الأفراد الى قمة جبل دماوند ، ويدور الحديث فى هذا الكتاب فى قالب قصصى .

(٢) مسائل الحيات: كتبه طالبزاده بعد " مسالك المحسنين " وطبع فى تفليس عام ١٣٢٤ هـ/ ١٩٠٦ م ، وسنتناوله بالدراسة فيما بعد .

(٣) سفينه طالبى ياكتاب احمد : ويناقش فيه مختلف الموضوعات العلمية والإختراعات الأوربية الحديثة ، وسنتناوله بالدراسة فيما بعد .

(٤) نخبه سپهرى : وهو عبارة عن خلاصة أحوال الرسول (صلى الله عليه وسلم) وطبع لأول مرة فى اسلامبول عام ١٣١٠ هـ/ ١٨٩٣ م ، ولثانى مرة فى تهران عام ١٣٢٢ هـ/ ١٩٠٤ م .

---

١)على اكبر دهخدا : لغت نامه حرف "ط"

(٥) رسالة فيزيك: طبع عام ١٣١١هـ/ ٨٩٤م في اسلامبول وهو يعطي معلومات موجزة عن علم الطبيعة. (١)

(٦) ايضاحات درخصوص آزادى : وهى رسالة كتبها طالبزاده عن الحرية ومفهومها ، ونشرت عام ١٣٢٤هـ/ ٩٠٦م وتشتمل على الأبواب الآتية :

في بحث معنى الحرية ـ في بيان مجلس الشورى القومى ـ في فوائد مجلس الشورى القومى ـ في مهمة نواب الأمة ـ في بيان معنى الأمة ومهمتها ـ في بيان القوانين في ايران ـ في بيان الضرائب ـ في بيان الدستور. (٢)

(٧) سياست طالبى : وهو آخر كتاب ألفه طالبزاده، وطبع بعد وفاته في تهران عام ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م وهو في مقالتين . (٣)

والى جانب مؤلفاته هذه ترجم طالبزاده بعض المؤلفات الروسية الى الفارسية وترجم أيضا الى الفارسية بعض الأعمال المترجمة عن اللغات الأوربية الأخرى الى الروسية وترجماته هى :

(١) پندنامه ماركوس قيصر روم : وهو تأملات " ماركو أوريل انتانيس" التى ترجمها طالبزاده الى الفارسية عن النسخة الروسية التى ترجمها الأمير "اوروزوف " عن اللغة اليونانية، وطبع هذا الكتاب في مطبعة صحيفة " اختر "بإسلامبول وتاريخ طبعه غير محدد . (٤)

---

١) آرين پور (يحيى) : از صباتانيما، ج١ ، ص٢٨٨
٢) على اكبر دهخدا : لغت نامه ، حرف " ط"
٣) المصدر السابق ، حرف "ط"
٤) المصدر السابق ، حرف "ط"

(٢) رسالة هيئت جديده : وهو ترجمة لكتاب " كاميل فلا ماريون " العالم الفرنسى وقد ترجمه طالبزاده الى الفارسية عن النسخة التى ترجمها "تشاركسوف" من الفرنسية الى الروسية ، وطبع فى مطبعة " اختر " بإسلامبول عام ١٣١٢ هـ / ١٨٩٥ م [١] وكتب طالبزاده أيضا عدة مقالات نشرت فى الصحف القومية فى ذلك العهد مثل " انجمن " و" حبل المتين " وغيرها ، وسنقصر حديثنا هنا على كتابيه " سفينهء طالبى " و" مسائل الحيات " وهما ماتيسر لى الحصول عليهما من كتاباته .

سفينهء طالبى ياكتاب احمد :

نتناول هذا الكتاب بالبحث هنا لما يتميز بهكأول كتاب يقدم العلم الحديث للإيرانيين بلغة مبسطة مفهمة وأدبية فى نفس الوقت.

يقع هذا الكتاب فى مجلدين، طبع الأول عام ١٣١١ هـ . والثانى عام ١٣١٢ هـ . بإسلامبول ويشرح فيه طالبزاده العلوم الأوربية والإختراعات والآلات والأجهزة الحديثة التى إطلع عليها من خلال الكتب الروسية التى كان يطالعها والتى شكلت ثقافته العلمية. فيعرّف الجيل الإيرانى الجديد ببرج ايفل بباريس وآلة التصوير وطبقات الأرض والجو وأنواع الأشجار وتحديد المكان عن طريق البوصلة ، وإختراع الآلة البخارية وغير ذلك من إنجازات الحضارة الأوربية الحديثة .

وكتب طالبزاده هذا الكتاب على شكل أحاديث بين أب وابنه الخيالى أحمد الذى يبلغ السابعة من عمره ولكن لديه إستعدادات ومواهب عديدة [٢] ، والكتاب

---

١) على اكبر دهخدا : لغت نامه حرف "ط"
٢) سفينهء طالبى باكتاب احمد : المقدمة ، طبعة اسلامبول ١٣١٩

عبارة عن ثمانية عشر حديثا ، ودائما مايبدأ بعبارة "احمد گفت :"آقا ، مگر ...؟" حينئذ يأخذ الأب بطرف الحديث ويبدأ فى الكتابة عن الموضوعات العلمية المختلفة التى إكتسبها من الثقافة الروسية.

ونلقى الضوء هنا على بعض الأفكار الهامة التى تناولها طالبزاده فى كتابه هـذا بشىء من الإيجاز.

يتحدث الكاتب فى الحديث الأول عن معنى العبادة وتحديد موقع مكة والكعبة قبلة المسلمين وتاريخ بنائها ، ثم يعرف بأهم الأديان فى العالم فيقول :

"قال أحمد : هل هناك دين آخر غير الاسلام ؟ قلت: إذا أحصينا أديـان سكان الأرض لوجدناها تتجاوز المائة ، لكن الأديان الرئيسية أربعة ، أولها الإسـلام وإله معتنقيه واحد ونبيهم محمد (صلى الله عليه وسلم) وكتابهم القرآن ، والثانـى دين اليهود وإلههم واحد ونبيهم موسى وكتابهم التوراة ، والثالث دين النصـارى الذين يعتبرون الإله الواحد ذى صور ثلاث ويقولون بأن عيسى إبن الله وكتبهـم المنزلة هى الأناجيل الأربعة ، والرابع دين عبدة الأوثان وآلهتهم أحيانا إثنـان وأحيانا متعددون ، وكتبهم بعدد آلهتهم ودينهم أدنى وأقدم أديان العالم" . (١)

ويناقشه أحمد فى تعدد اللغات التى يتحدث بها أهل العالم وفى اللغـة التى نزل بها القرآن الكريم فيتحدث المؤلف عن اللغات الرئيسية فى العالـم وتصنيفها :

" قال أحمد : سيدى ، لقد قلت أن القرآن هو الكتاب السماوى للمسلمين ، فبأى لغة كتب قرآننا ؟ قلت: بلغة العرب . قال : وهل لغة العرب غير لغتنا ؟ قلـت :

---

١) سفينه ، طالبى ياكتاب احمد : المقدمة ، طبعة اسلامبول ص ٦ صحبت (١)

إذا أحصينا لغات العالم وجدناها أكثر من دياناتهم ، لكن اللغات ذات العلوم والآداب هي العربية والفارسية والتركية واللاتينية واليونانية والفرنسية والنمساوية والإنجليزية والروسية ، وما تزيد محسناتها من هذه اللغات هي العربية والفرنسية وماتزيد عيوبها هي الفارسية والتركية ." (١)

وينتقد الكاتب من حين الى آخر بعض أوجه التخلف في ايران في ذلك العهد والعادات والخرافات المرفوضة ويركز نقده على نظم التعليم المختلفة وصعوبة الأبجدية الفارسية التي إعتبرها من أسباب تخلف ايران :

" قلت: يانور عيني ، إن موعد تعليمك لم يحن بعد ، لو كان الشيخ محمود كمعلمي سائر كتاتيب الأمم على الأرض قد أتم تعليمه واجتاز الإختبار كمعلم ، ولو كان جهازنا التعليمي مثل الأجهزة التعليمية في الدول المتحضرة ، ولو كانت أبجديتنا في عشر سهولة أبجدية الآخرين لوافقت على أن تذهب الى الكتاب وتتعلم ، إلا أن أبجديتنا صعبة وأوضاع تعليمنا غير منتظمة بدرجة تجعلني لا أسمح لك بالإلتحاق بالكتاب لثلاث سنوات أخرى."

" إن الأطفال في سائر أمم الأرض يتعلمون أحرف لغتهم بلعبة حتى يحين موعد إلتحاقهم بالكتاب فيتعلمون الكتابة والقراءة بمنتهى السهولة ، على عكس أطفال وطننا الذين لايستطيعون قراءة كلمة واحدة بعد خمس سنوات بسبب صعوبة أبجديتنا ياحسرة فإن كبارنا لايولون مقدار ذرة من العناية لإصلاح عيوب هذه المشكلة الهامة التي تعد روح تقدم الأمة وحصن حماية بيضة الإسلام ولايعتبرونها جديرة بالتذكر." (٢)

---

١) سفينهٔ طالبي ياكتاب احمد : عبدالرحيم طالبزاده ، طبعة اسلامبول ١٣١٩ ، ص ٧ ، ٨ .

٢) نفس المصدر ص ١٠ ، ١١

وقد إنتقد الكاتب صعوبة الأبجدية الفارسية ولكنه لم يكن من الداعين الى الأبجدية اللاتينية ولم تكن له محاولات لتقديم أبجدية من إبتكاره كما فعل بعض الكتاب الآخرين.

ويعرف الكاتب إبنه بشهور السنة الهجرية وعيد الأضحى فى الحديث الأول الذى خصصه الكاتب لشرح معنى العبادة وبعض المعلومات الإسلامية العامة:

" قال أحمد : إن كل يوم من أيامنا له إسم خاص فلابد أن لكل شهر من شهورنا إسم معين أيضا ، قلت: هذا صحيح ، كانت أسماء شهورنا قبل الإسلام غير ذلك ، ولكن بعد الإسلام فمن محرم الذى يعد غرة السنة القمرية حتى ذى الحجة إثنا عشر شهرا ، قال أحمد : وهل شهر الأضحية داخل فى الشهور الإسلامية أيضا ؟ قلت: ذو الحجة والأضحى كلاهما واحد ، ففى العاشر من ذى الحجة يذبح المسلمون حيوانا ويوزعون لحمه على الفقراء كأضحية لهذا عرف ذى الحجة على لسان العامة بشهر الأضحية" . (١)

ويشرح المؤلف الموضوعات العلمية بأسلوب مبسط وبلغة مفهومة للأطفال ، فيقول عن صناعة الجرافيت الذى يصنع منه القلم الرصاص:

" قلت : إن الشىء الذى يشبه الرصاص والمحاط بالخشب هو الجرافيت ، كان الأوائل يظنون الجرافيت رصاصا سهوا ، وعرف فيما بعد أنه نوع من الفحم الحجرى الذى يشبه الرصاص فى شفافيته ، والجرافيت فى حالته الطبيعية ـ أى حين يستخلص من المعدن ـ يكون له لون أزرق به حمرة ورقيقا سريع التهشم ، وكانوا فى الماضى يقطعونه على نفس حالته التى يستخرجونه عليها

---

١) سفينهء طالبى ياكتاب احمد : عبد الرحيم طالبزاده ، طبعة اسلامبول، ١٣١٩ ص ٩

بسمك إبرة غليظة ويضعونه بين خشب من نوع خشب شجر البقس وينحتونه كالقلم ويكتبون به ، أما الآن فهم يطحنون الجرافيت كالكحل العيون ويخمرونه في فرن مشتعل وبعد طبخه يغلف في خشب من خشب البقس " (١)

وينتقد المؤلف جهل الإيرانيين بتاريخ بلادهم ويبشر بحلول عهد تتعدد فيه المدارس وتنتشر فيه المطابع والكتب ودراسة العلوم فيقول :

" لايطلع واحد في الألف في وطننا على تاريخ بلاده ، ولن يمر زمن طويل حتى تشع أنوار المعرفة على بلادنا وتفتح الكتاتيب العديدة في كل حي ، وتقام المطابع الكثيرة وتنتشر كتب التاريخ والعلوم الغزيرة وتختفي كتب الأساطير الرائجة الآن ، وحينئذ سيجد كل شخص ضالته " . (٢)

ويتحدث المؤلف في بعض مواضع من الكتاب عن موضوعات علمية تفوق قدرة طفل في السابعة من عمره عن إدراكها ، وقد إنتبه المؤلف الى هذه النقطة فحاول أحيانا أن يذكر العبارات التي تعود بالحديث بين الأب وإبنه الصغير الى المستوى الطبيعي فيقول مثلا :

" إنتهيت من الحديث وقام أحمد من أمامي متأملا مبهورا ومضى ، فأحسست بالخجل ، لماذا أتحدث بهذا الحديث مع طفل لايملك القدرة على إدراك مثل هذه الموضوعات " . (٣)

ويشرح المؤلف تاريخ تطور رسم الخرائط وفائدة علم الجغرافيا :

" إن الخريطة هي الرسم المحدد لأحوال سطح الأرض ، وقد رسم "هرمس"

---

١) سفينه طالبي ياكتاب أحمد : عبدالرحيم طالبزاده . طبعة اسلامبول ١٣١٩ ص ١
٢) نفس المصدر ص ٢٧
٣) نفس المصدر ص ٥٩

الحكيم المصرى أول خريطة قبل ثلاثمائة وألف سنة من ميلاد المسيح وقدمها للملك العظيم (سيزوستريس) لتوضيح إتساع الأراضى والبلاد التى كانت تحت سيطرته ، ثم ظهرت أصول علم الجغرافيا شيئا فشيئا ، وبذلت المجهودات لتطوير هذا العلم النافع حتى رسمت الخريطة ذات المقياس ، بمعنى أن تكون المسافة بين كل نقطة وأخرى — والتى تحدد على الخريطة — مطابقة للمسافة الحقيقية الفاصلة بينهما ." (١)

ويشرح الكاتب أيضا تركيب الأجسام وأنواعها وماهية كل منها :

" يجب أن تعرف أن جميع الأجسام السائلة وغير السائلة الموجودة فى العالم كلها مركبة من ذرات وتشترك كل ذرة جزئية مع هيئتها الكلية فى الخواص ويتفاوت تماسك هذه الذرات فى الأجسام بين الشدة والضعف ، ومن نفس هذا التفاوت يتضح الفارق بين الجسم السائل وغير السائل ، فكل جسم يكون تماسك ذراته الجزيئية ضعيفا يكون سائلا ، أى أنه لضعف تماسكه لايقدر على مواجهة النفوذ الخارجى فهو غير مستقل ، فإذا لم يكن فى وعاء أو حائل ينساب ويتعدم ، ومن ثم ليست له صورة خاصة ، بل يقبل دائما صورة الوعاء الذى يحتويه . فهو فى الكوب يتخذ شكل كوب ، وفى الفنجان يتخذ هيئة فنجان ، على عكس الأجسام غير السائلة المستقلة التى لها جميعا صور خاصة بها . " (٢)

وفى الحديث الرابع عشر يتحدث الكاتب عن الجيش والأسلحة الحربية وواجبات الضباط والعسكريين ، ويصف بعض التطورات التى لحقت بالأسلحة الثقيلة فى أوربا ،

---

١) سفينه ، طالبى ياكتاب احمد : عبدالرحيم طالبزاده ، طبعة اسلامبول ، ١٣١٩ ص ٢١

٢) نفس المصدر ص ١١٥

وفى خلال حديثه هذا ينتقد أوضاع الجيش الإيرانى وتوارث المناصب العسكرية بغض النظر عن الكفاءة والمقدرة الذاتية :

"قال أحمد : سيدى ، إن إبن حبيب الله خان جارنا فى سن محمود ولم يلتحق بالكتاب أيضا ومع ذلك يرتدى زى عقيد ، قلت : يانور عينى ، إن هذه القواعد قائمة فى الدول المجاورة لنا أما فى وطننا فمازالت المناصب وراثية ، كل من توافيه المنية يحل إبنه محله ، فهناك عميد فى الخامسة عشر أيضا ، لهذا أصدر جناب ناصر الدين شاه بعد عودته من رحلة الى أوربا أمرا بتغيير هذه الأوضاع المرفوضة ووقف الحصول على المناصب والرتب العسكرية على العلم والكفاءة الشخصية لا بالفخار الموروث." (١)

ويعرف الكاتب بالفونوغراف الذى كان حديث عهد فى ذلك الوقت ، ويعرف بتصميماته العديدة وتركيبته الهندسية :

"وفى جوفه الآلة التى إخترعها (ايديسون) الأمريكى الشهير منذ فترة ، وإسمها "كاتب الصوت" (الفونوغراف) ، يحبأ فيها الصوت ، وينفس هذه الآلة تتكرر الكلمات المحفوظة فى كل مكان وأمام كل شخص ، وهذه الآلة التى إكتملت فى عام (١٨٨٨) أى منذ أربع سنوات لها نظامان ، أحدهما غاية فى التعقد وقديم التصميم ، والآخر تصميم حديث وبسيط للغاية وسهل وعجيب ويدعو للحيرة ، فلنصرف النظر عن التصميم الأول ، وأعرفك بإيجاز على التصميم الآخر الذى يحتويه الصندوق ، وأعرض صورته عليك لتشاهده ، أنظر ، هذا البوق كلما تحدثت تحركت الستارة الرقيقة فى مقطعه ، وتلصق

---

(١) سفينه طالبى ياكتاب احمد : عبد الرحيم طالبزاده ، طبعة اسلامبول ، ١٣١٩ ص ١٤٦

الإبرة الصغيرة — التى هى فى تصميم وقدر سن مشط والمتصلة بالستارة الرقيقة — نفس الحركات على وجه الأسطوانة المعدنية الملتصقة بالماسورة الحديدية وينبغى أن تدور بواسطة آداة دوارة وقت التحدث أو الغناء وأن تنقش علامات خاصة مرئية ومن أجل أن يتسع مجال جديد فى الأسطوانة لنقوش الإبرة حسب إستمرار التحدث تملأ الماسورة الحديدية ذات الأسطوانة بآداة خاصة لها مفتاح كالساعة. وهى فى حالة قهقرية وحين يصمت المتحدث توقف العجلة ويرجع بالماسورة ذات الأسطوانة الى نقطة البداية". (١)

ويتناول الكاتب خلال حديثه العلمى صفات بعض الحيوانات والحشرات ويشرح خصائص بعض منها ويصحح لإبنه الصغير بعض المعلومات التى شاعت خطأ عن بعض أنواع الكائنات :

"قال أحمد : سيدى، إن العقرب أقرب شبها بسرطان البحر، فمن المؤكد أنه يسبح فى الماء مثل سرطان البحر، قلت : هذا صحيح فالعقرب يشبه سرطان البحر للوهلة الأولى، إلا أنه لاينتمى الى فصيلة سرطان البحر ولايعرف السباحة، فترتيب فصائل الحيوانات لايعتمد على الشكل الظاهرى فقط بل على تكوينها الجسدى فالعقرب يعتبر من فصيلة العناكب".

"قال أحمد : إن العقرب أعمى فكيف يرى ليغرس إبرته فى مكان ما ؟ قلت إن عمى العقرب فكرة خاطئة، فالعقرب ستة عيون وثمانية أرجل وفم واحد، ورأسه من أعلى قطعتان وطولية وله فى المقطع الواحد أو فى نهاية رأسه مايشبه الكلابتين يصيد بهما فرائسه". (٢)

---

١) سفينة طالبى ياكتاب احمد : عبدالرحيم طالبزاده، طبعة اسلامبول ١٣١٩ ص ١٦٠

٢) نفس المصدر ص ١٧٤، ١٧٥

ويتحدث الكاتب عن مزايا القطارات وسرعتها فى قطع المسافات وتوفير الوقت واختراع المحرك الكهربائى :

"إستبدل المحرك البخارى بالمحرك الكهربائى ، ويمتد هذا الشكل من الطرق فى أراضى ايطاليا وفرنسا وإنجلترا فى خطوط ممتدة وتعمل منذ فترة ، وبجهد علماء الصناعة صنع هذا الخط فى تمام الجودة والكمال ، فقد راعوا فى جميع النقاط والجزئيات السهولة وسرعة السفر وراحة المسافر ، فعربة الغذاء ملحقة بالقطار ، ويمكن إرسال البرقيات على طول الطريق الى كل دول الأرض دون التحرك من مكان الجلوس ، والمكتبة وهى عبارة عن عربة جميلة تضاء فى الليل بمصباح كهربى ومزودة بألفى كتاب من المؤلفات الحديثة النافعة فى كل قطار ، وعربة الحمام مهيأة بالماء الدافئ والبارد فى كل قطار حتى لاتتعطل عملية الإستحمام أثناء الحركة فالغسل من القواعد الهامة المستحبة فى الإسلام . ومن عربات المسجد بقطارات هذا الطريق صنع نوع يكون وجه المصلى فيه نحو القبلة حيثما ذهب القطار وفى أى إتجاه ، وتعرف مزية الخط الكهربائى عن الخط البخارى من تطبيق وتصور قوة الكهرباء والبخار ، فيمكن بالخط الكهربى طى مسافة ثلاثين فرسخا فى الساعة ، أما بالخط البخارى فثمانية عشر فرسخا على الأكثر ." (١)

ويذكر المؤلف القراء بما حققه الشاه عباس من إنجازات فى مجال رصف الطرق والنقل ، ونرى الإشادة بإنجازات الشاه عباس الصفوى فى معظم الكتابات القومية فى ذلك العهد ، فقد مرت بنا إشادة حاجى زين العابدين المراغى فى كتابه "سياحتنامه" ابراهيم بك " بذلك الشاه وخدماته للقوافل والنقل فى ايران ، يقول طالبزاده :

---

١) سفينه طالبى ياكتاب احمد : عبدالرحيم طالبزاده ، طبعه اسلامبول ، ١٣١٩ ص ١٧٩

" وعبّد الشاه عباس الصفوى الكبير طرقا مستوية ممهدة خلال الجبال الشامخة والمعابر الوعرة ، ومازال هناك الكثير من منازل القوافل والمعابر الخربة فى بلادنا فيما عدا بعض علامات الطرق التى تم بكل وضوح عن الكفاءة الخارقة التى تمتع بها ذلك الشاه العظيم العالم . " (١)

ويتحدث عن مزايا إختراع المحرك البخارى والفوائد التى عاد بها على التجارة ونقل البضائع وتوفيره لوقت الدولة وأموالها :

" مع بذل كل هذه المساعى الجميلة إلا أن عمل وسائل النقل وهى معنى وروح زيادة وازدهار التجارة ظل نسبيا وليس قويا حتى ظهر المحرك البخارى ، وظهرت الخطوط الحديدية وأصبح واضحا كالشمس فى كبد السماء لكل عالم وجاهل أن روح ثروة الأمة فى التجارة وتسويق منتجات الصانع المحلية وأن جميع الأمور المتعلقة بوضع الوطن وكيانه ترتبط بالمحافظة على الوقت وعدم إهداره ، فكل دقيقة وقت لها قيمة خاصة . " (٢)

ويؤكد طالبزاده على قيمة الوقت وأهميته فى تقدم الشعوب والأمم ، وما يمكن أن يحققه الإنسان إذا أحسن إستثمار الوقت فيما يفيد وطنه والإنسانية :

" ومن نتائج إدراك هذه الحقيقة البسيطة (أى القيمة العالية للوقت) إكتشاف قوة البخار وسائر الإكتشافات والإختراعات الإنسانية التى تفوق التصور والتى نشاهدها رأى العين ، ومازالت النتيجة الكلية لهذه الحقيقة البسيطة ظاهرة فى أولى خطوات الإنسان ، فطفل التقدم سيقطع فى ليلة واحدة طريق مئات السنين بعد ذلك ، وعندما

---

١) سفينه طالبى يا كتاب احمد : عبد الرحيم طالبزاده ، طبعة اسلامبول ، ١٣١٩ ص ١٨٣

٢) نفس المصدر ، طبعة اسلامبول ، ١٣٣٢ ص ١٨٣

يتأمل كل ذى شعور سيدرك بالبديهة أن إهدار الوقت إهدار للثروة والكيان والدين"[١]

ويشرح بإيجاز ماهية قوة الكهرباء وسرعتها وغموضها وتكوينها والفوائد التى عادت على الإنسان من إكتشافها :

" إن ماعرف من آخر الأبحاث هو أن القوة الكهربائية مادة سيارة تنقسم الى قوتين متحركتين أو دافعتين ومباشرتين أو جاذبتين ، ومعظم سريان أمواجها هو نفس الذرات "المتنافرة" التى هى مجرى الأمواج النورية ، وسرعة سريان الكهرباء تساوى سرعة الضوء (مائتان وخمس وثمانون "فرست"[٢] فى الثانية) خمسون ألف فرسخ تقريبا . وأوضحت آخر التفسيرات أيضا أن سريان أمواج الكهرباء فى المعادن الناقلة سطحى .

ورغم كل هذه الأبحاث والتفسيرات لم يوفق أحد فى إدراك ماهيتها حتى الآن ، كل مايقال يقتصر على آثارها وظهورها وأنها " من أمر ربى " آخر إجابة مؤقتا "[٣] أما المنافع التى يحصل عليها الإنسان من وجود هذه القوة فتخرج عن حد الإحصاء" .

ويعرف طالبزاده أيضا بالتلغراف كواحد من أهم نتائج إكتشاف قوة الكهرباء وعن تركيبه وإمكان مد كابلاته تحت البحر ليخدم الإنسانية فى كل مكان :

"لاشك أن أفضل وأنفع ماأوجدته القوة الكهربائية حتى الآن هو التلغراف الذى يخابر من مسافة ألف فرسخ فى لج البصرة والخطوط التلغرافية تحت الماء فى المحيط الهندى والأطلنطى تدعو الى تحير قوى التخيل الإنسانية وهى من فوائد إكتشاف الكهرباء ، وقد صنع للتلغراف عدد من التصميمات أما أسهلها وأرخصها

---

١) سفينة طالبى ياكتاب أحمد : عبد الرحيم طالبزده،طبعة اسلامبول، ١٣٣٢ ص١٨٣

٢) فرست Verste : وحدة قياس طولية روسية قدرها حوالى ألف متر .

٣) سفينة طالبى ياكتاب احمد :عبدالرحيم طالبزاده طبعة اسلامبولى، ١٣٣٢ ص ١٩٣

والمعمول به فى أوربا فهو تصميم " مورس " ، وعن طريقه كل ماتعطيه لعامل التلغراف فى تبريز مثلا يرسله الى طهران بعلامات خاصة تستخدم بدلا من الحروف . وفى طهران تكتب بالحروف الأبجدية وترسل الى صاحبها ، والثانى هو تصميم (يوز) وعن طريقه يمكنك أن تعطى ماتكتبه فى تبريز الى عامل التلغراف ويرسله هو الى طهران عن طريق الأسلاك الناقلة بالحروف المطبعية المنفصلة ، وتوصل هناك حيث تقطع الورقة التى طبعت عليها الحروف تلقائيا وتلصق كالسطر بورق آخر وترسل الى صاحبها ، والثالث تصميم (يودو) وبهذا الجهاز يمكن لستة أشخاص أن يخابروا الطرف المقصود فى آن واحد عن طريق الأسلاك ويرسل المعطيات المختلفه ويستقبلها الرابع هو تصميم (قزله) وهو من الرهبان الإيطاليين وبهذا الجهاز يمكن أن يعطى لعامل التلغراف بتبريز كل مايدون ويرسم على الورق من خرائط أو صور أو أشكال أو خطوط من أى نوع فيرسل نسخة منها الى طهران بحيث يتعرف كل شخص على صيرته أو خطه المميز من بعيد (هذا الجهاز جدير بالإستحسان وشائع الآن فى كل تلغرافات فرنسا) " . (١)

ويشرح الكاتب على لسان إبنه أحمد كيفية رسم الدائرة وإمكان معرفة قطر الدائرة إذا عرف محيطها بنسبة ثابتة :

" قلت ماالمقصود بالدائرة ؟ قال : يطلق لفظ دائرة على الخط المنحنى للمحيط الذى يكون الطول من أى نقطة فيه الى مركزه متساويا ، قلت : وكيف تكون النسبة بين محيط الدائرة وقطرها ؟ قال : النسبة سبعة الى إثنين وعشرين ،

---

١) سفينهٔ طالبى يا كتاب احمد :عبدالرحيم طالبزاده ، طبعة اسلا مبول ، ١٣٣٢ ص ١٩٤

فإذا كان محيط الدائرة إثنا وعشرين ذراعا يصبح قطرها سبعة أذرع ، وحين يكون قطر الدائرة معلوما لايختلف محيطهاعن هذه النسبة أبدا ". (١)

ويشرح المؤلف تجربة علمية عن وصول الضوء قبل الصوت حين تكون المسافة بين المدفع والشخص بعيدة :

"كان المدفعيون يطلقون مدافعهم ولما كانت المسافة بين البيت والميدان مثلا أربعة آلاف ذراع فإن الطلقة التى يطلقونها تظهر النار منها أولا وبعد عشر ثوانى أو إحدى عشر يسمع صوتها ، ففكر أحمد ،وأطلقوا عدة أسهم فعاد إلىّ وقال : سيدى ، ألا تحدث الشعلة والصوت فى آن واحد ؟ إذن لماذا تظهر الشعلة أولا وبعد عدة ثوانى يسمع الصوت ، قلت كل من إقترب من المدفع فإن ظهور الشعلة وسماع الصوت يكون بالنسبة له بلا فاصل زمنى . أما من كان بعيدا فإنه يرى الشعلة أولا ثم يسمع الصوت بعد فاصلة بعد المسافة بينه وبين إطلاق المدفع ". (٢)

.. .. ..

---

١) سفينة طالبى ياكتاب احمد :عبدالرحيم طالبزاده ، طبعة اسلامبول ، ١٣٣٢ ص ٢٠٧
٢) المصدر السابق ص ٢٠٨

مسائل الحيات :

كتب طالبزاده هذا الكتاب على صورة حوار مع إبنه " أحمد " ، ومن ثم فهو يعد إمتدادا لكتاب "سفينه طالبى ياكتاب أحمد " ، وطبع هذا الكتاب فى تفليس عام ١٣٢٤ هـ.ق ٩١٦/٠ لم .

لهذا الكتاب أهمية خاصة بين مؤلفات طالبزاده ، فقد ناقش فيه موضوعات سياسية وإجتماعية وقانونية مختلفة ولهذا فهو أدخل فى باب الكتب الإجتماعية النقدية التى تتناول الحياة الإجتماعية ومايجب أن يناله الشعب من حقوق وحريات ، وإنتقد بعض النقاط السلبية فى المجتمع الإيرانى فى أواخر القرن التاسع عشر الميلادى .

ونورد فى دراستنا لهذا الكتاب مقتطفات منه لتوضيح أسلوبه فى النقد الإجتماعى والسياسى وتفسيره لبعض المفاهيم السياسية والقانونية .

يبدأ الكتاب بنقد سلبيات المجتمع الإيرانى بوجه عام موجز فيقول المؤلف على لسان شخص يتحدث عنه هو نفسه :

"إن كل كلامه الذى يقوله ويكتبه يدور حول إصلاح عيوب الوطن ، وليس هناك أحد يسأله : ياعبدالله ماعيب وطننا بكل فاكهته الفردوسية وعطوره التى لاتوجد فى أى مكان سواه ، ماعيبه حتى يتحتم إصلاحه ، قال أحد الحاضرين : أنا قابلته (أى طالبزاده) ولايمكن القول إنه متخبط ، إنه مسكين مريض ومبتلى بمرض الخيلاء المزمن ، لايعجبه أى شخص فى ايران ولا أى طبقة ، تحدثت معه عن العاصمة ، فقال : إنها بلا قانون ولانظام ، وسألته عن الحكام فقال : إنهم ظلمة متجبرون مرتشون ، وتحدثت عن الشيوخ فقال : إنهم يجيدون رسم دائرة حرف النون وكرة حرف الميم .

أما الهندسة فلا يعرفونها ، والحساب لم يدرسوه ، وسألته عن طلاب المدارس قال أحسنوا تعلم السلب والنهب ، وسألته عن العلماء فقال :

من يقيمون بالنجف لايتملكهم الحرص ولا الجشع ،ولايحتاجون الى المظاهر الخادعة ومن طعام الحجل والسمان يقنعون بالجبن والبصل ، إن هؤلاء هم آباؤنا الروحيون ولما كانوا نواب الأئمة فطاعتهم فرض علينا ، أما غالبيتهم الذين يقيمون فى ايران فهم محتكرون يحبون الفتنة يعجبهم فوضى كبار الرجال ويعبدون وقع النعال ، دخلهم من الأملاك سنويا من ثلاثين الى خمسين ألف تومان ، وسألته عن التجار فقال : إنهم فاسقون " (١)

ويوضح الكاتب بأسلوب ساخر إعتياد الإيرانيين فى ذلك العهد على التكاسل والفوضى والجهل فيقول :

"إنك لو سألت جاهلا إيرانيا عن أمور الدنيا والخليقة هل كلها منتظمة ومرتبة ومقدرة أم لا يجيبك : ماذا تعنى ؟ إن أمر الله لاشك منتظم ،فنقول له : إذن لماذا لاتنظم مكان عملك ؟ يضحك وينظر فى دهشة وتعجب ، لماذا ، لأنه معتاد على هذه الحالة ،وقد قلت لأحد الإيرانيين ليس فى بلاد أوربا ذباب ، لم يصدقنى وظن أنى كاذب ، لماذا ، لأنه ولد مع الذباب وسيموت معه ". (٢)

وفى حديثه عن الحقوق السياسية والإجتماعية لأفراد الشعب فيتحدث بالتفصيل عن الحرية والمساواة بين الأفراد فى الحقوق مبينا أن الحرية متساوية بين جميع الأفراد فى الوطن الواحد :

---

١) مسائل الحيات: عبدالرحيم تبريزى ، تفليس ٣٢٤ اهـ.ق/١٩٠٦ م ، ص ١ـ ١١
٢) المصدر نفسه ص٦٨ ، ٦٩

" يقول الفلاسفة إن الحرية حق مشترك وثروة عامة أى أنها قسمة متساوية بين جميع أفراد الشعب ، وكل مايحققه الفرد بها هو إضافة لرصيد إفتخار الشعب ، ذلك أنه لايمكن لأى فرد أن يبيع حريته أو يرهنها أو يهبها لفرد آخر ، ولا حق لأية حكومة أو سلطة فى أن تتصرف فيها أو تتدخل ، لأنها كالأمانة الطبيعية مصونة من تصرف وتغيير الفرد والآخرين ، فهذا التوحد فى معنى المساواة فى الحقوق هو الحرية كما أن هذه الحرية ليست متحدة النوع لدى كل أفراد البشر وهيئة الأمم " . (١)

وفى بحثه القيم فى معنى ومفهوم الحرية يقسمها الى ثلاثة أقسام ، وعن هذه الأقسام الثلاثة تتفرع عدة روافد أخرى من الحريات الإجتماعية ، يقول طالبزاده :

" تنقسم الحرية الى ثلاثة مصادر أصلية هى : حرية الهوية ، وحرية العقيدة ، وحرية الكلام ، وتتفرع عن هذه المصادر الثلاثة أفرع عديدة منها حرية الإنتخاب والتصويت وحرية المطبوعات وحرية الإجتماع ، وهذه الفروع مقدمات أيضا ولها نتيجة ، إن حرية الهوية هى أن لايستطيع أى شخص أن يحبس شخصا أو يدخل بيته إلا بحكم مسئولية القانون وكذلك أن كل شخص حر فى تحركاته ولايدين بالمسئولية أمام أحد مادام تحركه لايلحق أذى أو خسارة بشخص آخر ، ولايخاف اى شىء سوى جزاء أفعاله السيئة وإذا ضيق عليه شخص أو أجبره على القيام والجلوس أو الركوع والسجود له أو لغيره فإن هذا يعد سلبا للإختيار وظلما وقيدا .

أما حرية العقيدة ضمناها أن كل فرد مخير وحر فيما يعتقد وفى كل مايستقر عليه رأيه ولاحق لأى أحد فى أن يوبخه أو يعاقبه لخطئه او لسوء عقيدته ، ولاتقيد هذه

---

١) مسائل الحيات: عبدالرحيم تبريزى ، تغليس ١٣٢٤ اهـ.ق ٠/ ٩٠٦ لم ، ص٦٨ـ٦٩

الحرية إلا حين يقع منها ضرر لعقائد الآخرين أو حين يثير صاحب العقيدة الفتنة والثورة وسلب أمن الناس.

أما حرية القول فتعنى أن كل فرد حر فى أن يقول ويكتب ويفسر مايعلمه وفى أن يدعو الناس ويشجعهم على الإستماع لأقواله.

وحرية التصويت والإنتخاب هى أن كل شخص بالغ مخير فى أن يعطى صوته لأى فرد يعتبره جديرا بصوته ولايكون مطابقا لقانون سلب الحقوق، وحر فى أن ينتخبه لإدارة شئون الجماعة، ولاينبغى أن يرفض إنتخابه أو يرد منتخبه من قبل شخص أو سلطة أو هيئة إلا بأغلبية الآراء.

وحرية المطبوعات تعنى أن كل فرد حر ومخير فى كل مايكتبه أو يؤلفه وحر فى طبعه ونشره. أما حرية الإجتماع فهى أن تدعو الجماعة المتفقة فى الرأى والفكر أعضاءها عن طريق الإعلان فى الصحف فى أى وقت وفى أى مكان تختاره للتشاور فى رفض أو قبول مسألة من المسائل السياسية أو التى تخص الحكم وأن تجتمع فى الوقت المحدد وتتباحث وتنتقد إجراءات الحكومة أو تمجدها وفى ختام المباحثات ترسل صورة الإجتماع كتابة الى كل مكان يتحتم إرسالها إليه من الحكومة المحلية والمركزية، وإذا إتفق ذلك الاعتراض أو المطلب مع أغلبية آراء الشعب يقبل بلا تردد". (١)

ويتحدث طالبزاده عن الدستور فى دول أوربا وآسيا فى محاولته للتأكيد على مزايا الحكم الدستورى وتقدميته، فيتحدث عن الدستور فى كل من بريطانيا والدولة العثمانية واليابان وايطاليا وروسيه.

---

١) مسائل الحيات : عبدالرحيم تبريزى ، تفليس ١٣٢٤ هـ.ق. ١٩٠٦ ص٩٧ ـ ٩٩

وينتقد فى بعض المواضع من الكتاب الحكم الإستبدادى ويشبهه بالثوب الضيق الذى لايتناسب والعصر الحديث ، ويدعو الحاكم الى محبة شعبه ورعايته فيقول :

"يقول أحدهم إن إنزواء العلماء والعقلاء وإرتقاء الجهلة والأراذل من التأثير السيء للحكم المطلق ، ويقول آخر إن الحكم المطلق رداء حيك بحجم أطفال عصر الجاهلية ، فإذا أرادوا اليوم أن يضعونه على قامة رجال عصر الحضارة فإنه يتمزق ومن شدة إهترائه ينمحق ويفنى ، يقول أحد الحكماء يجب على الملك أن يرتقى عرش قلوب رعيته ويتوج رأسه بتاج حب الشعب فمثل هذا التاج هو وحده المصون من الزوال والإنتقال ." (١)

ويسأل المؤلف على لسان آقارضا :

" والآن قل لى ماهو واجب الإيرانى وكيف يتم إصلاح كل هذه السلبيات الباعثة على ذلة وطننا ونكبته ؟"

ويجيبه أحمد على هذا السؤال منتقدا إحتكار الأجانب لمعظم رؤوس الأموال فى ايران ومبينا أن طريق الإصلاح يبدأ من إمتلاك العلم والثروة :

"قال أحمد : إن إصلاح العيوب الشخصية أو القومية يتم بشيئين : الأول : العلم والثانى المال ، وإذا كان هذا صحيحا فإن إصلاح وطننا يعد لامحالة خارجا عن دائرة إمكان عقلاء العالم ووزراء أوربا ، لماذا ؟ ، لأن علمنا كله خرافى ، وثروتنا التى يملكها خمسة عشر مليون إيرانى فى حوزة فرد واحد من أثرياء أوربا أو أمريكا ، ولو كنا نملك

---

١) مسائل الحيات: عبد الرحيم تبريزى ، تفليس ١٣٢٤ هـ.ق. ١٩٠٦ م ، ص ١١٦

العلم والمال لدوّنا للدولة قانونا وعينا عقلاء الشعب لمعاونة رجال الدولة وتقديم النصح والمشورة لهم ولأنشأنا الكتاتيب والمدارس وفهمنا متطلبات العصر والعوامل المساعدة على تحقيق التقدم ." (١)

وفى ختام الكتاب تحدث طالبزاده عن دستور اليابان وأورد ترجمة لمقتطفات منه تتعلق بالإمبراطور وحقوقه وواجباته وحقوق الشعب اليابانى وحقوق النواب والعدل والقضاء والضرائب.

وقد تحدث طالبزاده فى هذا الكتاب أيضا ـ كما فى كتاب "سفينه ء طالبى" ـ عن بعض الموضوعات العلمية فتحدث عن المعادن وأنواعها وعن الأمراض ومقاومة بعض ميكروباتها وعن الطاقة والحرارة وغيرها من الموضوعات التى كانت جديدة على الأدب الفارسى .

.. .. ..

---

١) مسائل الحيات: عبد الرحيم تبريزى ، تفليس ١٣٢٤هـ.ق. ١٩٠٦ ، ص.١٣٠

ايضاحات در خصوص آزادى :

أوضحت ضمن ذكرى لموظفات طالبزاده أنه كان قد كتبها عن الحرية ومفهومها ، وهى رسالة هامة ولكن للأسف لم يتيسر لى الإطلاع عليها ، وأورد هنا ماأورده "يحيى آرين پور" (١) منها كنموذج :

" لو كانت الحرية عبارة عن الحرية الطبيعية لكل البشر بالطبع والخلقة أحرار مخيرون فى كل أفعالهم وأقوالهم وليس هناك من مانع لقولهم وفعلهم سوى ذواتهم أى إرادتهم ، والخالق لم يخلق قوة خارجة عنه تستطيع أن تمنعه ، وليس لأحد قدرة على التصرف فى حريتنا هذه فما بالك بمنحها ومنعها ، ويمكن لقارئ هذه السطور أن يدرك بلا تعمق أن هذه الحرية كانت وكائنة وستكون ملكا له على الدوام وخارجة عن أمر المنح والمنع ، ولم يعد معلوما ما هى الحرية التى تدعو الى وجدنا وسرورنا ؟

نعم ، كانت هذه الحرية هى المتاع الروحى العام الذى جمعه أفراد شعب ايران عبر الزمن وكدسوه فى مخزن كان يسمى " الأمة " وكانوا يتعاملون بذلك المتاع فيما بينهم ، وكانت نقود هذه التجارة عبارة عن ذهب الشرف والمعرفة الصحيح العيار ، وفضة الفضل والأدب ، وكانت هذه السلعة مقدسة ، أى لم يكن أحد ينحرف أو يخسر أو يخون فيها ، وإذا أراد واحد من الأفراد أن يحصل على نصيبه أو سهمه أى أن يعطى شرفه الى آخر وينشغل بأعمال الأدنياء أو أن يتوانى عن تحصيل المعارف أو أن ينفق نقود شرفه وأدبه فى الملاهى والمناهى كانوا يمنعونه وينزلون به شديد

---

١) آرين پور (يحيى) : از صبا تانيما ، ج١ ، ص ٣٠٢ـ٣٠٤

العقاب ، وبهذه الثروة العامة وحدها كان كل فرد يستطيع أن يحصل الشرف والمعرفة والفضل والأدب ، بمعنى أنه كان يمكن مبادلة السلعة بعينها وكل ماكان يحصله كل فرد كان يعود على المخزن العام .....

..... نعود الى حريتنا ونرى ذلك الشرف والفضل والأدب الذى رد الينـــا ، متى ومن سلبه منا ؟ أى مهمل وعاطل ومغرور تسبب فى إغضابنا حتى إنقطعنا عـــن هذه الثروة الروحية وإبتلينا بهذه الذلة والنكبة التاريخية لقرون عدة ؟ .

لقد رد المؤرخون غير المغرضين على كل هذه الأسـئلة ، وأكتفى هنا بأن أشـير إشارة جزئية الى أنه بعد أربع سنوات من جلوس ناصر الدين شاه على العرش أى بعد مقتل أميركبير الشهيد إقتضت سياسة البلاد وإستقلال أرباب القوة إبعاد الرجـــال العقلاء الكفاة عن مركز السلطة وإحلال المرّد والجهلة والسوقة مع عشاق اللهو والحبـــور ممن لم يكن لديهم إستعداد لإبراز أى خطأ فى داخلهم ولاقدرة على إحداث ثورة فى خارجهم ، أى أنهم لم يكن لديهم أمر صائب ، وبمجرد أن وجدت فى سوق تجـــارة الأمة سلع المقايضة بدلا من الثروة المنهوبة سكت عملة التملق والخيانة واللادين والدناءة والرذالة فى خزانة سوء الخلق أكثر مما ينبغى ورج لها ، وبنفس الكفاءة أعملوا التخريب والإغارة على الثروة الروحية للأمة فضلا عما فعلوه بثروتها الجسمية ، فأخفوا ذهـب الدولة تماما وكأنه لم يكن وإستبدلوا الفضة الموجودة بالنحاس الخالص حتى وصل الفقـر الروحى والجسمانى للأمة الإيرانية الى حد لم يخط القلم نظيرا له حتى الآن عبر تاريـــخ الأمم ، وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون" . (١)

---

١) سورة الشعراء : الآية ٢٢٧

دور طالبزاده فى تجديد النثر الفارسى :

يقترب الأسلوب النثرى الذى إستخدمه طالبزاده فى كتاباته من لغة الحوار الجارى وراعى فيه - فى نفس الوقت - قواعد اللغة الفارسية السليمة فكان أسلوبه سلسا وقويا .

وقد إستطاع طالبزاده أن يعبر عن أفكاره باللغة الفارسية بهذه السلاسة الفائقة والرصانة رغم أنه كان آذربيجانيا ولغته الأصلية هى التركية الآذرية ورغم أنه قضى حياته فى الأراضى الروسية بعيدا عن البيئة الإيرانية . (١)

لم يتقيد طالبزاده فى كتاباته بالقوالب والأساليب القديمة للكتابة بل إستخدم اللغة المبسطة غير المتكلفة خاصة فى كتاباته العلمية التى كانت موجهة بشكل خاص الى الأطفال فأسهم طالبزاده بدور كبير فى طريق تجديد الأساليب النثرية الفارسية فإعتبر واحدا من مؤسسى النثر الفارسى الحديث ، ويقول هو نفسه فى رسالة الى "ميرزا يوسف خان إعتصام الملك" بتاريخ ١٦ رمضان ١٣١٦ هـ. :

" أعرف اللغة الروسية ولا أعرف الفرنسية ، وأكتب الخط الروسى بشكل غاية فى الرداءة ، ولا أجيد كتابة الخط الفارسى العادى ايضا ، ولاعلم لى باللغة العربية على الإطلاق ، والفارسية كما أعرفها هى العربية الفرنسية ، ومع ذلك تركت بعض الآثار المتواضعة للذكرى نتيجة لسعة إطلاعى ومثابرتى ليكملها أخلافى ويعتبرونني مهندس النثر الحديث" . (٢)

---

١) Rypka (Jan): A history of Iranian literature, pp.343

وآرين پور (يحيى) : ازصبا تانيما ، المجلد الأول ، ص ٢٩٨

٢) نقلا عن كتاب " ازصبا تانيما " : يحيى آرين پور ، المجلد الاول ، ص ٢٩٨

وتأتى مكانة طالبزاده الرفيعة من حيث أنه كان أول من كتب فى الموضوعات العلمية الحديثة والمخترعات والأجهزة الأوربية الحديثة فى إطار لغوى سلس مفهوم فى محاولة منه لتلبية حاجة ايران فى ذلك الوقت الى الإصلاح التربوى والإجتماعى وتعريف الشعب الإيرانى بإنجازات الحضارة الأوربية الحديثة فى ميادين عديدة من العلم ، الى جانب كتاباته الإجتماعية والسياسية التى بين فيها مفهومه عن النظريات القانونية الحديثة ودعا فيها الشعب الإيرانى الى اليقظة ورفض الإستبداد والبدء فى الأخذ بالعلوم الحديثة التى إعتبرها بداية الطريق الى تقدم المجتمعات الشرقية . (١)

يرى ريبكا أن " تأملات طالبزاده ـ وهى العناصر الجوهرية فى أعماله ـ لاتتعدى بدائية معينة" (٢)

ونرى من جانبنا أن هذه البدائية كانت متعمدة من قبل طالبزاده ، فقد كتب طالبزاده مؤلفاته سواء العلمية منها أو الإجتماعية أو القانونية فى عصر بداية تحديث الحياة العامة فى ايران ، ولم تكن هذه المؤلفات موجهة الى مستوى علمى بحت أو أكاديمى حتى تتعمق فى الموضوعات العلمية التى تتناولها بل كانت موجهة الى الجيل الإيرانى الناشئ الذى رأى طالبزاده أن يبدأ بتربيته تربية حديثة وبتعريفه بمبادئ العلوم الحديثة ، فكان من الطبيعى أن يبسط الموضوعات العلمية المعقدة حتى يسهل فهمها لجيل لم يسبق له التعرف عليها .

---

١) مجذوب (طلال) : ايران فى الثورة الدستورية حتى الثورة الاسلامية ص ٦٩

٢) Rypka (Jan): A history of Iranian literature, pp.343

إستخدم طالبزاده فى كتاباته العلميةمصطلحات وألفاظـــا أجنبية لم يكـــن لها مرادف فى اللغة الفارسية حينئذ أو لم تكن مرادفاتها قد إستقرت فى اللغـــة الفارسية بعد ومن هذه الألفاظ :

ژيمنا ستيك ـ آكواريوم ـ فيزيك ـ كومباس ـ كراستالزانسيه ـ غيدواستاتيك ـ غيدروديناميك ـ كومباني ـ الكتير .

ولكنه إجتهد فى ذات الوقت فى أن يضع لتلك المصطلحات والأسماء الأجنبية أسمـــاء فارسية فيكتب الى جوار كلمة "ژيمناستيك" المرادف الفارسى "ورزشى" ، ويسمـــى "الغراموفون" "لوح محفوظ" ، ويطلق على "الموتور" إسم "أم الأسباب" ، ويضع لمصطلح "ميكر سكوب" مرادف "ذره بين" .(١) فكان أول من وضع هذه التسميـــات الفارسية لهذه الأسماء الأجنبية ونرى فى كتابات طالبزاده تأثرا كبيرا باللغة التركيـــة باعتباره آذربيجانيا تركى اللسان فيستخدم كلمة "جاموشى" بدلا من "گاوميـــش" أو عبارة "توسط أحمد راقبول نمودم" بدلا من "وساطت أحمد راقبول كردم"، وعبـــارة "اورانمى دانم" بدلا من "اينرانمى دانم" وتضم كتاباته أيضا بعض الأخطاء الإنشائية مثل "اين امرودها از سيصد مثقال كوچك تمى شود" بدلا من "اين امرودهـــا از سيصد مثقال "كوچكتر ياسبكتر" نمى شود" ،ونلاحظ فى كتاباته أيضا بعض الأخطـــاء النحوية مثل : عيبات ـ أمورات ـ أرذل ترين ـ استقلاليت ، أى أنه أحيانـــا يجمع الجمع العربى ويضيف الى صيغة التفضيل العربية لاحقة التفضيل الفارسيـــة بلا داعى .

---

١) آرين پور (يحيى) : ازصباتانيما المجلد الاول ص ٣٠٠

وبعض الغلطات الإملائية أيضا مثل : آلكاغول (الكل) ، باتسل (باسيل) ، براڤسير (برفسور) ، خلر (كلر) ، ماكنه (ماشين) ، اغون (واگن) ، پوچط (بست) ، اسوچ (سوئد) ، نورويج (نروژ) ، بالجق (بلژيك) ، سماور (سماور) ، قرال (شاه) . (١)

ويرى آرين پور أن طالبزاده كان يغلّب الكلمات الفارسية على نظيراتها العربية في كتاباته ويستشهد على رأيه بإستخدام طالبزاده للفظي "ترشيدن وپوسيدن" بدلا من " تفسخ وتخمر" ، وباستخدامه لتعبير "هواسيرشده" بدلا من " هوا إشباع شده " (٢)

لكن طالبزاده لم يكن يغلب الألفاظ الفارسية على الألفاظ العربية دائما كما يرى آرين پور فكتابات طالبزاده مليئة بالعبارات والتركيبات والألفاظ العربية بل إنه حين كان يضع تسميات فارسية من عنده للمصطلحات والأسماء الأوربية كان يستخدم فيها الألفاظ العربية غالبا ، وذكر آرين پور (٣) نفسه أن طالبزاده أطلق على " الغراموفون" إسم "لح محفوظ" ، وأطلق على "الموتور" أم الأسباب "وسمى " الترموستر" ميزان حرارات" وغير ذلك كثير وكلها ألفاظ عربية فكيف كان طالبزاده يغلب الألفاظ الفارسية على العربية إذن ؟

إن مايمكن قوله هنا هو أن طالبزاده لم يكن يتعمد تغليب الألفاظ الفارسية على العربية وإنما كان يستخدم المرادف الفارسي إن وجد ويستخدم التركيبات

---

١) آرين پور (يحيى) : ازصباتانيما ، ج١ ، حاشية ص٢٩٩
٢) المصدر السابق ص٢٩٩
٣) المصدر السابق ، المجلد الأول، ص ٣٠٠

والألفاظ العربية حين تعجز الفارسية عن إعطاء المرادف الدقيق للمصطلح الأوربي أما ماإستشهد به آرين پور من تعبيرات وألفاظ تدل على تغليب طالبزاده للألفاظ الفارسية على العربية فقد كانت المرادفات الفارسية والعربية تستخدم بالتبادل مادام المعنى واحدا ثم إن طالبزاده نفسه يعترف في رسالته التي أوردنا جزء منها فيما سبق بأنه لم يكن يعرف اللغة العربية وأن الفارسية ليست لغته الأصلية ومن ثم كان يستخدم الفارسية كلغة أجنبية عنه ويحاول أن يبسطها الى فهم كل إنسان في ايران.

وينبغي أن نعتبر طالبزاده واحدا من مجموعة الكتاب الذين جاهدوا من أجل تجديد الأسلوب النثري الفارسي والتحرر من قيود الأساليب والقوالب اللغوية القديمة جنبا الى جنب مع إيقاظ الشعب على مساوئ الإستبداد ومزايا الحرية والدستور.

.. .. ..

الْبَابُ الرَّابِعُ

أَشْكَالُ النَّثْرِ وَمُشْكِلَاتُهُ

الفصل الأول

الأشكال الجديدة

كان الأدب الفارسى فى مقدمة التغيرات السياسية والإجتماعية الكبرى التى كانت تجرى فى ايران فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر الميلادى ، فكانت القوميـــة الناهضة فى ايران وتأثير الغرب على كل أوجه الحياة فى ايران حينئذ من العوامـــل التى أعطت دفعة قوية لإيجاد أشكال أدبية جديدة تخدم الفكر الحديث. (١)

وهناك شكلان أدبيان جديدان ظهرا فى ذلك العهد هما " الكتابة المسرحيـة" وكتابة المقال الصحفى "وقد أوجدا أدوات جديدة أومنافذ جديدة للتعبير عن الفكـــر النقدى الحديث.

وقد أثرت الأشكال الأدبية الجديدة الحياة الأدبية فى ايران وأسهمت بدورهـا فى دفع التيار القوى الإصلاحى الذى كان أبرز ملامح الأدب فى عهد التمهيـــــد للثورة الدستورية .

(١) المســـــرح :

كانت الدراما موجودة فى ايران من قبل على شكل التمثيليات الدينية الشعبيـــة التى تتناول إستشهاد الإمام الحسين ومظاهر الحياة المذهبية الشيعية ، أما الدراما حسب النموذج الغربى فقد ظهرت لأول مرة فى بداية النصف الثانى من القرن التاسع عشر الميلادى ، وكانت فى خدمة الفكر العام بإعتبارها ساحة جديدة للتعبير عن السخط العام على الحكومة والأوضاع التى سادت فى البلاد آنـئذ .

(١) Frye (Richard): Persia, pp. 50

كان ميرزا فتحعلى آخوند زاده (١) أول من دخل مجال الكتابة المسرحية في الأدب الفارسي ، تعرف ميرزا فتحعلى آخوند زاده على فن الكتابة المسرحية في سنوات العقد الخامس من القرن التاسع عشر الميلادي ، وكانت الفرق المسرحية في ذلك العهد تقدم عروضها في صالونات أمراء گرجستان الأثرياء ، وكانت تعرض على المسرح أيضا بعض فقرات من مؤلفات الكتاب الروس والگرج ، وقد تعرف آخوند زاده من خلال المسرح الذي أقيم في مدينة تفليس على أهم الأعمال المسرحية العالمية كمسرحيات " موليير " و" شكسبير " والكتاب المسرحيين الروس مثل : "گريبا يدوف" و"جوجول " و" استروفسكي " ، وقد ترك هذا الإطلاع تأثيرا كبيرا على فن الكتابة لدى آخوندزاده فتحمس للكتابة المسرحية وأبدع خلال الاعوام من ١٨٥٠ الى ١٨٥٦م مسرحيات كوميدية عديدة عن واقع الحياة لأهالي آذربيجان ، إنتقد فيها الجوانب

---

١) ولد فتحعلى آخوندزاده في مدينة " نوخا " عام ٢٢٨ اهـ.ق/ ١٨١٢ م وكان والده ميرزا محمد تقي من أهالي قصبة "خامنه " وهي من أعمال " ارونق " و" اتراب " بآذربيجان ، وعاد ميرزا محمد تقي الى خامنه عام ١٨١٤ م حيث عاش فتحعلى عدة سنوات في رعاية أمه ولم تكن والدته على وفاق مع والده فطلقها وعادت مع ولدها فتحعلى الى عمها "آخوندملا علي اصغر" في " مشكين " بأردبيل واهتم عم والدته هذا بتربيته وتعليمه حتى عرف بإسم "آخوندزاده " ، وتلقى فتحعلى آخوندزاده مقدمات الفارسية والعربية وحصّل بعض العلوم الإسلامية في صباه ، وفي عام ١٨٢٥ م رحل آخوند ملا علي أصغر مع اسرته الى گنجه حيث إستهر في سعيه لتربية وإعداد فتحعلى آخوندزاده لتحصيل العلوم الدينية إلا أن گنجه خربت من جراء الحرب بين روسيا وايران ، واضطرب الوضع المالي لآخوندملا اصغر فاضطر الى الرحيل الى مسقط راسه "نوخا " حيث أتم فتحعلى دراسته ، لكن فتحعلى إنصرف عن العلوم الدينية واتجه الى التفكير في الإلتحاق بالوظائف الحكومية وتلقى علوم الحضارة الحديثة ، فعمل كمترجم للغات الشرقية لدى عاهل روسيا في "گرجستان " ونال رتبه " سرهنك " والعديد من الأوسمة ، وفي أثناء إقامته في مدينة "تفليس تعلم اللغة الروسية وآدابها وإطلع من خلالها على الآداب الغربية .

آرين پور (يحيى) : ازصبا تانيما . ج١ . ص ٣٤٤ ـ ٣٤٥

السلبية القاتمة من حياتهم بلا هوادة. (١)

كان ميرزا فتحعلى آخوندزاده يعرف اللغات الفارسية والعربية والتركية معرفة تامة الى جانب لغته الأصلية التركية الآذرية، وكان ماهرا فى الكتابة النثرية (٢)، وقد ركز فى مسرحياته على كشف مفاسد الحياة الإجتماعية ونفاق الملا ت الإيرانيين وتفنيد الخرافات التى علقت بالعقائد الإسلامية فقدم جماعة الملات المرائين كأكبر عائق فى طريق رقى ايران والمسلمين وأكد على ضرورة مكافحة هذه الجماعة فى سبيل تصحيح الأوضاع واللحاق بركب الأمم المتحضرة (٣) إذ كان آخوندزاده على إتصال بالأفكار التحررية والإصلاحيين الكبار فى ذلك العهد من أمثال السيدجمال الدين الأفغانى وميرزا ملكم خان.

وكان آخوندزاده أول من إستحدث الواقعية الكاملة فى الأدب الآذرى وأخذ على عاتقه ريادة وتعليم فن الكتابة المسرحية فى آذربيجان، وكان للخط الأدبى الذى إتبعه آخوندزاده جانب إصلاحى ثورى هدف من خلاله الى إستحداث أسلوب نثرى نقدى بسيط وعميق وربط الفن والأدب بالحياة الإجتماعية عن طريق الهزل والنقد الساخر.

إن مسألة الواقعية النقدية والفكاهة فى الأدب المسرحى لدى آخوند زاده من المسائل الهامة، وكما يقول هو نفسه فقد إضطره الوضع القائم فى ايران الى أن يتبع

---

١) آرين پور (يحيى) : از صبا تانيما ، ج ١ ، ص ٣٤٥
٢) بامداد (مهدى) : تاريخ رجال ايران ، ج ١ ، ص ٥٥
٣) ملكزاده (مهدى) : انقلاب مشروطيت ايران ، ج ١ ، ص ٢٣٧

الأسلوب الكوميدى الساخر ويرى أنه " فى العهد الذى يعتاد الناس فيه على السلبيات ويسود الظلم والتخلف والخرافة فليس هناك سلاح أفضل من النقد الساخر وليست هناك وسيلة أرقى من الأدب الفكاهى الساخر لتنمية أحاسيس الناس وخلق شعور بالأمل والسعادة وفى مكان لاترى فيه حيثما نظرت إلا الفساد والخراب لايجوز التردد والتهاون " . (١)

أما المسرحيات الست التى كتبها فتحملى آخوندزاده باللغة التركية الآذرية بين أعوام ١٨٥٠ ـ ١٨٥٦م والتى ترجمها الى الفارسية "ميرزا جعفر قراجه داغى" وطبعت فى تهران عام ١٢٨٨ هـ.ق. (٢) فهى :

(١) حكايت ملا ابراهيم خليل كيمياگر :

تقع أحداث هذه المسرحية فى أربعة فصول وكتبها آخوندزاده عام ١٢٦٧ هـ.ق./ ١٨٥٠م وهى أولى مؤلفات آخوندزاده وأولى ثمار فن الكتابة المسرحية له.

يصور المؤلف فى هذه المسرحية رجلا كذابا مثيرا للفتن يدعى القدرة على تحويل المعادن الرديئة الى ذهب ،ويتحدث عن أهالى مدينة" نوخا " الجهلة الجشعين الإنتهازيين كوجه سلبى ، وفى مواجهة هذا الجانب السلبى جانب إيجابى يتمثل فى شخص" حاجى نورى الشاعر" الذى ينتقد القوم الذين خُدعوا وصدقوا قدرته على تحويل النحاس الى ذهب ، ويوجههم الى وجوب البحث عن " إكسير الحياة" فى قدرة ذات الإنسان، فيقول :

---

١) نقلا عن آرين پور (يحيى) : ازصبا تانيما ، جـ١، ص٣٥١

٢) بامداد (مهدى) : تاريخ رجال ايران ، جـ٣، ص ٥٥

" نعم ، إن فضلى حقا هو الإكسير ، وإذا أرادوا إدراك فضلى عليهم يجب أن يكونوا على قدر من الذوق والكمال والمعرفة حتى يقدروا كلامى حق قدره ، ولكن من سوء حظى أنكم أيها السادة أهل مدينتى لاعقل لكم ولافضل ولافهم ولا إحساس فبماذا يفيدكم فضلى وفيم تجدى أشعارى ؟ " . (١)

إن حاجى نورى الشاعر يختلف هنا عن أنداده وأمثاله ، فهو رجل فاضل بعيد النظر يضع آماله على مستقبل شعبه ، وقد عرض آخوندزاده فى هذه المسرحية خصائص الحياة الإجتماعية الواقعية فى آذربيجان متمثلة فى شخص "ملا ابراهيم كيمياگر" والعامة المساكين أهالى نوخا ، وتمثل المستنيرون التقدميون فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر فى شخص "حاجى نورى الشاعر" . (٢)

(٢) حكاية مسيو ژوردان حكيم نباتات ودرويش مستعلى شاه جادوگر معروف :

كتبت هذه المسرحية فى أربعة فصول عام ٢٦٧ اهـ.ق/ ٨٥٠ لم يقارن المؤلف فيها بين عالم الشرق المظلم القاتم وبين عالم الغرب المضىء ، وصور فى شخص "مستعلى شاه" الساحر دجل الدراويش وخداعهم للعامة ، ونفاق الملات الذين يستغلون جهل الناس وسذاجتهم ، وصور فى شخص "مسيو ژوردان" عالم النباتات المبادىء التقدمية للحضارة الغربية ، وأكد من خلال شخصية "شاهبازبيك" المتلهف على زيارة باريس على ضرورة أخذ الحضارة الأوربية والعلوم الحديثة .

---

١) آرين پور (يحيى) : از صباتانيما ، جـ ١ ، ص ٣٥٢
٢) المرجع السابق : جـ ١ ص ٣٥٣

يحتل دور "مستعلى شاه" فى هذه المسرحية الكوميدية الدرجة الثانية من الأهمية ، أما "شهباز بيك" الشاب الذى يقلع عن حياة البطالة بتأثير من العالم الفرنسى ويتجه الى طريق الحرية والثقافة فيدخل فى صراع ضد القوى التى رسخت الأوضاع والأحوال العتيقة والعقبات التى تحول دون واقعية إتجاهاته .

وأشار الكاتب فى هذه المسرحية على لسان "خان پرى" الى إمكان سريان الثورة الفرنسية عام ١٨٤٨ م الى بقاع أخرى من العالم بقوله "أخشى أن تتهدم وتخرب المدن الأخرى من صدمة خراب باريس" . (١)

(٣) حكايت خرس دزد افكن : (حكاية الدب الذى قبض على اللص)

تقع أحداثها فى ثلاثة فصول وكتبها آخوندزاده عام ١٢٦٨ هـ.ق. / ١٨٥١ م ، وهى مسرحية واقعية جسد فيها المؤلف حياة الفلاحين فى آذربيجان فى أوائل النصف الثانى من القرن التاسع عشر الميلادى ، ويبرز فيها الظلم والشر الذى إنتشر بين الناس وتعاسة النساء والجوانب السلبية من الحياة الإجتماعية . (٢)

(٤) سرگزشت وزيرخان سراب : (حكاية الوزيرخان سراب)

وهى فى أربعة فصول كتبها آخوندزاده عام ١٢٦٧ هـ.ق / ١٨٥٠ م ، هاجم المؤلف من خلالها أسس الإدارة الإقطاعية وصور حركات الخان البلهاء ونفاق وتملق الوزير ويمسك "تيمور آقا" زمام الحكم فيعزل الوزراء المتملقين الذين لايستحقون ألقابهم

---

١) آرين پور (يحيى) : ازصبا تانيما ، جـ١ ، ص٣٥٣

٢) المرجع السابق ، ص٣٥٤

ومناصبهم وينصب مكانهم رجالا مجربين شرفاء ، وأدرك هذا الحاكم الجديد الموهوب المفاسد التى كانت فى بلاطه ولكنه لم تكن له الحنكة السياسية التى تمكنه من تنفيذ الإصلاحات الضرورية فى الأصول الإدارية بعد . (١)

(٥) سرگوشت مردخسيس ياحاجى قرا : (رواية الرجل البخيل أو حاجى قرا)

هذه المسرحية فى خمسة فصول كتبت عام ١٢٦٩ هـ.ق / ١٨٥٢ م ، وهى أقوى وأشهر مسرحيات فتحعلى آخوندزاده الهزلية ، عرض فيها نواحى ومشاهد دقيقة من الحياة الإجتماعية الآذربيجانية فى أواسط القرن التاسع عشر الميلادى ، ولهذه المسرحية أهمية تاريخية من ناحية بيان الظلم والإستبداد والإستغلال فى ذلك العهد .

بطل المسرحية هو " حاجى قرا " التاجر البخيل المصاب بداء "البخل" الذى سيطر على كل كيانه وقد صوره آخوندزاده فى صورة ساخرة هزلية ، لكنه لايخلو من بعض الصفات المستحسنة مثل التعقل والفراسة وسرعة البديهة ويدرك الحياة جيدا ولايتقاعس عن الكفاح فى سبيل تحقيق أهدافه .

ومن الشخصيات الأخرى فى هذه المسرحية " حيدربيك " وهو الباقى من أسرة عريقة وبعبارة أخرى مثل إفلاس الأصول القديمة للإقطاع والتملك ، وهذا الرجل رغم أنه مهرب إلا أنه عنصر أصيل بعيد عن الخيانة والرياء ويرى فى نفسه قوى كبيرة لكنه عاجز عن إستثمارها بالطريقة المناسبة فهو معرض عن التجارة والعمل ودائم التطلع الى الماضى على خلاف " حاجى قرا " الدائم التفكير فى زيادة ثروته وأملاكه ولايدرى

---

١) آرين پور (يحيى) : از صباتانيما جـ ١ ، ص ٣٥٤

كيف ومن أى طريق يحصل على المال ، وكلاهما ممثلان لمبادىء أنانية فردية ضد المجتمع ، وهناك أيضا فى هذه المسرحية أشخاص شرفاء يفيدون مجتمعهم بالعمل والكفاح . (١)

(٦) حكايت وكلاى مرافعه در شهر تبريز : (حكاية المحامين فى مدينة تبريز)

كتب آخوندزاده هذه المسرحية عام ١٢٧٢ هـ.ق / ١٨٥٥ م فى ثلاثة فصول ، وهى مسرحية هزلية هاجم الكاتب فيها جهاز العدل وإغتصاب الحقوق وتلاعب المحامين وقد جعل مسرح الأحداث فيها مدينة تبريز عمدا حتى يبعد أنظار مراقبى روسيا المستبدين . (٢)

وقد قدم آخوندزاده فى المقدمة التى كتبها لمسرحياته تعريفا بفن المسرح فى البداية ثم بالكوميديا الساخرة ، وبين أهمية المسرح فى تهذيب الأخلاق والآداب الإنسانية وقسم فن الكتابة المسرحية الى قسمين هما : الرواية المأسوية (تراجيدى) والرواية الفكاهية (كوميدى) ويؤكد وجهة نظره هذه فى كل مناسبة فيقول فى الرسالة التى أرسلها الى ميرزا ملكم خان :

" إن الغرض من فن التراجيديا هو إصلاح الأخلاق الإنسانية ووعظ القراء والمستمعين أما الرواية الكوميدية فلها تأثير كبير فى تهذيب أخلاق الناس وهدايتهم الى الطريق القويم ومكافحة الفساد " . (٣)

---

١) آرين پور (يحيى) : از صبا تانيما ، جـ ١ ، ص ٣٥٧
٢) المرجع السابق جـ ١ ص ٣٥٤
٣) المرجع السابق جـ ١ ص ٣٥٥

وقد إختار آخوندزاده الطريق الثانى أى " الكوميديا " محاولا كشف سلبيات عهده من خلال السخرية والفكاهة .

إن آخوندزاده يعتبر نفسه فى مقدمته لمسرحياته مؤسس هذا الفن الحديث بتأثير من كتاب المسرح الأوربيين ،فيلاحظ فى كتاباته المسرحية الهزل اللاذع والعقل والفطنة وسرعة البديهة التى تعد من خصائص مسرحيات " موليير " الكاتب المسرحى الفرنسى الذى عاش فى القرن السابع عشر الميلادى ، إلا أن آخوندزاده لم يحصر نفسه فى الدائرة الضيقة للأسلوب التقليدى والواقعى ، تلك الدائرة التى كان موليير يتركز فيها كأساس وقاعدة أدبية ، بل زود آخوندزاده مسرحياته الهزلية بالصفات والسجايا الطبيعية الإنسانية بحرية واستقلالية ولم يتقيد بوحدة الزمان والمكان بل يغير محل وقوع الحدث فى سرعة ويمكن أن تطول الفترة الزمنية بين المشاهد سنوات وأشهرا أحيانا وينقل المشاهد من مكان الى آخر فى براعة ومهارة ويبدع بنفس المهارة ويبدع بنفس المهارة صورا حقيقية ومشاهد حية مناسبة ويتجنب فى إظهاره للجوانب السلبية الإنسانية التصوير ذات الجانب الواحد والسطحى العابر ، ومن خصائص كتابته المسرحية أيضا سلاسة الحوار وتجانسه مع طبيعة الشخصيات. والتطور التدريجى المستمر للمناقشات وسرعة النتيجة ، ولايتسع المجال فى مسرحيات آخوندزاده لمن يتصفون بالصفات السلبية فحسب بل يتسع أيضا للإيجابيين والتقدميين فى ذلك العهد ، فكما يصور " ملاابراهيم "الدجال الأفاق كوجه سلبى فإنه يضع فى مواجهته رجلا شريفا " مثل " حاجى نورى الشاعر " كوجه إيجابى وذلك حتى يتسنى له إبراز الجوانب السلبية القاتمة قدر الإمكان .

إن مسرحيات آخوندزاده تعد مرآة تعكس بصدق أخلاق وعادات سكـــــان آذربيجان تركـي اللغة وتبين عن علم الكاتب بالخصال الإنسانية وقدرته على بيـــان مقاصده بدقة ، فكل شخصية من شخصيات مسرحيات تتكلم بلغة الفئة التي تنتمي إليهـا وكأنه عايش هذه الفئات جميعا (١) .

كتب آخوندزاده الى جانب مسرحياته مقالات في العلوم السياسية والشـــرك بالله ، وكتب أيضا مذكرتين عن الأبجدية التي إبتكرها (٢) ، وكان يهدف الـــى تقديم اللغات الإسلامية بأسلوب سلس وبالتالي أكثر قدرة على التقدم وتلبيـــة العصر .

.. .. ..

---

١) آرين پور (يحيى) : از صبا تانيما ، ج ١ ، ص ٣٥٦

٢) قضى آخوندزاده عشر سنوات في إبتكار أبجديته وانتهى من ترتيبها عـام ١٢٧٤ هـ.ق . إذ كان يرى أن الأبجدية المستخدمة من أسباب تخلف العالم الإسلامي ، وقام ببعض الخطوات في سبيل نشر أبجديته في تفليس واسلامبول إلا أنه لم يحقق نتيجة .

مهدي بامداد : تاريخ رجال ايران ، ج ١ ، ص ٥٥

كتابات ميرزا ملكم خان المسرحية :

كتب ميرزا ملكم خان ناظم الدولة ثلاث مسرحيات قصيرة أثناء إقامته فى اسطنبول نشرت فى وقتها كهوامش فى صحيفة " اتحاد " التبريزية عام ١٣٢٦ اهـ.ق/١٩٠٨ م ونشرت بعد ذلك فى طبعة كاملة عن نسخة مكتبة دكتور روزن Rosen الدبلوماسى الألمانى عام ١٣٤٠ اهـ.ق/١٩٢٢ م[١] وهذه المسرحيات هى :

" (١) سرگذشت أشرف خان حاكم عربستان .

(٢) طريقه حكومت زمان خان بروجردى وسرگزشت آن أيام .

(٣) حكايت كربلا رفتن شاه قلى ميرزا وسرگذشت أيام توقف چند روزه دركرمانشاهان .

ونتحدث هنا عن المسرحية الأولى كنموذج على كتابته المسرحية .

سرگذشت أشرف خان حاكم عربستان :

تتألف من أربعة فصول قصيرة ، وتدور أحداثها فى تهران حيث يزور أشرف خان حاكم إقليم عربستان العاصمة لمقاتلة الصدر الأعظم والشاه ، ويصور فيها ميرزا ملكم خان إنتشار الرشوة فى الدواوين الحكومية ونهب حكام الأقاليم لأموال الناس، وتدور الأحداث فى قالب كوميدى ساخر وهو القالب الذى إختاره كتاب المسرح الإيرانيون

---

١) صدرت هذه الطبعة فى مطبعة كاويانى ببرلين . ونشرت فى باريس ترجمة فرنسية لهذه المسرحيات تسمى : كوميديات ملكم خان . Comédies de Malkom Khan

لعالم ايرانيات بلجيكى يسمى A. Bricteax

لمعالجة الموضوعات الإجتماعية وإبراز السلبيات والجوانب المنتقدة فى ايران فى ذلك العهد ونورد هنا جزءا من هذه المسرحية كنموذج لأسلوب ميرزا ملكم خان فى الكتابة المسرحية :

" الله داد بيك "الخادم الخاص بالسيد (الصدر الأعظم) :

(يخرج من ذلك الركن ويضع يده أمام صدر اشرفخان ويقول) :

سيدى ، لاتدخل ، فالسيد فى خلوة .

أشرفخان : ماذا تقول لقد إستدعانى جناب السيد نفسه .

(ويرتد مغتاظا وكأنه نحاس محمى ويضطر الى الذهاب للجلوس فى حجرة الكتبة)

الله داد بيك : (يتحدث بصوت عالى حتى يسمع الخان)

إن فلان وفلان الذين يفعل بهم كذا وكذا يذهبون ويحكمون وينهبون الناس ويجمعون الآمال ويأخذونها ويحضرونها الى هنا ويريدون أن يتصلفوا علينا وكأننا خدم أبيهم .

الشخص الأول (الصدر الأعظم) : مناديا

: ياأولاد !

الله دادبيك : (يدخل الحجرة مخفضا رأسه)

: نعم

الشخص الأول : كنت قد إستدعيت الولد أشرفخان ، ألم يأت ؟

الله داد بيك : لا لم يأت بعد ، هل تأمرون بأن أرسل لإحضاره ؟

الشخص الأول : بسرعة ، بسرعة ، لدى عمل ، ويجب أن أخرج .

الله دادبيك : (يخرج ولايقول شيئا لمدة نصف ساعة ثم يدخل الحجرة ويقـــول لأشرفخان)

: تعال ،السيد يريدك.

أشرفخـان : (ينهض ويدخل الحجرة ويؤدى تحية عالية) .

الشخص الأول : بسم الله تفضل ، هل أنت بخير ؟

أشرف خـان : (محييا مرة أخرى)

: بفضل جانب السيد

الشخص الأول : إن الشاه كان قد غضب للغاية لتأخر وصول ضرائب" عربستان " وأمر بإرسال غلام خصيصا لذلك وقد أوقفته من أجل خاطـــرك ولم أدعـه يذهب .

اشرفخـــان : نعم ،لاشك فى رحمة جنابكم فى حق العباد ، ماقصر الله من ظـــل رحمة جناب السيد عن رؤوس أهل ايران

الشخص الأول : الصحف أيضا ..... بعض ..... (١)

أشرفخان : لا ورأس جنابكم المباركة ، ماوقع تقصير بشأن الصحف ،لقد تم عـرض كل البريد

الشخص الأول : بإختصار ياأشرفخان ، إدفع الحساب بسرعة واكتب المطالب لأبيهـا وامض بسرعة ولاتبق هنا وتعطلنى .

---

١) يستنتج من ذلك أن الصدر الأعظم يلمح الى ماكتبته الصحف عن بعض الأفعـــال السيئة التى صدرت عن هذا الحاكم .

أشرفخان : نعم ، كان رجائى أنا أيضا أن يؤذن لى سريعا بالولاية على الحدود ولاقدر الله أن تقع حادثة .

الشخص الأول : (لميرزا طرار خان المحاسب)

: يامبرزا طرار خان ، إنه حساب ضرائب "عرستان" ذى الثلاث سنوات إبتداء من اليوم حتى عشرة أيام أخر ، وأريد منك ألا يحدث أن يبقى أشرفخان هنا طويلا بدون عذر أو خلاف ، لقد أكد الشاه على ذلك كثيرا .

ميرزا طرار خان : نعم . على عينى ، سألتقى بأشرفخان جلسة واحدة وبعدها سأعمل على تنفيذ الأوامر

(وينهض أشرفخان ويؤدى التحية ويطلب الإذن بالإنصراف)

الشخص الاول : آه ... هل أنت ذاهب ؟ إذهب وتعال غدا العصر الى هنا فلى معك عمل .

(ويخرج أشرفخان ، وفى وسط الفناء يعترض إثنان أو ثلاثة أشخاص ويعترضون طريق أشرفخان)

ياجناب الخان ، أين إكراميتنا ؟

أشرفخان : أنا .... حقيقة .... أنتم ....

ياجناب الخان ، نحن السقاة الخصوصيون للسيد وقد قدمنا لكما الترجيل والقهوة عدة مرات .

اشرفخان : آه ... نعم نعم ، الآن عرفت ... على عينى .. سأخبر سكرتيرى ليعطيكم خمسة تومانات .

(ويسير نحو باب الفناء ولايكاد يصل حتى يعترضه السعاة جميعـــا قائلين :

ماقصر الله ظلك على رؤوس السعاة ، إعطنا نقود الإكراميـة) .

أشرفخان : حسن ، تعالوا أنتم أيضا غدا الى المنزل وخذوا من السكرتير خمســة تومانات .

أشرفخان لكريم آقا :

كريم آقا ، تعال أحكى لك بعض الحكايات لترى أمر هذه الولاية وأمرمافى بيت السيد (الصدر الأعظم) من فوضى وأخذ بلا حساب وشرور ، إنهـــم والله يأكلون البشر ، ألا تعلم ماذا فعل بى اليوم هذا الملعون " اللـه داد " على ملأ من الناس ، والله لو حملونى الى السجن ـ من خجلى من الناس ـ لكان أخف وطأة علىّ من أن اذهب مرة أخرى الى بيـــت الشخص الأول .

كـــريم آقـا :

ياخالى الخان العزيز ، كنت قد قلت لك إننا هنا لسنا فى " عرستـان " إنها العاصمة ويحدث من تلك الأمور الكثير هنا ، يجب أن يتسع صـدرك ، لا إن هذا لايعيب الآن أقول لك ، تؤخذ ثلاثة تومانات وتعطـــى لألله داد ، وغدا حين تشرف هناك ستلاحظ التملق الذى يبذله .

(وينادى فى التو فيأتى الساعى ويعطيه ثلاثة تومـــانات ويقول لـــه : خذ هذه النقود على الفور وإعطها لألله داد فى بيته وعد ، وقل له هذه إكراميتكم أرسلها الخان ، ويأخذ الساعى التومانات الثلاثة ويعطيهـــا لألله داد ويعود .

أشرفخـــان : (يجلس عصرا فيأتيه الساعى فجأة ويضع أمامه بعض الحلوى مـــع باقة ورد)

: ماهذا ؟ من أين ؟

الســـاعى : أرسلها جناب رئيس السعاة الى حضرتكم .

أشرفخـــان : (فى منتهى التغير)

: حسن ، إبق بالخارج بعض الوقت ، ياأولاد نادوا كريم آقا .

(ويأتى كريم آقا)

أشرفخـــان : إنظر ماالخبر ، أى شأن خاص لى مع رئيس السعاة هذا حـتى يلعب معى هذه اللعبة؟ ماهذه الأوضاع ؟ أنا والله لا أريد الولاية .

كريـــم آقـــا : نعم صدقت ، جنابك لا شأن للكبهؤلاء ، ولكن هؤلاء لهـــم معك شأن ، ينبغى أن يتسع صدرك ، ليس عيبا ، فلنعـــط لهؤلاء أيضا عشرة تومانات .

(ويسدل الستـــار)(١)

أسلوب ميرزا ملكم خان فى الكتابة المسرحية :

يتميز أسلوب ميرزا ملكم خان فى الكتابة المسرحية بالتركيز على الجوانب السلبيـــة فى إدارة الدولة فى ذلك العهد ، وقد سبق الحديث عن دوره الهام فى الإعـــداد للثورة ودفع التيار القومى عن طريق كتاباته النقدية والسياسية ومطالبته بالقانـــون ،

---

١) سرگذشت أشرفخان حاكم عربستان در أيام توقف أو درتهران ـ الفصـــل الأول ، طبعة كاويانى ـ برلين ١٣٤٠ .

فكان من الطبيعى أن تصطبغ كتابته المسرحية أيضا بالصبغة القومية النقدية .

إستخدم ملكم خان الأسلوب الساخر فى مسرحياته لإبراز سلبيات المجتمع الإيرانى وإدارة الدولة والقائمين عليها وتسليط الضوء على هذه السلبيات قدر الإمكان ،ويلاحظ أن مسرحيات ميرزا ملكم خان تتميز بقصر فصولها حتى أن المسرحية الواحدة من مسرحياته الثلاث لاتتعدى أربعين صفحة من القطع الصغير ، ولايستخدم فيها الأسلوب المطنب بل ينتقل بالأحداث من مشهد الى آخر ومن مكان الى آخر بسرعة وسهولة ، وإستخدم ملكم خان أسلوبا نثريا سلسا مفهوما يقترب من لغة الحوار العام كسائر كتاباته النقدية الأخرى ، وتتحدث كل شخصية من شخصيات مسرحياته بلغتها الحقيقية وأسلوبها الواقعى فى الحديث ، إلا أنه يستخدم أحيانا التشبيه فى وصفه للموقف فيقول مثلا :

" ويرتد مغتاظا "وكأنه نحاس محمى "(١)

وهذا غير مقبول فى الكتابة المسرحية ، لأن التشبيه فى الوصف من خصائص فن كتابة القصة التى تعتمد على السرد فى المقام الأول والحوار فى المقام الثانى ،أما فى الكتابة المسرحية فالأوصاف التى يصف بها الكاتب شخصياته يجب أن تكون معدة للتمثيل على المسرح دون سرد مباشر .

دور الكتابة المسرحية فى دفع التيار القومى :

غلب التيار القومى على معظم الكتابات النثرية فى ذلك العهد بوجه عام وكانت

---

١) سرگذشت أشرفخان حاكم عرستان در أيام توقف أو در تهران ـ الفصل الأول .

من بينها الكتابة المسرحية أيضا ، فعلى الرغم من حداثة هذا الفن فى ذلك العهد إلا أنه شارك فى دفع الحركة القومية منذ نشأته ، فقد إستخدم ميرزا فتحعلى آخوندزاده وميرزا ملكم خان هذا الفن الحديث كأداة مؤثرة فى تنوير الشعب وإيقاظه على المساوىء الإجتماعية والسياسية والإقتصادية التى عانى المجتمع الإيرانى منها قبل الثورة الدستورية وإستخدما الأسلوب الساخر الهزلى كوسيلة لها وقعها المؤثر فى نفوس الناس والهدف الأصلى من هذه المسرحيات هو إبداء الكاتب لمقته وغضبه تجاه الأساليب البالية لإدارة الدولة ، ويمكن القول أنها مذكرات سياسية أكثر من كونها مسرحيات ونادرا ماعرضت تمثيلا على المسرح . (١)

والى جانب تلك المسرحيات التى ألفها ميرزا فتحعلى آخوندزاده وميرزا ملكم خان ترجمت عدة مسرحيات أجنبية الى اللغة الفارسية فترجمت ثلاث مسرحيات لموليير الكاتب المسرحى الفرنسى وهى :

(١) طبيب رغم آنفه Medecin malgré lui

(٢) كاره الناس Le misanthrope وترجمت عام ٢٨٦ اهـ.ق . / ٨٦٩ م على يد ميرزا حبيب اصفهانى تحت إسم " گزارش مردم گريز " إلا أنها لم تقابل بأى إستجابة فى ايران رغم مابذله ميرزا حبيب من جهد لتطويعها للذوق والظروف الإيرانية ووضع أسماء فارسية لشخصياتها . (٢)

(٣) ورقة الآس .

ولم تحظ هذه الترجمات بأى شعبية فى ايران لبعد كتابته المسرحية عن الميول العامة للإيرانيين وحبهم للتأنق والفكاهة والنصح الحسن (٣) .

---

1) Browne(E?G?): A literary history of Persia, Vol.4,pp.484
2) Rypka (Jan): A history of Iranian literature,pp. 342
   Browne (E.G.): A literary history of Persia,Vol.4,pp.484
3) Rypka (Jan): A history of Iranian literature, pp.342

(٢) المقـــال الصحفـــى

المقال الصحفى من الأشكال النثرية الحديثة التى ظهرت فى النثر الفارسى لأول مرة فى ذلك العهد . وترتبط نشأة المقال الصحفى فى ايران بنشأة الصحافة الفارسيـة . وقد تحدثنا من قبل عن الصحافة وتاريخ ظهورها فى ايران فى الباب الثانى من هذا البحث ، ونضيف فى هذا الموضع أن الصحف الفارسية بوجه عام وصحف البلاط فى مبدأ ظهورها بوجه خاص كانت صحافة خبر ، أى أنها كانت تقتصر على إيراد أخبار البـلاط والملك ورجال الدولة وأخبار الولايات بشكل عام ، ولم تكن تضم ضمن موادها الصحفية مقالات تناقش فكرة بعينها أو تدور حول موضوع معين ، فكانت هذه الصحف البلاطيـة أقرب الى النشرات الإخبارية منها الى الصحف بمعناها المعروف ، أما الصحـف الفارسية المعارضة التى كانت تتخذ خطا مضادا للحكومة والبلاط والتى كانت تصـدر خارج ايران على يد الوطنيين الإيرانيين فى الهند ومصر والدولة العثمانية ولندن فكانت صحفا بالمعنى المعروف وتضم فى موادها الصحفية المقالات السياسية والعلمية والدينية والنقدية الى جانب الأخبار العامة .

كان معظم كتاب هذه المقالات من مشاهير الكتاب فى ذلك العهد ، وكانـت لمعظمهم أعمال نثرية معروفة ، ومن بين هؤلاء الكتاب : حاجى عبد الـرحيم طالبـزاده وميرزا ملكم خان ناظم الدولة الذى كان يصدر صحيفة "قانون" فى لندن ، ومـيرزا فتحعلى آخوندزاده ، وميرزا آقاخان كرمانى وغيرهم .

وكان السيد جمال الدين الافغانى ممن اتخذوا من الصحف الفارسية المعارضة في الخارج منبرا للتنديد بالحكومة الإيرانية واستبدادها وكانت لمقالاته السياسية والنقدية يجدون حرية أكبر فى إبداء آرائهم الثورية على منابر تلك الصحف فى خارج ايران دونما خوف من السلطات الإيرانية التى كانت تتعقبهم ، وكان منهم أيضا من كانوا يرسلون مقالاتهم هذه من داخل ايران الى تلك الصحف فى الخارج وفى نفس الوقت يعيشون فى داخل ايران ، ومن ثم كانوا يتحفظون فى توقيعهم على المقالات خشية تعرض السلطات الإيرانية لهم خاصة وأن هذه الصحف القومية كانت تجد طريقها الى أيدى الإيرانيين داخل ايران والى أيدى السلطات الإيرانية بالطبع .

لم تكن صحف ذلك العهد قد عرفت بعد الطريقة الصحيحة لتنظيم المواد الصحفية وتنسيقها على أكمل وجه فأغلب المواد الصحفية كانت فى إطار مقالى ، فالخبر السياسى يرد فى إطار مقالى والموضوعات العلمية والدينية والأخبار العامة والإعلانات فى إطار مقالى كذلك ، فلم يكن المفهوم المحدد للمقال قد عرف بعد ، إلا أنه يمكن القول أن النقد السياسى والإجتماعى كان هو المضمون الغالب على معظم المقالات فى الصحف القومية مواكبة للتيار العام السائد بين الإيرانيين الذين كانوا يتطلعون الى الحرية والدستور ومواكبة أيضا للتيار القومى الذى كان السمة الغالبة على سائر الأشكال النثرية الأخرى فى ذلك العهد .

كانت المقالات النقدية التى تتناول الأوضاع فى ايران من مختلف الجوانب فى صحيفة " حبل المتين " على سبيل المثال توقع بإمضاء "يكى از وطن خواهان" أو "يكى از دولت خواهان" أو بتوقيع الأحرف الاولى من الأسماء ، ونورد هنا نموذجا

من تلك المقالات التى نشرت فى صحيفة " حبل المتين "التى كانت تصدر فى كلكتا بالهند ، وهو مقال نقدى ينتقد كاتبه فيه الأوجه السلبية فى ايران فى عهد ماقبل الدستور .

(رسالة من أحد الوطنيين) (١)

يعلو فى هذه الأيام صوت التحضر والتقدم من كل الإيرانيين ، ودم الوطنيين يغلى ، وشاه ايران يبذل كل جهده فى المطالبة برقى الرعايا من العلماء الأعلام الذين سمعوا بالتواتر فى حين إستيلى الأجانب على عزة الإسلام وإحترامه تماما بل يفعلون مايدعو الى ذلة المسلمين وهوانهم و هم يقفون على قمة درجات التقدم .

فى هذه الحالة فإن باب التوبة مفتوح للإيرانيين ، ومازال الأمل فى التقدم حيا ، هناك فقط عدة أشياء لازمة إن انعدمت لن يكون هناك تقدم فى ايران .

إن حكومة ايران وشعبها لديهم من الإستعداد للتقدم مايمكنهم من طى طريق مائة سنة فى عشر سنوات ، ذلك أن تقدم الدول له عدة جوانب ، أحدها إستعداد الأراضى ، وقلما وجدت اليوم دولة على وجه الأرض مثل ايران فى وفرة نعمها وخصب أراضيها فأعشا بنا كلها عقاقير ـ وتراب ايران كله درّ ونعم ، ومعادن ايران مدفونة فى الكنوز الطبيعية منذ آلاف السنين . وبقليل من إهتمام الحكومة والشعب يمكن لنا أن نصبح فى غنى عن الإحتياج للآخرين ، إن نعم ايران لم تؤت مثلها دولة أخرى ، وإذا أردت أن أعرض كل أنواع نعم ايران فلا بد أنى محتاج الى كتاب ، ولايتسع المجال لذكرها هنا فأقول بإختصار :

---

١) صحيفة " حبل المتين " العدد ٢١ بتاريخ ١٥ ذى الحجة ١٣١٧ هـ ١٦ ابريل ١٩٠٠ م .

أول شيء يتحتم وجوده في ايران هو القانون والعدل والإنصاف أي أن يدخل قانون الشرع الى حيز التنفيذ فيشعر الشعب بالإرتياح من ظلم وتعدى العمال الوحشيين الذين لايرحمون.

هناك أحد العلماء يشهد أن شاه ايران حامي للعدالة ، لكن ظلم الحكام وتعدى الضباط والعمال والعمد الظالمين لايصل الى مسامعه الشريفة ، ومن ثم ظل عامة الشعب في يأس من فكرة التقدم ، فهم مشغولون دوما بحماية أرواحهم وأموالهم وأعراضهم ، ودليلنا على ذلك العدد الكبير من الإيرانيين الذين يهجرون وطنهم بسبب تعدى العمال ، ويفضلون ذل الغربة على عزة الوطن ويرحلون الى الخارج ، والآن يجب أن ينتشر قانون العدل في كل بقعة ، فهو مرتبط بصلاح وصواب الوطنيين المحبين لبلادهم .

(إن العظماء يعرفون صلاح بلادهم)

إن مايحتاجه معظم الإيرانيين هو العلم ، فهو ملازم لعمار البلاد - العلم بالصناعة - والعلم بالزراعة - والعلم بالتجارة وغيره ، فالشركات قد إنتشرت في دولة ايران لكنها لاتحمل فائدة كبيرة للشعب ، لأنها لاتملك العلم ، ومأأن تمر عليها أيام أربعة حتى تحل ، والتجار الذين يرسلون أموالهم الخاصة الى الخارج ويروجون بضائع الأجانب يجرون على بلادهم الظلم . إن المعنى الحقيقي للشركة هو ترويج بضائع الدولة نفسها وسد الإحتياجات الوطنية وقطع يد الأجانب عن الملك والشعب وإجتثاث جذور رسوخهم ونفوذهم من أرض الوطن العزيز .

وعلى هذه الشركات أولا أن تتقن علم المعادن والنبات والكيمياء والطبيعة وما الى ذلك ، وحينئذ ستصنع ثروة كبيرة وتفتح الطريق للآلات والمصانع وتعم المنسوجات فى كل أرجاء ايران حتى لاتحتاج الى الغير ، وترج السكر فى الوطن وتصنعه فى ايران نفسها ، وتزرع الشاى فى داخل ايران فتعمر الدولة وتعم الفائدة .

إن روسيا اليوم تصنع من الشاى أنواعا تكاد أن تمحو بها تجارة الصين تماما ، وهذا السكر وذلك الشاى اللذان نستوردهما من الخارج لهما طعم السم الزعاف فى أفواه الوطنيين ، وكل خطانا متجهة نحو الشهرة لا الطريق الحقيقى ، إن علينا أن نحصل العلم أولا ".

ونورد فيما يلى نموذجا آخر للمقال الصحفى فى ذلك العهد ، وهو مقال كتبه أحد علماء الدين الإيرانيين عن الكفر والجحود بالنعمة وضمنه أيضا بعض نقاط النقد لأمين السلطان ذلك الصدر الأعظم الذى نجم عن تصرفاته الكثير من المساوىء التى شهدتها ايران فى عهد ماقبل الدستور ، ويبين هذا المقال الدور الذى أسهم به علماء الدين المستنيرون فى طريق تنوير الشعب الإيرانى وإعداده للثورة ، وقد كانت صحيفة " حبل المتين " تهتم بالموضوعات الدينية وتنشر مقالات كثيرة بقلم علماء الدين المستنيرين فكانت تعد حاملة لواء الدين بين صحف ماقبل الدستور .

عنوان المقال :

" رسالة من أحد الافاضل " (١)

" أما آن للذين كفروا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ؟ "

---

١) صحيفة حبل المتين : العدد ١٦ السنة الحادية عشر غرة شوال ١٣٢١ هـ / ٢١ ديسمبر ١٩٠٣ م .

ليكن معلوما أن الكفر في اللغة هو الجحود ، والجحود هو عصيان أمر المولى ، ومن ثم فإن كل من يعصى أمر المولى يدخل حزب الكفار ولو قليلا :

كل من يغفل عن الحق لحظة

فهو حينئذ كافر لكنه مستتر

وإذا كانت غفلته تلك دائمة

أغلق باب الإسلام في وجهه

إذن لاتطلق كلمة الكفر على من أنكر التوحيد والنبوة فحسب فقد نص القرآن المجيد على أن كل من عصى وأنكر أحد أحكام الشرع المطهر أطلق عليه لفظ الكفر ، كما يقول في شأن الحج :

(ولله على الناس حج البيت من إستطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين) (١)

وقد عد ترك الشكر على النعمة كفرا أيضا حيث يقول تعالى :

(لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابى لشديد) (٢) ، ويقول أيضا (ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار) (٣)

وقد تبين من هذه الآيات أنه كما أن للإيمان درجات فللكفر دركات ومراتب يتدنى الى إحداها كل من تخلف قليلا عن أمر المولى ، كما يقول الإمام الصادق (٤) وهو من

---

١) سورة آل عمران الآية ٩٧ .
٢) سورة ابراهيم الآية ٧ .
٣) سورة ابراهيم الآية ٢٨ .
٤) وردت في النص (حضرت مقدس صادق) وآثرت ترجمتها بهذا اللفظ .

آل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى آله (ماعصى الله من وحده) إلا حين تسدل غشاوة الغفلة على قلبه وتنسى الصفات الثبوتية لحضرة الخالق ويمحى كونه سميعا بصيرا عن نظره ، أما فى غير ذلك فلن يقدم على المعصية أبدا ، إلا أن هذا الكفر اللغوى له شدة وضعف كما يعد الكفر بالنعمة الذى يكون فى غير موضعه كفرا ، وحين نمعن النظر ندرك أنه أسوأ من كل مراتب الكفر ودركاته ، ذلك أن أول نعمة أنعم بها الخالق الحقيقى هى نعمة الوجود ، وليس الشكر هو ذلك الذى يؤدى على الجوع وأذى الناس كما فى السباع الضارية والبهائم ، فنهمل تلك النعمة العظمى ونعطلها ، ولكن يجب أن نؤديه بطاعة الخالق وخدمة بنى النوع ومساعدتهم ، وإلا أصبح الوجود عبثا والخليقة مهملة ولأصبح الفعل الحكيم الذى يتضمن حكما لاحصر لها عبثا ولغوا ، ولن يكون هناك كفر أكبر من ذلك فهو الشرك الأعظم لأن المشرك يفعل بفكره الباطل مايؤدى الى رضا آلهته الباطلة ، والجاحد يقدم على الكفر بالنعمة مع علمه بعدم رضا معبوده بل بغضبه ، وكأنه يرفع هامته بالمخالفة وجحود المولى عمدا ويكر فى ميدان القتال ، لهذا فكلما ذكر الكفر بالنعمة فى القرآن المجيد إقترن بالتوبيخ والترهيب مثل قوله تعالى (إن عذابى لشديد) (١) (وأحلوا قومهم دار البوار) (٢) ، فالكفر بالنعمة قد سرى منهم الى قومهم أيضا ، يقول مولوى :

غير المؤدب لايسىء الى نفسه فقط

بل يضرم النيران فى الآفاق كلها .

---

١) سورة ابراهيم الآية ٧

٢) سورة ابراهيم الآية ٢٨

هذا التبجح الذى هو الكفر بالنعمة قد أضرم النار فى آفاق العالم وأسر الأقوام فى دار البوار والعذاب المقيم وتحقق بالتجربة والحس والعيان أيضا أن كل من إرتكب معصية الكفر والجحود فى حق حضرة المنعم الحقيقى فقد أضرم نارا يحترق بنارها هو نفسه والآخرون .

وبقليل من إمعان النظر فى سلوك ميرزا على أصغر خان أمين السلطان يلاحظ أنه أحرق بنيران كفره وجحوده كل شعب ايران وملكها ولن تنطفىء حتى لقرون قادمة .

مضى ماضى ولا شأن لنا بالماضى ، علينا الآن أن نعرف واجبنا وأن نعمل طبقا له حتى ننجو من دار الجحود ونسلك طريق أمان الشكر على النعماء ، وهذا محال إلا إذا أدى العباد جميعهم من ملك وعلماء ووزراء وأمراء وحكام وولاة وقادة وأعيان وأركان وجند وكل الإدارات العسكرية والمدنية فى مجموعها وكل على حدة واجباتهم أى الشكر على النعمة والعرفان فعليهم أن يؤدوا الشكر على النعم الموجودة حتى نستحق زيادة نعم وآلاء الخالق جلت عظمته حسب وعده الصدق حيث يقول (لئن شكرتم لأزيدنكم) ، ومن المعلوم أيضا أن الشكر والعرفان لحضرة الخالق تبارك وتعالى مقدمة على كل شىء وأعلى وأعظم من كل شىء فهو مالك رقاب البرايا ونعمته أعظم النعم فقوته وعظمته وجبروته وهيمنته وحكمه مسلم بهم على كل العباد والبلاد ، ولكل من نعمائه هذه شكر منفصل يبرهن على أن الشكر على النعمة لايقتصر على الشكر باللسان بل بصرف تلك النعمة فى محلها . فحين تصرف فى غير محلها تسمى كفرا ، وأمثلة الشكر تحكيم العدل والمساواة بين العباد وإنصاف الضعيف من القوى والقصاص من الظالم للمظلوم والتحقيق فى شكاوى الناس والمساكين ورفع الظلم والتعدى عن المساكين وتنفيذ

قوانين العدل والإحسان والنظام فى الدولة وحفظ الحدود والثغور وتأمين الشوارع والطرقات وحرية الرعايا فى الأعمال المشروعة وترويج التجارة والصناعة والحرف ورفع المعاناة والإجحاف عن الفقراء والمساكين وقطع يد الظالمين عنهم وإسناد الخدمات الى أهل الدين والوطنيين والعقلاء ذوى السياسة والكياسة ومنح الألقاب والدرجات على قدر الخدمة المؤداة للوطن ومكافأة المستحقين لا المتجبرين الذين لايفسدون الدين ولا الدنيا ولاغير ذلك "

الأسلوب فى المقال الصحفى الفارسى :

أسهم المقال الصحفى الذى كان يكتب فى الصحف اليومية أو الأسبوعية بدور كبير فى تحديث الأسلوب النثرى فى أدب ذلك العهد ، فقد تميز المقال الصحفى فى ذلك العهد وهو أول عهده بالتركيز والإيجاز والوضح إذ أنه من الصعب على كاتب المقال أن يسهب أو أن يستخدم الترصيع اللفظى أو المحسنات البديعية فى المقال الذى يفترض فيه الوضح لكل من يقرأه ، فكاتب المقال الصحفى معنى بالمجتمع والقراء أصلا .

ومما ساعد على تبسيط الأسلوب المستخدم فى المقال الصحفى أيضا هو أن أغلب كتابه كانوا من أدباء ذلك العهد ممن كان لهم دور فى تجديد الحياة الأدبية فى ايران فى عهد ماقبل الدستور .

أما من ناحية الشكل الأدبى للمقال الصحفى فقد تميز بكثرة الإستشهادات الشعرية والقرآنية وبالأمثال والأقوال المأثورة بغرض إيضاح الفكرة التى يتناولها

أو تأييد رأيه كما رأينا فى المقالين اللذين أوردناهما ، وأحيانا يأتى الكاتب ببيت شعرى فى أول المقال كمقدمة أو عنوان للموضوع الذى يتناوله فى المقال ، ففى مقال لمحمد كاظم الشيرازى فى صحيفة " حبل المتين " (١) يستهل الكاتب مقاله ببيت لسعدى الشيرازى :

منذ سنين يطلب القلب منا مرآة جمشيد

مايملكه هو نفسه يتمناه من الغريب (٢)

مستشهدا به على قدرة الإيرانيين على تلبية إحتياجاتهم دون اللجوء الى الأجانب ، وينهى الكاتب مقاله ببيت شعرى أيضا فيقول :

إن الضحك بلا تعقل فى نهايته بكاء

فاضحك بتعقل حتى لاتبكى (٣)

وقد رأينا فى المقال الدينى الذى أوردناه من قبل إستشهاد الكاتب بكثير من الآيات القرآنية والأقوال المأثورة وكثيرا ماييدأ كتاب المقالات مقالاتهم بتناول الفكرة دون مقدمات وأحيانا ماتطول المقدمة لإيضاح الفكرة قبل طرقها قدر الإمكان ، ويغلب ذلك على المقالات النقدية التى تدعو الى فكرة معينة فيشرح الكاتب الفكرة نفسها أو مدخله إليها بشىء من الإسهاب .

---

١) " حبل المتين " العدد ٢٥ السنة السابعة بتاريخ : ١٤ محرم ١٣١٨ هـ ـ ١٤ مايو ١٩٠٠ م .

٢) سالها دل طلب جام جم ازما میکرد آنچه خود داشت زبیگانه تمنا میکرد

٣) خنده بیخردی گریه درآخر دارد الله الله بخرد خند که گریان نشوی

وأحيانا يبدأ الكاتب مقاله بنداء يثير الإنتباه ، فيقول الكاتب فى مستهل مقاله فى أحد أعداد صحيفة " حبل المتين "

" ياإخوتى فى الوطن ويأهل بلا دى إذا أردتم أن تعلموا السبب الحقيقى ووالواقعى لتخلفكم أقول لكم ..... " (١)

ويبدأ فى تذكير الإيرانيين بأمجاد أسلافهم وبعد الخلف عن طريق السلف.

وعلى الرغم من إتجاه الكتاب فى ذلك العهد الى تحديث الأسلوب اللغوى والنثرى نجد أحد الكتاب قد إستخدم صيغة الماضى الإستمرارى الناقص فى مقاله فيقول :

" أرباب حكمت قديمه لون يعنى (رنگ) راحقيقتى هى دانستند ، وجدا ازحقيقت نورانگا شتندى وذات هريك را غير ازذات ديگرى شمردندى وهريك ازاينهارا مستقل از ديگرى پندا شتندى " (٢)

فرغم مراعاة الكتاب الصحيفين للأسلوب النثرى الحديث فى ذلك العهد إلا أنهم لم يقلعوا تماما عن الأسلوب النثرى الذى إتبعه القدماء .

وهذا الإستخدام للأسلوب الحديث فى الكتابة الصحفية لم يمح أيضا الأخطاء

---

١) " حبل المتين " العدد ٢ السنة الثامنة بتاريخ : ٢٠ جمادى الثانية ١٣١٨ هـ ـ ١٥ اكتوبر ١٩٠٠ م تحت عنوان : " قابل توجه عموم اسلاميان خصوصى ايرانيان " .

٢) صحيفة " حكمت " العدد ٩٣٠ السنة السابعة بتاريخ : ١٥ ربيع الثانى ١٣٢٧ هـ . ٥ مايو ١٩٠٩ م .

اللغوية والنحوية من صحف ماقبل الدستور ،ففى المقال الأول الذى أوردناه كنموذج منذ قليل أورد الكاتب مايلى :

" اين أيلم از تمام ايرانيان صداى تمدن وترقى بلند ، وخون وطـــــن پرستان درغليـان "

، " درينصورت ايرانيان را درترقى باقى "

فالكاتب قد حذف الرابطة فى هذه العبارات على غير المتبع نحويا .

.. .. ..

الفصل الثاني

المشكلات اللغوية

نظرة عامة لبداية عصر التحديث

من المحال أن يمر عصر على لغة دون أن يطرأ عليها تغير أو تطور ، فلكل عهد سماته التى تميزه والتى تلقى ظلالها على كل أفرع الحياة ومن بينها اللغة.

كانت الفترة من عام ٨٥٠ م حتى عام ٩٠٦ م فترة تحول خطيرة فى حياة المجتمع والأدب الإيرانيين ، ويمكن إعتبارها فترة بداية التغيير والتحديث للمجتمع الإيرانى وهى الفترة التى أعقبتها ثورة تعد من أهم الأحداث التى حولت أو مهدت لتحويل مجرى التاريخ الإيرانى فى العصور الحديثة من الناحيتين السياسية والإجتماعية.

أما فيما يتعلق بالنثر الفارسى فقد طرأ عليه بعض التغيير على يد قائمقام فراهانى (الصدر الأعظم الذى قتل عام ٨٤٨ م) ، فإلى جانب قدراته كرجل دولة دافع عن أسلوب جديد فى المراسلة الرسمية تميز بالبعد عن الإسهاب وتجنب الحشو والزيادة البلاغية التى كانت تعقد المعنى فكان هذا من جانبه إصلاحا هاما للنثر الفارسى وعلى الرغم من أنه لم يتمكن من إستئصال شأفة التكلف القديم فى النثر إلا أنه قد حقق بالفعل بساطة ذات قيمة فى الكتابة النثرية.

وكان لميرزا تقى خان أمير كبير (الصدر الأعظم الذى قتل عام ٨٥٢ م) دور غير ضئيل أيضا فى محاولة تبسيط الأسلوب النثرى فى المراسلات،[(١)] وينبغى ذكر يوميات ناصر الدين شاه فى رحلاته الثلاث الى أوربا وقد ساهمت الى درجة كبيرة فى تبسيط الأسلوب النثرى الفارسى.

---

(١) Rypka (Jan): A history of Iranian literature, pp. 335-6

وآرين پور (يحيى) : از صبا تانيما جـ ١ ص ٢٧٧

أما التغيير الحقيقى للأسلوب النثرى الفارسى فقد بدأ مع زيادة التأثير الأوربى فى أواسط القرن الثالث عشر الهجرى ، التاسع عشر الميلادى خاصة بعد دخول الطباعة ومانتج عنها من سهولة النشر والتوزيع الكمى للمطبوعات ، وبداية الصحافة وإنتشار التعليم وتأسيس دار الفنون وظهور فئة جديدة من الكتاب المستنيرين المجددين الذين تم على أيديهم التجديد الحقيقى للنثر الفارسى ، فلم يعد الكتاب فى ذلك العهد محددين فى طبقة رجال البلاط، بل ظهر الكتاب الجدد من الفئات الإجتماعية المتوسطة واتجهوا من خلال كتاباتهم الى تناول المشكلات الإجتماعية والثقافية التى أثارتها موجة الأفكار الحديثة بأسلوب يفهمه الإيرانى العادى. (١)

لم يختف الأسلوب النثرى القديم تماما فى بداية عصر التحديث بل ظل مستخدما بين العديد من كتاب ذلك العهد وحافظ عليه بعض الكتاب من محبى الأسلوب القديم والمؤمنين بالحفاظ على القواعد الثابتة ووجهوا إنتقادات عنيفة الى الكتاب المحدثين الذين كانوا يخطون أولى خطواتهم نحو تجديد الأسلوب النثرى وتخليصه من الرواسم اللغوية والتكرار والكنايات المعقدة ، وينبغى القول أنه رغم الثورة الأدبية التى كانت قد بدأت بين صحف ماقبل الدستور إلا أن تقليد القدماء لم يختف منها بعد ، فشاعت الأخطاء الإملائية واللغوية والنحوية فيها ، ويرجع هذا الى أن أهم الصحف فى ذلك العهد مثل (ايران نو) و (شرق) و (شورى) وغيرها من الصحف التى كانت تصدر فى تهران كانت غالبا يومية ، فلم يكن الكتاب الصحفيون يجدون المجال متاحا لمراعاة الدقة التامة فى التحرير وزاد على ذلك قدر من تقليد

الأوربيين والترك ، فشاع إستخدام مطابقة الصفة والموصوف كما فى اللغة العربية مثل :

معادن مستخرجه ـ معانى مستحسنه ـ أفكار متنعـه .

ودخلت بعض الكلمات والعبارات العربية مثل :

فوق الذكر ـ منور الفكر ـ محير العقول ـ عرض وجود ـ ذو حياتين .

وإستحدثت كلمات مركبة من ألفاظ عربية وفارسية مثل :

روشنفكر ـ عرض اندام ـ صواب انديش ـ صنعت كار ـ وحشى گرى ـ فلسفة بافى

وهجرت بعض الأفعال القديمة وحلت محلها أفعال شاع إستخدامها أو أخرى من كلمة عربية وفعل فارسى مثل :

شنفتن ـ گوشيدن ـ چلانيون

وكثر تقليد اللغة الفرنسية فى بعض النحويات مثل جمع الضمير فى جموع ما لا روح لـه أو جمع ضمائر الأفعال مع الأسماء المفردة المعطوفة على غير ذى الروح كالجماد وإسم المعنى مثل :

ميوه ها شيرين مزه استند ـ كربن والماس ازيك جنسند

ودخلت أيضا بعض المصادر فى باب " استفعال " مثل :

إستكمال ـ إسترحام ـ

واستخدمت كلمات فارسية حديثة مثل كلمة : "نوين" بدلا من "نو" وهى تركيب قياسى مما يعتبر سمة من سمات التى طرأت على اللغة الفارسية فى عهد ماقبل الدستور . (١)

---

١) بهار (محمد تقى) : سبك شناسى ، جـ٣ ص ٤٠٤ ـ ٤٠٥

كان التحديث الذى قام به الكتاب المحدثون فى ذلك الوقت تحديثا للأسلوب النثرى المتكلف الذى كان يهتم باللفظ لدرجة أن يطغى على المعنى ، فكان الأسلوب الحديث تخليصا للنثر من التصنع اللفظى والتواء المعنى أما من حيث الصرف والنحو فربما كان الحق الى جانب أتباع الأسلوب القديم الذين تحروا الدقة فى لغتهم فقد شاعت ـ كما قلنا ـ من قبل ـ الأخطاء النحوية والإملائية فى بعض الكتابات الحديثة ولكن يمكن القول أن الهدف الرئيسى للكتاب المجددين فى ذلك العهد لم يكن الإهتمام باللفظ والتأنق فى العبارة بل كان هدفهم الرئيسى هو الموضوعات الإجتماعية والنقدية والتركيز على الأفكار القومية التى حاولوا من خلالها تنوير الشعب الإيرانى وتخليصه من الإستبداد ، فلم يجدوا وسيلة لبث أفكارهم إلا الأسلوب المتحرر الذى يقترب من لغة الحوار العام حتى يفهمه عامة الشعب ، فإستخدموا فى كتاباتهم ألفاظا وتركيبات مشتقة ومركبة وأجنبية رأوا أنها توصل المعنى المراد دون التواء أو تعقيد فيكفى للكاتب أن يدرك القارئ مراده .

وما جعل هذا الإستحداث فى الألفاظ والتركيبات مقبولا وطبيعيا هو أن هذه الكلمات والعبارات الحديثة سواء الفارسية أو العربية أو الأوربية لم تدخل اللغة فجأة ، بل كان دخولها الى اللغة الفارسية تدريجيا وإنتقلت من كاتب الى آخر حتى شاعت وعم إستخدامها وفهمها ، ومن ثم لم تخل هذه الكتابات الحديثة التى كان لها بالغ الأثر على عقول المستنيرين أو المتعلمين الإيرانيين بالمعنى والمراد على الرغم من كثرة الإصطلاحات والألفاظ المستحدثة التى إستخدمت فيها [1] من ألفاظ علمية

---

١) بهار (محمد تقى) : سبك شناسى جـ٣ ص٤٠٤ ـ ٤٠٥

وادارية واجتماعية وسياسية لم يسبق إستخدامها ومن الألفاظ العربية التى دخلت الفارسية فى ذلك العهد :

مجلس شورى ـ وكيل ـ هيئت وزرا ـ وزراء ـ رئيس الوزراء ـ مسئوليت ـ مشترك ـ انفكاك قوى ـ قواى سياسى ـ قواى روحانى ـ قوه مجريه ـ انفكاك كامل قواى سياسى از قواى روحانى ـ معاون ـ اداره ـ رئيس ادارة ـ شعبه ـ دايره ـ تجدد ـ تمدن ـ متمدن ـ تربيت ـ انقلاب ـ تكامل ـ اقليت ـ اكثريت ـ حزب ـ مسلك ـ مرام ـ اعتدالى ـ استبداد ـ مشروطه ـ حريت ـ مساوات ـ وطن ـ محبوبيت ـ ملت (بمعنى الشعب) وجاهت ملى ـ قانون أساسى ـ مجلس موسسان ـ شخصيت ـ احساسات ـ أفكار ـ تثبيت ـ سقوط ـ حقوق ـ حقوق شخصى ـ حقوق ملى ـ حقوق اجتماعى ـ حقوق بين الملل ـ عدليه ـ ماليه ـ نظميه ـ بلديه ـ مجموعه قوانين ـ هيئت ـ هيئت قضات ـ حكومت ـ حكومتهاى مستقل ـ تحت الأمر ـ موازنه سياسى ـ انسانيت ـ مليت ـ روابط بين دول ـ مناسبات دول ـ سياست ـ سياسيات ـ دار الفنون ـ مدرسه سياسى ـ مدير ـ صاحب امتياز ـ توقيف ـ فرق ـ مركزيت ـ تمركز ـ وحدت مرام ـ وحدت ملى ـ عدم مركزيت ـ لامركزيت ـ تنقيد ـ استنطاق ـ تحقيق ـ كرسى نطق ـ نطق باحرارت ـ استقلال ـ تماميت ـ حاكميت ـ تقويت ـ حيات سياسى ـ تخصص ـ متخصص ـ استعمار ـ مستعمره ـ استثمار ـ اتحاديه ـ تشكيل وتشكيلات ـ تجهيز وتجهيزات ـ تكامل ـ تطور ـ تظاهر ـ متظاهر ـ أفكار عمومى ـ ايجاب ـ وضعيت ـ موقعيت ـ اعزام ـ اعاشه ـ سفالت.(١)

١) بهار (محمد تقى) : سبك شناسى جـ٣ ص٤٠٦ ـ ٤٠٧

وهناك أيضا بعض الألفاظ الفارسية والتركيبات الفارسية التي إستحدثت فـــي ذلك العهد ومنها :

نما يندة ـ سرمايه داري ـ محافظه كاري ـ آزادي ـ آزاد يخواه ـ وطـــن خواهي ـ تودة مليت ـ عوام فريبي ـ نيمه مستقل ـ سر مقاله ـ پاورقي ـ سرويير ـ قلم آتشين ـ رنجبر ـ كارگر (١)

ومن الألفاظ والتعبيرات الأوربية التي دخلت اللغة الفارسية للضرورة في ذلـــك العهد نذكر هذه النماذج على سبيل المثال لا الحصر ، ونلاحظ أن معظم هـــذه الألفاظ من اللغة الفرنسية :

پارلمان (مجلس ممثلي الشعب) ـ كابينه (مجلس الوزراء) ـ بودجـــــه (ميزانية) ـ كنستي توسيون (دستور) ـ كميسيون (وكالة أو لجنـــــة) دماگوژي (سياسة التودد الى الشعب) ـ سوسياليسـزم (إشتراكيـــــة) راديكال (أصلي) ـ دموكرات (الحرية السياسية) ـ كمونزم (شيوعيـــة) ژاندارم (شرطي) ـ رفورم (إصلاح) ـ رفورمه (متقاعد) ـ كميســـاريـــا (قسم البوليس) ـ پليتيك (سياسي) ـ كلاس (فصل دراسي) ـ سالـــون (قاعة) ـ ديپلم (شهادة دراسية) ـ (ديپلمات (ملحق سياســـــي) كميته (لجنة) ـ پارتي (حزب) ـ كنفرانس (مؤتمر) ـ تريبون (محامي شعبي) سنديكا (نقابة) . (١)

---

١) بهار (محمد تقي) : سبك شناسي ، ج٣ ، ص٤٠٧

دور الترجمة فى اثراء اللغة :

كانت الترجمة من العوامل الرئسية لدخول هذه الألفاظ والإصطلاحات الأجنبية وهذه التركيبات العربية الحديثة ، إذ كان على المترجم أن يتبع المتن الأصلى فى ترجمته وأن يشتق لكل معنى لفظا جديدا يؤدى المعنى المقصود سواء بالإشتقاق من الألفاظ الفارسية أو بتركيب الألفاظ الفارسية والعربية أو باستحداث لفظ أجنبى من الفرنسية أو غيرها من اللغات الأوربية فكان للترجمة دوران فى وقت واحد : أولا : إستخدام الألفاظ المستحدثة التى لم يكن لها وجود فى اللغة الفارسية من قبل مما ساعد على إثراء اللغة بالمصطلحات الحديثة التى تفى بمتطلبات العهود الحديثة ، وثانيا : تبسيط الأسلوب النثرى تبعا للمتن الأجنبى الأصلى مما ساعد على تنقية اللغة والنثر من الإستشهادات والتركيبات الشاذة والكتابة الإنشائية .

وهناك أيضا كثير من التعبيرات العامية الفارسية التى إستخدمت لأول مرة فى ذلك العهد فى الكتابة النثرية والترجمة ، فرأينا فى ترجمة " مغامرات حاجى بابا اصفهانى "إقتراب اللغة النثرية من الحوار العام ، وإستخدام ألفاظ وإصطلاحات عامية مما يقوله الناس فى حياتهم اليومية مثل :

ـ موشك دوانيدن : بمعنى إحداث الوقيعة. ـ آب ندیده : صريح ـ غير منمق .

ـ أهل بخيه : مجرب ـ زميل عمل . ـ چم ديدن : إدراك الميول .

ـ بهم برآمدن : الغضب . ـ يكساعت ور رفتم : قضيت ساعة .

ـ كسى بكسى نبود : لميول أحد إلتفاتا لأحد ـ هى بر سر زديم : أخذنا نضرب على رؤوسنا .

ـ طابق النعل بالنعل : مطابق تماما .

ـ معركة كردن : أن يجمع الناس حوله ـ أن يحدث إزدحاما .

ـ پيشه گرفتن : تعلم الصنعة .

ـ بريش خريدن : أن يتقبل ـ أن يتحمل .

ـ خستگی در انداختن : أن يستريح .

ـ سر وكلهٔ فلان پديدار شدن : بانت طلعته (لكبار القوم).

وكان إستخدام هذه التعبيرات العامية التى لاتحصى فى الكتابة النثرية وإدخالها الى اللغة الفصحى من عوامل إثراء اللغة الفارسية وتقويتها وسد الفجوة التى كانت بين الكتابات النثرية والفهم الشعبى العام .

الخط :

علت أصوات كثير من الإصلاحيين فى ذلك العهد بضرورة إصلاح الخط ، بدعوى أن الخط المستخدم لايتناسب والتطورات الحديثة ، وقد ذكرت فى الأبواب السابقة من البحث محاولة كل من الكتاب الذين تعرضت لهم لتغيير الخط أو تعديله .

كان أول من نادى بضرورة إصلاح الخط هو ميرزا فتحعلى آخوند زاده (١) ، وتبعه فى ذلك ميرزا ملكم خان ناظم الدولة ثم تبنى الكتاب الآخرون نفس الفكرة ونادوا بها .

---

١) نورائى (فرشته) : تحقيق درأفكار ميرزاملكم خان ناظم الدولة ، ص٩٨

كانت فكرة إصلاح الخط تنبع من تصور أن صعوبة تعلم الأبجدية العربية تعد عقبة كبيرة فى طريق تعليم كافة طبقات الشعب ومعوق لنشر العلوم الحديثة (١)، وهناك من المنادين بفكرة إصلاح الخط من إكتفى بإنتقاد الخط المستخدم دون عرض بديل أمثال " حاجى زين العابدين المراغى " فى كتابه "سياحتنامه" ابراهيم بك" و" عبد الرحيم طالبوف " فى كتابه " كتاب أحمد "ومنهم من إبتكر أبجدية جديدة وحاول طبع بعض الأعمال بها مثل "ميرزا فتحعلى آخوند زاده "و" ميرزا ملكم خان ناظم الدولة" ، وكانت هذه الفكرة موضع إهتمام معظم الإصلاحيين فى العهد الدستورى وكانوا يأخذونها مأخذ الجد ، إلا أن هذه الفكرة قد فقدت قوتها فيما بعد.

.. .. ..

---

١) نورائى (فرشته) : تحقيق در أفكار ميرزا ملكم خان ناظم الدولة ، ص ٩٨

نتائج البحث

أستطيع بعد هذه الدراسة أن أخلص بالنتائج التالية :

(١) كان ناصر الدين شاه ميالا للتحديث والإصلاح فى بداية توليه العرش وتمت على يديه إصلاحات عديدة فى الدولة ، ولكن هناك بعض العوامل الداخلية والخارجية حالت دون إستمراره فى الإتجاه الإصلاحى ومن بينها إنعدام المعاونين الأكفاء ومعارضة الملات والمجتهدين الرجعيين وتسلط الروس والإنجليز على ايران وظهور الحركة البابية ، هذه العوامل حدت به الى إنتهاج طريق الإستبداد والحكم الفردى المطلق ، وحينئذ كانت نفس الإصلاحات التى تمت على يديه هى نفس الأداة التى ساعدت على القيام ضده .

(٢) لم يكن للجناح الدينى دور كبير فى التمهيد والدعوة الى النظام الدستورى فى بداية الحركة الوطنية ، بل يمكن القول أن دور الملات والمجتهدين فى البداية كان سلبيا مضادا للفكر الدستورى ، ولم يستجب للتيار القومى السائد إلا بعد حادثة إمتياز الطباق التى حدثت فى العقد الأخير من القرن التاسع عشر ، حيث بدأ علماء الدين فى الإضطلاع بدور خطير فى مساندة الفكر الدستورى والدعوة إليه بين صفوف الشعب الإيرانى مما كان له أكبر الأثر فى نمو وإنتشار الفكر القومى الإصلاحى نتيجة للمكانة التى تمتع بها علماء الدين فى نفوس الإيرانيين .

وقد أضفت مساندة الجناح الدينى للحركة القومية صبغة دينية بالإضافة الى صبغتها اللبرالية .

(٣) ردد بعض الباحثين الإيرانيين وأشهرهم " فريدون آدميت " دعوى أن حركة إمتياز الطباق كانت أكذوبة سياسية روجت لها روسيا القيصرية فى محاولة منهـا للحد من نفوذ غريمتها إنجلترا فى ايران، ونرى من جانبنا أن هذا خطـأ، فقد كانت حركة إمتياز الطباق حركة وطنية حقيقية تزعمتها العناصر المستنيرة مـن علماء الدين وكانت أول خطوة إيجابية من جانب الشعب الإيرانى فى العرش والقوى الأجنبية فى ايران.

(٤) شهدت فترة التمهيد للحركة القومية ومنذ بدايتها نهضة أدبية تجديدية كانت من عماد النهضة القومية الإصلاحية، فطرح الأدب لأول مرة الواقع الإجتماعـى والسياسى كموضوع له وإتخذ من لغة الحوار الجارى قالبا.

(٥) كان لدخول الطباعة الى ايران فى أواسط القرن التاسع الميلادى أثر كبير فى نشر الفكر القومى الإصلاحى، فقد أتاحت الفرصة لتوزيع الأعمال الأدبية والصحـف على نطاق واسع مما أثر على الأدب بتقريبه الى لغة الحوار الجارى وتخليصه مـن القوالب الجامدة التى كانت سائدة قبل عصر التحديث.

(٦) كان ميرزا ملكم خان ناظم الدولة من العناصر المستنيرة التى كان لها دور فـى التمهيد والدعوة الى الحكم الدستورى وسيادة القانون، وذلك على الرغم من المساوئ التى بدرت منه خلال حياته السياسية، كما كان له دور كبير فى حركة التجديـد الأدبية التى واكبت الحركة القومية.

(٧) تعد رواية " سياحتنامهٔ إبراهيم بك " لزين العابدين المراغى أول رواية فارسية على النمط الأوربى صورت الواقع الإجتماعى والسياسى فى ايران تصويرا صادقا من خلال نقدها اللاذع للأوضاع التى كانت سائدة فى ايران القاجارية وكان كاتبها من طائفة التجار المستنيرين الذين شاركوا مشاركة إيجابية فى التمهيد للحركة الدستورية ، وكان من أوائل الكتاب الذين إخترقوا الأسلوب التقليدى الأدبى القديم وكتبوا بأسلوب مبسط مفهوم لدى العامة تميز بميزات منها الإقتراب من لغة الحوار الجارى على ألسنة الناس واستخدام الألفاظ والتعبيرات العامية وضرب الأمثال الشعبية التى لها جذور محلية .

(٨) كانت ترجمة رواية "حاجى بابا اصفهانى " الى الفارسية من كبريات الأعمال الأدبية التى ترجمت فى ذلك العهد ، وقد صورت الشخصية الإيرانية تصويرا دقيقا وإن كان كئيبا بعض الشيء ، وقد أخطأ الناشر (فيلوت) فى فهم بعض الألفاظ الفارسية والتركية فى تعليقة على ماورد بالترجمة الفارسية من إصطلاحات وتعبيرات عامية وقد أشرت الى بعض هذه الأخطاء ومنها كلمة " پايمردى " التى ترجمها بمعنى " الصداقة الوطيدة " فى حين أنها تعنى "المساعدة" و" الشفاعة" ، وكلمة "مين باشى " التركية وصحيحها "بيك باشى "وغير ذلك .

(٩) كانت الأبجدية العربية موضع إنتقاد من جانب معظم دعاة الإصلاح الإيرانيين فى ذلك العهد وكان منهم من دعا الى إصلاح الأبجدية المستخدمة وتعديلها مثل ميرزا ملكم خان ناظم الدولة ، ومنهم من إبتكر أبجدية جديدة مثل "ميرزا فتحعلى آخوندزاده " ، ومنهم من إكتفى بإنتقاد الأبجدية العربية وصعوبة تعلمها دون عرض بديل مثل " حاجى عبد الرحيم طالبوف " ، إلا أن هذه الدعوة قد فقدت قوتها تدريجيا .

المراجع العربية

(١) المجذوب (طلال) : ايران من الثورة الدستورية حتى الثورة الإسلامية (١٩٠٦ ـ ١٩٧٩) ، بيروت ـ ١٩٨٠

(٢) عبدالحميد (محسن) : حقيقة البابية والبهائية .
الطبعة الثانية ، بيروت ، ١٩٧٥

المصادر

(١) سرگذشت أشرف خان حاكم عريستان : ميرزا ملكم خان ناظم الدولة
برلين ١٣٤٠ اهـ . / ١٩٢١ م .

(٢) سفينهء طالبى ياكتاب أحمد : عبد الرحيم طالبوف .
طبعة إسلامبول الأولى ١٣١٩
طبعة إسلامبول الثانية ١٣٣٢

(٣) مسائل الحيات : عبدالرحيم طالبوف .
تفليس ١٣٢٤ اهـ.ق . / ١٩٠٦ م .

(٤) سياحتنامهء ابراهيم بك : حاجى زين العابدين المراغى .
القاهرة ، بدون تاريخ .

(٥) مغامرات حاجى بابا إصفهانى : الناشر : فيلوت (د . س .) .
الطبعة الثانية ، كلكتا ، ١٩٢٤

المراجع الفارسية

(١) آدميت (فريدون) : ايديولوژى نهضت مشروطيت ايران .
تهران ـ ٢٥٣٥ ش . ـ انتشارات پيام .

(٢) آرين پور (يحيى) : از صبا تانيما .
چاپ چهارم ـ تهران ٢٥٣٥ ش .

(٣) استعلامى (محمد) : ادبيات دورهٔ بيدارى ومعاصر .
تهران ـ ٢٥٣٥ ش . ـ نشردانشگاه انقلاب ايران

(٤) بامداد (مهدى) : تاريخ رجال ايران .
تهران ـ ١٣٤٧ ش . ـ چاپخانهٔ بانك بازرگانى ايران

(٥) بهار (محمد تقى) : سبك شناسى .
تهران ـ ١٣١٩ ، چاپخانهٔ خودكار

(٦) تيمورى (ابراهيم) : عصر بى خبرى يا تاريخ إمتيازات در ايران .
تهران ـ ١٣٣٢ ، چاپخانهٔ اقبال

(٧) جكتاجى (محمدتقى پور) : تاريخچهٔ كتابخانهٔ ملى ايران .
تهران ـ ١٣٥٧ ـ انتشارات كتابخانهٔ ملى ايران

(٨) ساسانى (خان ملك) : سياستگران دورهٔ قاجار .
تهران ـ ١٣٣٨

(٩) طاهرى (ابو القاسم) : تاريخ روابط بازرگانى انگليس وايران .
تهران ـ ١٣٥٤ ، انتشارات انجمن آثار ملى

(١٠) كرمانى (ناظم الاسلام) : تاريخ بيدارى ايرانيان .
تهران ـ ١٣٤٦ ، انتشارات بنيادفرهنگ ايران

(١١) کسروی (أحمد): تاریخ مشروطه ٔ ایران .

چاپ یازدهم ـ تهران ـ ١٣٥٤ ، چاپخانه ٔ سپهر

(١٢) کشاورز (کریـــم): تاریخ ایران ٔ (ترجمة)

تألیف: بیکولوسکایا ـ یاتوبوسکی ـ بطروشفسکی ـ

بلنیتسکی ـ اسرویوا

تهران ـ ١٣٥٤ ـ انتشارات پیام

(١٣) ملکزاده (مهدی) : انقلاب مشروطیت ایران .

تهران ـ ١٣٢٨ ، چاپخانه ٔ چهر

(١٤) نورائی (فرشته) : تحقیق در أفکار میرزا ملکم خان ناظم الدولـــــة .

تهران ـ ١٣٥٢

(1) Avery (Peter): Modern Iran,
London, 1965, Ernest Benn limited.

(2) Browne (E.G.) : Persian Revolution,
Cambridge, 1910

(3) : The Press and Poetry of modern Iran,
Cambridge, 1914

(4) : A literary history of Persia,
Cambridge,1930

(5) : A history of Persian literature in modern
times, (1500 - 1926)
Cambridge, 1928.

(6) Blunt (Wilfrid): Secret history of the English occupation
of Egypt. Second ed., London, 1907

(7) Bosworth (C.E.): Iran and Islam.
Edinburg university press 1971

(8) Elwell - sutton: Modern Iran,
London, George Routledge and sons ltd.,1942

(9) Frye (Richard): Iran.
London, Bradford and Dickens, 1954

(10) : Persia,
London, Second ed., 1972

(11) Marlow (John): Iran,
London, pall mall press, 1963

(12) Phillott (D.C.): The translation of the adventures of Haji Baba of Isphahan; second ed., Calcutta, 1924

(13) Rypka (Jan): A history of Iranian literature, Dordracht - Holland, 1967
Reidel publishing company.

(14) Sykes (Sir Percy): A history of Persia, Third ed., London, 1930, Mackmillan and co.,.

(15) Upton (Joseph): The history of modern Iran, Cambridge, Massachusetts, 1960

(16) Wilber (Donald) : Iran, Past and Present, Princeton, New Jercy, 1948

(17) Gobineau (Joseph Arthur): Les philosophies et Les religions dans L'Asie central, Paris, 1933

الدوريـــــات

(١) مجلة المنتدى ، السنة الاولى ، العدد الثانى ، القاهرة ١٣٥٧/١٩٧٨

(٢) ارمغان ، سال پنجاه وهشتم ، دوره چهل وپنجم ، شماره ٧ هفتم وهشتم مهر وآبان ماه ٢٥٣٥ .

(3) The Middle East Journal, Washington, 1959.

(٤) صحيفة حبل المتين عام ١٣١٧ هـ/ ١٩٠٠م السنة السادسة .

عام ١٣١٨ هـ/ ١٩٠٠ م السنه السابعة .

عام ١٣٢١ هـ/ ١٩٠٣ م السنه الحادية عشر .

(٥) صحيفة حكمت : السنة السابعة ١٣٢٧ هـ/ ١٩٠٩م .

فهرس الموضـــوعات

الصفحـة

الباب الأول : الخلفيات التاريخية

مقدمة موجزة عن الفترة السابقة على العهد القاجارى ١

نبذة عن تأسيس الأسرة القاجارية ٣

الفصل الأول : الخلفية السياسية

ناصر الدين شاه وأهم سمات حكمه ٧

دور البعد الدينى فى الحركة الدستورية ٢٩

مظفر الدين شاه ٣٧

الفصل الثانى : الخلفية الإجتماعية

الأوضاع الإجتماعية فى ايران قبل الدستور ٤١

الفئات الإجتماعية التى شاركت فى التمهيد للحركة الدستورية ... ٤٥

الفصل الثالث : الخلفية الثقافية

الحياة الثقافية والفكرية فى عهد ناصر الدين شاه ٤٨

تأثير الإتصال بالغرب على الحياة الثقافية فى ايران ٥٠

إتجاه الأدب نحو المجتمع ٥٣

الباب الثانى : عوامل نهضة النثر الفارسى

الفصل الأول : الجمعيات الوطنية ٥٥

الفصل الثانى : الطباعة والصحافة ٦٥

الطباعة ٦٥

الصحافة ٦٧

الصفحة

دور الصحافة فى تطور النثر الفارسى ٨١

الفصل الثالث : التعليم الحديث ودار الفنون ٨٣

الفصل الرابع : الترجمة ٨٩

دور الترجمة فى تطور النثر الفارسى ٩٦

الباب الثالث : أقطاب التيار القومى فى النثر الفارسى

الفصل الأول : ميرزا ملكم خان ١٠١

الفصل الثانى : الترجمة الفارسية لرواية " حاجى بابا اصفهانى " ١٢٢

الفصل الثالث : حاجى زين العابدين المراغى وروايته " سياحتنامهء ابراهيم بك" ١٤١

الفصل الرابع : حاجى عبد الرحيم طالبوف ١٦٥

الباب الرابع : أشكال النثر ومشكلاته

الفصل الاول : الأشكال الجديدة ١٩٦

(١) المسرح ١٩٦

دور الكتابة المسرحية فى دفع التيار القومى ٢١٢

(٢) المقال الصحفى ٢١٤

الأسلوب فى المقال الصحفى ٢٢٢

الفصل الثانى : المشكلات اللغوية ٢٢٦

نظرة عامة على بداية عصر التحديث ٢٢٦

دور الترجمة فى إثراء اللغة الفارسية ٢٣٢

نتائج البحث : ٢٣٥

المراجع : ٢٣٨